تاريخ مصر القديم

من أفول

الدولة الوسطي إلي نهاية الأسرات

الدكتورة

زكيه يوسف طبوزادة

مراجعة

ا.د، محمد ابراهيم على

القاهرة ٢٠٠٨

المقدمة

مرت مصر في تاريخها القديم بمراحل تراوحت بين كبوة وازدهار ولكنها حتى في أحلك الأوقات ظلت تتمتع بحضارة عظيمة عرفت خلالها أرقي مستويات الفنون والآداب والتقدم العلمي الملموس، وهذا بفضل تمسك حكامها، حتى أضعفهم، بالحفاظ على وحدتها الوطنية ومحاولة النهوض بها. وفي فترات عزها وقوتها كان الفكر هو إبداعها الحقيقي فتوصلت إلي عبادة الإله الواحد، خالق الأرض والسماء وكل شيء حي، في مصر وخارجها. عرفت أنبياء الله وسعت إليهم وسعوا إليها، جذبتها الحقيقة وجذبهم ثقلها الحضاري وعلم وإيمان أهلها.

يتناول هذا الكتاب تاريخ مصر القديمة في المرحلة التي تلي سقوط الدولة الوسطي وتمتد إلي دخول الإسكندر الأكبر أي من حوالي ١٦٥٠ إلي ٣٣٢ ق. م، من عصر الاضطراب إلي الوقوع بين أيدي الإغريق وسيطرة أسرة البطالمة على الحكم ونشأة مدينة الإسكندرية. تاريخ ثري بالتجارب قلما يتوفر لأمة، حاولنا من خلاله توضيح بعض الغوامض بالإضافة إلي تناول بعض الإشكاليات التاريخية ولعل أكون قد وفقت، وفوق كل ذي علم عليم.

الدقي ٢٠٠٨/٢/١٢

زكيه طبوزادة

سقوط
الدولـة الوسـطي

تعتبر الدولة الوسطي من أزهي فترات التاريخ المصري القديم لأنها جمعت بين مجد ومركزية الدولة القديمة وبين ما حققه الفكر من استقلالية وتفرد خلال عصر الانتقال الأول.

أعاد ملوك **الأسرة الحادية عشرة** وحدة البلاد واستقرارها وحصن **ملوك الأسرة الثانية عشرة** أرضها ووسعوا حدودها جنوبا فعرفت، مصر عصرا من الازدهار قلما يتكرر في تاريخ الأمم. وتتلخص مظاهر هذا الازدهار وإنجازات ملوك الأسرة في النقاط التالية:

١. أنشأ "أمنمحات" الأول عاصمة جديدة أطلق عليها اسم "إيثت تاوي" أي القابضة على الأرضين وتقع على الأرجح، جنوب منف، قرب منطقة اللشت بالفيوم.

٢. حصن "أمنمحات" الأول وخلفاؤه حدود مصر الشرقية والشمالية الشرقية وشيد "حائط الأمير"– على أغلب الظن تل الحبوة الآن– لصد هجمات الآسيويين ومنع تسللهم إلي الدلتا.

٣. قام "أمنمحات" الأول ببعض النشاط الحربي ضد البدو في غرب الدلتا وفي عمق فلسطين حيث تقدم جيش مصري بقيادة الضابط "سبك خو" إلي هناك حتى بلغ مدينة "سكم".

٤. حصن خلفاء "أمنمحات" الأول حدود مصر الغربية وشنوا الحملات التأديبية.

٥. قام "سنوسرت" الأول والثالث ببناء الحصون في كوبان بالنوبة لحماية مناجم الذهب بوادي العلاقي بالنوبة.

٦. وبرز في النوبة دور الملك "سنوسرت" الثالث فوسع حدود مصر الجنوبية واستولي على ٦٠ كم جنوب وادي حلفا وأقام حوالي أربعة عشرة حصنا أهمها حصني سمنة وقُمة.

وكان كل حصن منها يمثل مدينة صغيرة وبداخلها معبد، فأخضع النوبة تماما لسلطانه وقضي على الفتن والشغب في أربع حملات ناجحة.

كما تميزت هذه الفترة بـ:

٧. نشاط معماري كبير، واستغلال واسع للمحاجر والمناجم.
٨. نشاط تجاري مع فلسطين وسوريا وبابل وجزر بحر إيجة وكريت والنوبة والسودان وبلاد بونت.
٩. الانتفاع بمنخفض الفيوم وتوسيع الرقعة الزراعية باستصلاح آلاف من الأفدنة إلي جانب إقامة السدود لتخزين المياه والفيضان للانتفاع بها في زمن القحط والتحاريق.
١٠. الاستقرار في الحكم وقوة السلطة المركزية أي سلطة الملك مما كان له أثر على الأدب والفن فازدهرا ازدهارا كبيرا.

رغم مظاهر القوة هذه والرقي الحضاري التي سادت معظم فترات حكم ملوك هذه الأسرة إلا أنها تتواري في غموض لينتقل الحكم إلي أسرة جديدة هي الأسرة الثالثة عشرة فتدخل مصر خلالها مرحلة يسودها الضعف والتمزق. أما عن العوامل التي أدت إلي زوال حكم الأسرة الثانية عشرة وبالتالي الدولة الوسطي فهي، بدون شك، متعددة. وبتتبع الأحداث وملاحظتها يتبين لنا مدى تعددها وتنوعها، وهي تتلخص في النقاط التالية:

١. الوسيلة التي وصل بها "أمنمحات الأول" إلي الحكم ونهايته توضحان الكثير:

أ) في اعتماد "أمنمحات الأول" على حكام الأقاليم لتوطيد حكمه (نصوص مقبرة خنوم حتب الثاني، في بني حسن)، واعتبار حكمه بداية لعهد جديد (وحم مسوت) أي تكرار الولادة، هذا بالإضافة إلي نبوءة "نفرتي" أو "نفر رحو" التي تقدمه في صورة المخلص، مما يجعلنا نعتقد بأن هناك صراع على الحكم انتصر فيه "أمنمحات الأول" وأعوانه على أنصار الأسرة السابقة.

ب) نهاية "أمنمحات الأول" المحزنة كما توضحها قصة سنوهى وبردية "نصائح أمنمحات الأول لولده سنوسرت"، تدل على وجود نزاع على السلطة داخل الأسرة الحاكمة.

٢. التسلل الآسيوي وانتشار الآسيويين في البلاد بل وداخل منازل الأغنياء كخدم لهم، يدل على أن مقاومة ملوك الأسرة الثانية عشرة لهذا التسلل لم تكن ذات تأثير، ففي عصر سنوسرت الثاني كان هناك، إلي جانب التسلل غير المشروع زيارات ودية يقوم بها أقوام آسيويون كما توضح لنا مناظر مقبرة خنوم حتب الثاني[١] التي تقدم لنا المناظر المنقوشة على جدرانها هؤلاء الوافدين يقودهم رئيس يدعى "إبشا". ويبدو أن مقاومة هذا التسلل الآسيوي قد اتخذت مظهر العنف ومظهر الود تارة أخري كما يتضح لنا من:

أ- تحصين الحدود الشمالية الشرقية.

ب-اختيار موقع العاصمة الجديدة (إيثت تاوي) في مواجهة الشمال الشرقي.

ج – الحملات العسكرية والزيارات الودية.

٣. ازدياد نفوذ حكام الأقاليم ابتداءً من عصر "سنوسرت" الثاني مما انعكس بالخير على أقاليمهم من ناحية وأضعف من نفوذ الملوك من ناحية أخري.

٤.الأسرة الثانية عشرة أسرة حاكمة من أصل جنوبي، تسمي أربعة من ملوكها باسم "أمنمحات" (آمون في المقدمة)، تهجر الجنوب لتقيم وتدفن في شمال الوادي بل ينسب أحد ملوكها العظام، "سنوسرت" الأول، الفضل في اعتلائه العرش إلي إله هليوبوليس" حور آختي"، ويقيم له كذلك معبدا ضخما لم يبقي منه إلا بضع أحجار مبعثرة ومسلة المطرية الشهيرة[٢]، وهو أمر يدعو إلي التساؤل.

٥.ظهور "نصوص اللعنة" وهي نصوص سحرية تنقش على الأواني الفخارية الحمراء أو علي تماثيل بشرية صغيرة بدائية الصنع، تستخدم في الطقوس الدينية أو السحرية ليصب بها الملك أومن يقوم بها اللعنة على أعدائه أو على من يتوقع منهم العداوة[٣]. وردت عليها بالحذف أسماء بلاد آسيوية منها اسم أورشليم الذي يظهر لأول مرة في هذا العصر، وكذلك أسماء أشخاص منهم الآسيويون والنوبيون والتحنو وأيضا أسماء مصرية مما يدل على تنوع جنسيات الأعداء وضعف قدرة الملوك على الدفاع عن مصالح مصر أو مصالحهم الشخصية.

٦.سلسلة الحروب المتواصلة أنهكت البلاد وشعبها.

---

[١] Newberry, P., *Beni Hassan* I, 1893, pl. 28, 30and 31.

[٢] PM IV, p. 60.

[٣] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، ١٩٥١، ص ٢٦٠ – ٢٦٣.

٧. النهاية السريعة لأسرة قوية، ملك ضعيف "أمنمحات" الرابع يموت وتعتلي بعده العرش ربما أخته الملكة "سُبك نفرو" (سُبك كا رع).

الأسرة الثالثة عشرة

من ١٧٧٣ إلي ما بعد ١٦٥٠ ق.م

تعتبر فترة حكم هذه الأسرة والفترة التي تلتها هما من أشد فترات التاريخ المصري القديم غموضا، ويرجع ذلك إلي قلة الآثار التي تركها حكامها وكثرة عدد الذين ادعوا الملك فيها كما يتضح لنا من "بردية تورين" و"قائمة الكرنك" وما نقله (يوسيفوس) اليهودي الأورشليمي الأصل وعن مؤرخنا المصري (مانيتون).

ويرجح أن الملكة "سبك نفرو" لم تترك وريثا، كما لم يترك "أمنمحات" الرابع من قبل وريثا ذكرا، فكان هذا إيذانا بانتهاء الأسرة الثانية عشرة، وانتقال الملك إلي أسرة جديدة حدثنا عنها (مانيتون) بقوله: " أن الأسرة الثانية عشرة خلفها ملوك ينتسبون إلي أسرة ترتيبها الثالثة عشرة "، أطلق عليهم أيضا اسم الملوك الذين أتوا بعد أسرة (أمنمحات). وأضاف أن نشأة هذه الأسرة كانت طيبة وان عدد ملوكها هو ستون ملكا حكموا ٤٥٣ عاما، وبالرجوع إلي بردية (تورين) وقائمة (الكرنك) نرى أن عددهم أقل بكثير مما ذكره (مانيتون) وبالتالي مدد حكمهم[١].

يجب مراجعة القول القديم القائل بأن القرن الذي تلا حكم الأسرة الثانية عشرة، كان عصر انهيار حضاري، وبرؤية جديدة نستطيع أن نفسر الكثير من غموض هذه الأسرة؛ فرغم ضعف وضع " الملك " فيها والذي يتضح لنا من كثرة عدد الملوك وقصر مدد حكمهم وعدم تعاقب أفراد الأسرة الواحدة في الحكم، فأننا نلاحظ أن (برديات اللاهون وبولاق ١٨) تعكس نظاما إداريا دقيقا ومحكما مما يجعلنا نعتقد في وجود سلسلة من الوزراء الذين تحكموا في الملوك يحركونهم ويضعونهم على العرش لمدد محددة فاستطاع هؤلاء الوزراء السيطرة في أغلب الأحيان على شطري مصر إلا أنهم أقاموا . رغم هذا . العمائر بأسماء الملوك وأرخوا الأحداث بسنوات حكمهم. كما حرص الوزراء على الاحتفاظ " بالملك " لكن مع سلبه كل السلطة أو معظمها.

أما تحديد فترة حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة بـ ٤٥٣ عاما كما ورد فيما نقله يوسيفوس عن مانيتون، فمن الصعب قبوله، ويفترض (هيس) حدوث خطأ عند النقل عن مانيتون ويقترح تصحيح الرقم إلي ١٥٣ عاما[٢]. أما أحدث الدراسات التاريخية والتي كتبها البلجيكي كلود فاندرسلين يقترح ١٦٣ عاما[٣].

بعض الحقائق المستوحاة من آثار الأسرة الثالثة عشرة

[١] Hayes, W., " Egypt : From the death of Ammenemes III to Seqnenre II" in *CAH* II,2, 1965, p. 5.

[٢] Id., *op. cit.*, p.5.

[٣] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 660.

١) معظم ملوك هذه الأسرة من أصل طيبي كما يدل عليه تمركز نشاطهم المعماري في المناطق الجنوبية وحول مدينة طيبة: في مناطق مثل الدير البحري والكرنك والمداmod والطرد ولكن هذا لا يمنع أنهم في كثير من الأحيان حكموا شطري الوادي.

٢) استمرت هذه الأسرة تعبد الإله منتو إله طيبه القديم، كما تسمى ملوكها بأسماء طيبة مثل "أمنمحات وسنوسرت وإنيوتف ونفر حتب".

٣) استمرار منف مركزا للحكومة و إيثت تاوي مقرا لملوك الأسرة.

٤) "خوي تاوي رع، وجاف"، كان على أغلب الظن أول ملوك هذه الأسرة الجديدة وربما اكتسب شرعية حكمه عن طريق المصاهرة[١].

٥) انتقال العرش من الأسرة الثانية عشرة إلي الأسرة الثالثة عشرة لم يؤثر تأثيرا مباشرا على الوضع الداخلي ولا على توابع مصر، فقد عثر على آثار باسم الملك "خوي" أول ملوك الأسرة في الجنوب دون الشمال، هذا بالإضافة إلي العناية بتسجيل منسوب ارتفاع النيل عند سمنة مما يدل على تبعية النوبة لمصر، إلا أنه قد توقف في عصر الملك "سخم كا رع، أمنمحات سنب إف". وقد تبين أيضا أن السلام قد عم النوبة السفلي وأنه قد استمر الاحتفاظ بمنطقة الجندل الثاني فترة حكم الأسرة الثالثة عشرة. ومن ناحية أخرى، فقد استمر نفوذ مصر في آسيا كما يوضحه ختم أسطواني من عصر الملك "سحتب إيب رع" الثاني باسم أمير ببيلوس "ياكين اليوم" ونقش غائر من عصر "نفر حتب" الأول يحمل اسم ابن ياكين المسمى يانتين والعديد من الأختام الأسطوانية والجعارين[٢].

٦) قوة سيطرة طبقة الوزراء وحكام الأقاليم من ناحية، وضعف سلطة الملك – في كثير من الأحيان – من ناحية أخرى، لم يمنع وجود تنظيم أدارى محكم ودقيق.

٧) استمر ملوك الأسرة الثالثة عشرة يحكمون مصر من "إيثت تاوي" منتهجين نفس سياسة الأسرة السابقة مع الاستمرار نفوذهم في النوبة إلي وادي حلفا.

---

[١] Id., *op. cit.*, p. 660. ; ولكن نقولا جريمال (تاريخ مصر القديمة، ١٩٩٣، ص ٢٣٨ و٥٠٣ ؛ و د.رمضان عبده على، تاريخ مصر القديم ج ١، ٢٠٠١، ص ٦٨٧) اختلفا **معه**.

[٢] Vandersleyen, C., o *p. cit.*, p. 158.

٨) تميزت الأسرة الجديدة بقصر مدد حكم ملوكها مما يوحي بتداول السلطة بين كبار أفراد العائلات الهامة في مصر مع استمرار لبيروقراطية الأسرة الثانية عشرة.

٩) سجلت بردية تورين أسماء ملوكها لا نعرف عنهم إلا القليل.

١٠) توقف تسجيل ارتفاع مستوي نهر النيل بداية من ثالث ملوكها "نفرحتب" الأول مما يجعلنا نظن ببداية الاضطرابات الداخلية لكن مع ملاحظة استمرار استغلال مناجم الفيروز بسيناء، والاتفاقيات التجارية مع لبنان الذي وصف حاكم جبيل نفسه بـ "خادم مصر".

١١) وجود ملوك آسيويين أو موالين للآسيويين ضمن ملوك الأسرة الثالثة عشرة فالملك " نحسي" أي الإفريقي[١] يصف نفسه " بحبيب ست سيد أواريس " والملك " أميني " الذي وصف نفسه " بالآسيوي " وقد عثر له على هرم بدهشور عام ١٩٥٧، يرجح أنه هو نفسه الملك السادس من ترتيب بردية تورين والمسمى "سعنخ أميني إنيوتف، أمنمحات". ومن ناحية أخرى فقد عثر على جعرانين للملك "حور ندج حر إنيوتف" المسمى أيضا بالآسيوي، بالقرب من قطنا بسوريا وفي عكا بفلسطين. وبني الملك "أوسر كا رع، خنجر" هرما صغيرا في سقارة، وكما يدل عليه اسم " خنجر " أنه غير مصري الأصل . هذا بالإضافة إلي قائمة طويلة من ٤٥ اسما كتبت على ظهر بردية بروكلين المؤرخة على الأرجح، من حكم الملك "سبك حتب" الثالث، وهي تحوى أسماء خدم آسيويين منهم الرجال والنساء والأطفال ويعملون بأكملهم عند فرد واحد مما يدل على وجود الآسيويين بكثرة بل وداخل منازل أثرياء مصر ورجالها المؤثرين.

١٢) يعتقد الكثير من علماء المصريات أن الملك "چد حتب رع، دودي مس" المذكور في بردية تورين هو نفسه الملك "توتيمايوس" الذي ذكر مانيتون أن غزو الهكسوس لمصر حدث في عهده، إلا أن "دودي مس" هذا هو آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة، فمن الجائز إذاً أن الاحتلال الذي يعنيه مانيتون كان احتلال منف وإيثت تاوي، وكان هذا إيذانا بسقوط النفوذ المصري في الدلتا ومصر الوسطي وبدء سيطرة ملوك الهكسوس[٢].

[١] يضع كلود فندرسلين الملك نحسيي في الأسرة الرابعة عشرة (Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 151-153)

[٢] انظر المرجع السابق ص **164** حيث يناقش المؤلف مشكلة توتيمايوس.

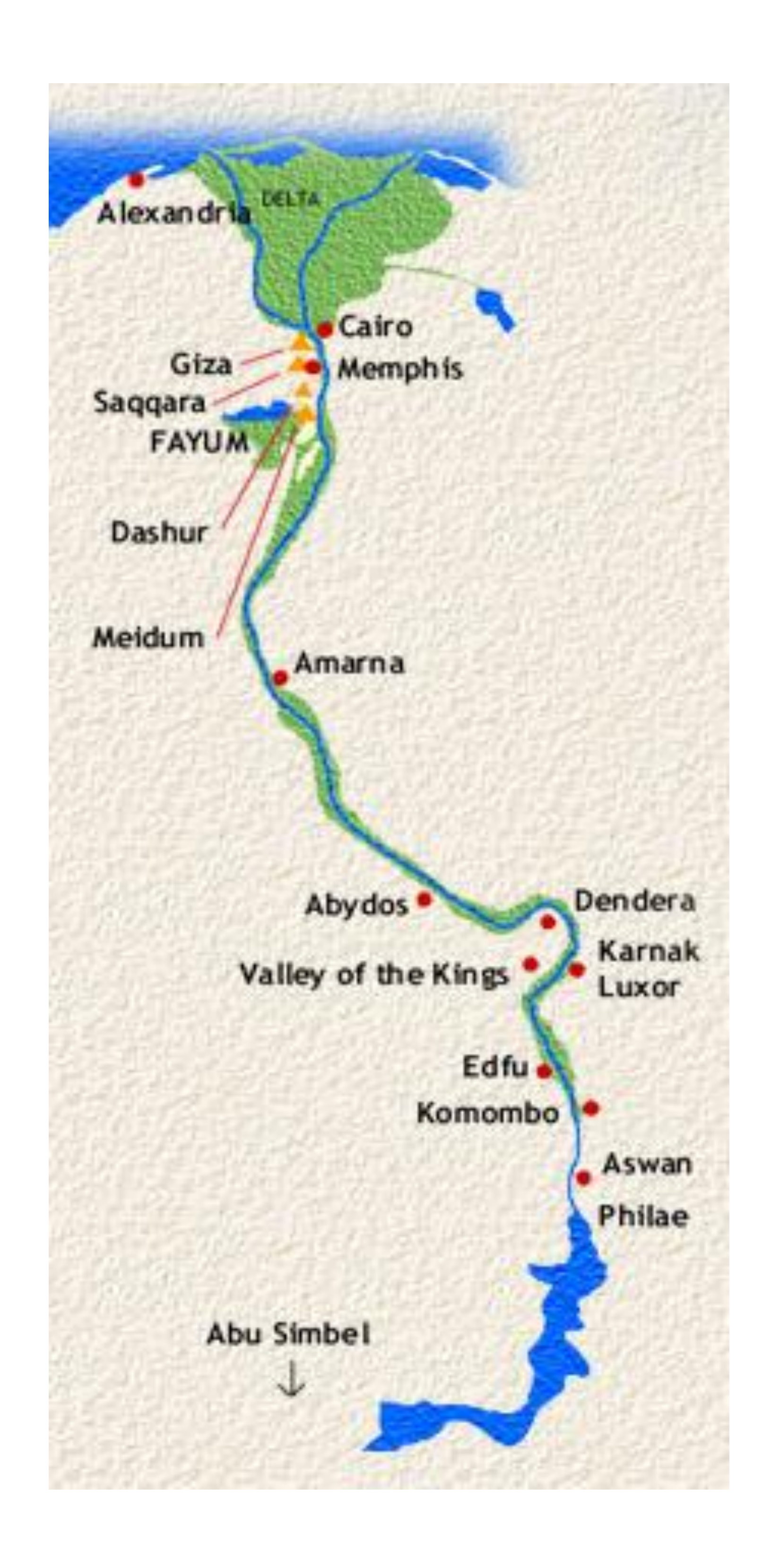
١٣) ومن الغريب أنه في هذه الفترة المضطربة استمرت مدرسة منف الفنية في إبداعاتها. وكان الفنان المصري في ذلك الحين قد انفصل عن واقعه وغرق في فنه وخرج علينا بنموذج رائع ممثلا في تمثال الملك "حور آو إيب" الموجود حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة الذي عثر عليه في مقبرته بصحراء سقارة[١].

١٤) استمر ملوك الأسرة الثالثة عشرة يحكمون مصر من "إيثت تاوي" منتهجين نفس سياسة الأسرة السابقة مع الاستمرار نفوذهم في النوبة إلي وادي حلفا.

وتنتهي الأسرة الثالثة عشرة بسلسلة من الحكام المحليين الموالين للهكسوس في الدلتا ومصر الوسطي والوطنيين في الجنوب.

---

[١] انظر Saleh, M., and Sourouzian, H., *Le Musée Égyptien du Caire*, 1987, 117.



أهم المدن القديمة بمصر

عصر الانتقال الثاني

١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م[١]

ويرى مانيتون أن فترة الانتقال الثانية دامت خمسة عشر قرنا، وهي الفترة التي فصلت ما بين نهاية الأسرة الثالثة عشرة وبداية الأسرة الثامنة عشرة[٢].

تنقسم هذه الفترة إلي ثلاثة عصور:

أولا: حكم الملوك الوطنيين، ويضم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة المعاصرتين والتي حكم مصر خلالها سلسلة من الملوك المصريين الذين احتار العلماء في إيجاد الترتيب المناسب لهم.

ثانيا: حكم الهكسوس وهو عصر الاحتلال والخضوع ويتضمن الأسرة الخامسة عشرة.

ثالثا: عصر الانتفاضة وحروب التحرير، وهو حكم المملكة الجنوبية التي تتضمن الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة التي بفضل ملوكهما الأقوياء استعادت مصر كرامتها وحرية أراضيها.

الأسرة الرابعة عشرة

كان ملوك هذه الأسرة أكثر غموضا من التي سبقتها، ويحدثنا مانيتون بأن عددهم ستة وسبعون ملكا حكموا ١٨٤ عاما وأن مقرهم كان مدينة سخا. وقد أشارت بردية تورين لهذه الأسرة، وذكرت أن عدد ملوكها أكثر من سبعين ملكا، أما قائمة الكرنك "تحوتمس" الثالث فلم تذكرهم على الإطلاق، ومن المرجح أن الأسرة الرابعة عشرة حكمت مصر في وقت معاصر

---

[١] اعتمدنا في التواريخ هنا على :

The Oxford History of Ancient Egypt, 2000, p.497 – 483.

[٢] تبدأ فترة الانتقال الثاني من الأسرة الخامسة عشرة وتنتهي بالأسرة السابعة عشرة في:

The Oxford History of Ancient Egypt, 2000, p. 481.

للأسرة الثالثة عشرة أو الخامسة عشرة[١]، وأنها استمرت مدة أطول من هذه الأخيرة، حددها هيس بثلاثين عاما[٢]. ومهما كان الأمر فمن المعتقد أن الأسرة الرابعة عشرة حكمت في مدينة سخا في الوقت الذي كان فيه شرق الدلتا خاضعا للهكسوس، أما طيبة وجزء كبير من الوجه القبلي فقد ظل تحت سيطرة البيوت المصرية الحاكمة أي الأسرة السابعة عشرة ومن قبلها الأسرة الثالثة عشرة.

الإدارة

وقبل الانتقال إلي عصر الهكسوس لا يفوتنا الإشارة إلي الإدارة والتقسيم الإداري خلال الأسرة الثالثة عشرة. وبرغم قلة الوثائق بل وندرتها، إلا أنها تعتبر مصدرا أصيلا للمعلومات يمكننا من معرفة القليل عن أحوال مصر وإداراتها خلال هذا العصر المضطرب والبالغ الأهمية.

أهم وثائق هذا العصر[٣]

١- برديات اللاهون

عثر في منطقة اللاهون على مجموعة برديات مؤرخة من نهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية الأسرة الثالثة عشرة، وقد تنوعت محتوياتها إلا أن ما يعنينا منها هي وثائق التعداد[٤] التي كتبت بدقه وعناية كبيرة، فمنها عرفنا أن تعداد الأفراد كان يتم في مكتب رئيس التعداد أمام موظف كبير ويسجل بواسطة كاتب التوثيق في حضرة ثلاثة من الشهود، جميعهم من موظفي الإدارة. جانب التعداد الخاص بالأفراد، كان هناك تعداد خاص بالدواب والماشية وآخر للممتلكات العقارية. ومن المحتمل، أن التعداد كان يتم بصورة دورية بحيث يسهل معرفة عدد السكان وحصر ثرواتهم بغرض فرض الضرائب المناسبة. وإلي جانب وثائق " التعداد " كانت هناك مجموعة كبيرة من وثائق " الوصايا " وهي مثل النوع السابق كانت تحرر أمام ثلاثة شهود، وتحفظ نسخة منها في الإدارة. وهنا يجدر بنا الإشارة هنا إلي برديات اللاهون كشفت عن وجود مكتب تبرعات الأهالي ويبدو أن مهمة هذا المكتب كانت تنحصر في جمع الهبات التي يدفعها

---

[١] *The Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p.481.

[٢] Hayes, W., *op .cit.*, p.15.

[٣] د. رمضان عبده على، نفس المرجع، ص ٧٠١ – ٧٠٧ .

[٤] تسمي أيضا برديات "كاهون" انظر اتيين دريوتون وجاك فانديه وترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ص ٣٣٤ –٣٣٦.

الأهالي للملك وهي نوع أخر من الضرائب، وهي تقابل ضريبة التاج في العصرين البطلمي والروماني.

٢ – بردية بولاق ١٨– ذراع أبو النجا، عثر عليها عام ١٨٦٠

وترجع هذه البردية إلي النصف الأول من الأسرة الثالثة عشرة[١]، وقد حررت بمعرفة كاتب طيبي يدعى "نفر حتب " مارس وظيفته أثناء وزارة "عنخو" الذي كلفه بوضع ميزانية البلاط الملكي حيث سجل بها المدفوعات والإيرادات يوميا لعمل موازنة يحدد فيها رصيد اليوم التالي وكانت المدفوعات نوعين:

أ) مصروفات عادية وتشمل مخصصات الدولة ومستحقات أفراد العائلة المالكة ومرتبات موظفي الدولة.

ب) مصروفات غير عادية وتشمل الهبات الملكية وهي المكافآت التي ينعم بها الملك على أفراد حاشية في الأعياد الدينية وغيرها من المناسبات.

وكان "نفر حتب" شديد الدقة، فكان يوضح أمام كل مجموعة من المصروفات الأمر الصادر إليه سواء أكان شفهيا أم كتابيا، فإذا كان الأمر شفهيا أضاف اسم الشخص الذي نقله إليه، وفي حالة ما إذا كان الأمر كتابيا وضح هذا في عبارة قصيرة.

أما الإيرادات فكانت تشمل الضرائب التي كانت تجمع بواسطة ثلاث إدارات، ومن هذه البردية يتضح لنا أيضا أن الملكة وأخوات الملك كن ضمن المستهدفين من الهبات الملكية وكما يبدو من النص، أنها كانت في مقابل أعمال وظيفية كن يقمن بها، إلا أننا لا نستطيع تحديد نوعية هذه الوظائف والمهام[٢]. وقد وضحت لنا البردية أيضا أن الوزير كان يعاونه ثلاثة مستشارين هم:

- قائد الجيش
- رئيس الزراعة
- كاتب السجلات الملكية

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٣٣٦ – ٣٣٨.

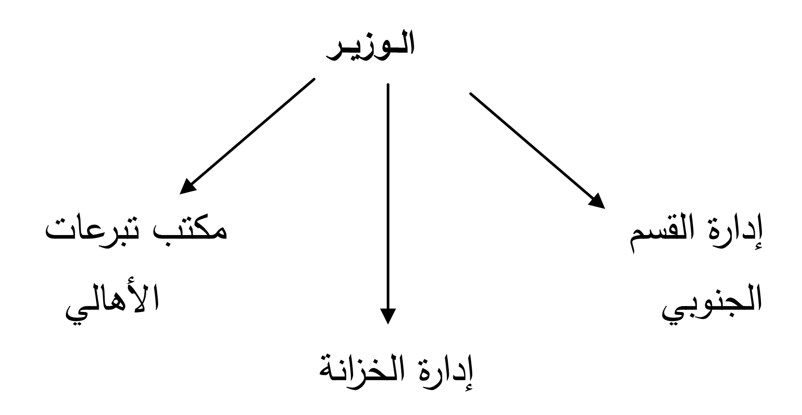
[٢] د. رمضان عبده على، نفس المرجع، ص ٧٠٣.

٣- لوحة المتحف المصري بالقاهرة رقم JE 51911

وضحت لنا هذه اللوحة أسماء الإدارات الثلاث التي كانت تختص بجباية الضرائب داخل الإقليم[١]:

١- إدارة القسم الجنوبي
٢- إدارة الخزانة
٣- مكتب تبرعات الأهالي

وخضعت هذه الإدارات الثلاث لسلطان الوزير



٤ – لوحة المتحف المصري بالقاهرة JE 52453 [٢]

وهي تحتوى على عقد يتنازل فيه حاكم إقليم الكاب عن وظيفته[٣] مقابل دين قديم مقداره ستون (دبنا) من الذهب. وكان حاكم الكاب قد ورث هذه الوظيفة عن أبيه الوزير (إمرو أو إيمرو) الذي ورثها بدوره عن أخيه المتوفى دون أولاد. وقد رفع النزاع إلي مكتب الوزير الذي قام بالاشتراك مع مكتب المشرف على الإدارة الشمالية بتسوية الأمر وإرضاء الطرفين. ومن هذه الوثائق الأربع نستخلص الحقائق التالية:

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٣٣٨ – ٣٣٩.
[٢] رمضان عبده على، معالم التاريخ المصري القديم، القاهرة د.ت، ص ٢٨٧ – ٢٨٨.
[٣] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

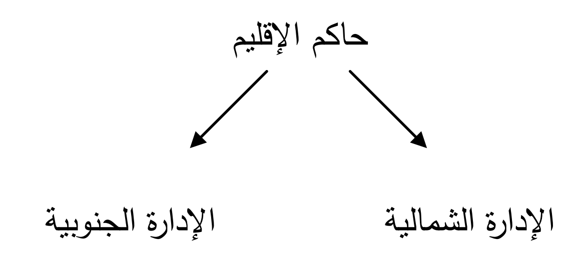
(١) أن النظام الإداري كان يرأسه الوزير الذي كان يهيمن على كافة شئون المملكة بل ورفض النزاع، وكان يعاونه في هذا ثلاث من المستشارين:

- قائد الجيش.
- رئيس الزراعة.
- كاتب السجلات الملكية.

(٢) كانت مصر مقسمة إلي أقاليم ويرأس كل إقليم حاكم، وكانت إدارة الأقاليم ثنائية أي أن كل إقليم كانت له إدارتان وهما:

- القسم الإداري الشمالي
- القسم الإداري الجنوبي

وكلمة شمالي وجنوبي هنا تشير إلي موقع الإدارة داخل نفس الإقليم. هذا بالإضافة إلي أن وظيفة الحاكم وراثية أي يتوارثها الخلف عن السلف مما يشير إلي مدى استقلالية هؤلاء الموظفين الكبار عن سلطة الملك ولكنهم في نفس الوقت كانوا يخضعون للوزير الذي يفصل في منازعاتهم.



(٣) نظام ضرائبي دقيق، بواسطة مكتب " التعداد " استطاعوا تحديد عدد الأهالي و حصر ثرواتهم.

(٤) نظام محكم لجباية الضرائب، ففي فترات محددة تقوم المكاتب الثلاثة المختصة بتقدير الضرائب تقديرا دقيقا وجبايتها. وكانت الدخول مقسمة إلي ثلاثة مستويات وهي: دخل عادى، دخل غير عادى، ودخل يومي[١].

هكذا كان النظام الإداري خلال الأسرة الثالثة عشرة محكما ودقيقا، إلا أن نقطة الضعف التي أدت إلي انهياره وبالتالي إلي انهيار وحدة مصر، كانت بلا شك، جمع السلطات في يد رجل واحد غير الملك وهو الوزير، أحد أسبابها الرئيسية، هذا بالإضافة إلي أن الحرية التي منحت لحكام الأقاليم هي التي أدت فيما بعد، إلي عودة نظام الإقطاع، فعندما سيطر الهكسوس على شئون مصر استقل حكام الصعيد ومصر الوسطي كل بإقليمه مع قبولهم دفع الجزية، فظلوا يحكمون مطمئنين في أقاليمهم البعيدة بينما فقدت مصر حريتها وتفككت وحدتها وكان ذلك إلي حين.

وكانت النتيجة الحتمية لاضطراب أحوال مصر وتفككها وضعف سلطة الملك أن سقطت مصر فريسة في يد عدو قوى، عرف باسم " الهكسوس ".

---

[١] رمضان عبده على، نفس المرجع، ص ٢٨٦.

الهكسوس

انفصمت وحدة مصر خلال عصر الانتقال الثاني، هكذا يتضح لنا من واقع كلمات آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية "كاموزه" (كامس) الذي قال: "لماذا أرضي بأن يشاركني الحكم رجل عظيم في أواريس وآخر في كوش". ولم تعد اللشت عاصمة للدولة، وأصبح لأمراء طيبة، بحكم موقعهم البعيد، الكلمة العليا. وبعد مائة وخمسين عاما تخللهم كفاح عظيم تأتي نهاية هذه المرحلة التعيسة بغزو "أحمس" ملك طيبة، لـ أواريس عاصمة الهكسوس في شرق الدلتا، وعودة الوحدة لمصر التي استمرت وحدتها حوالي أربعمائة عام أخري ثم بدأت مشاكل ذات طبيعة أخري[١].

رغم كثرة الأبحاث التي اهتمت بهذه الفترة الزمنية إلا أننا مازلنا عاجزين عن معرفة تفاصيلها، ومن الظواهر المحيرة أننا لا نملك من الوثائق التاريخية المعاصرة ما يوضح لنا هذا الغموض، ففي هذه الفترة عانت مصر لأول مرة في تاريخها القديم، مرارة الانقسام والاحتلال الأجنبي.

وقبل أن نتحدث عن هذه الحقبة التاريخية يجدر بنا أن نستعرض معا أحوال بلاد جنوب شرقي البحر المتوسط حيث كانت تعانى أيضا من عدم الاستقرار والغزو الأجنبي.

منذ عام ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بدأت الشعوب الهندوأوروبية تأتي من الشمال الشرقي من مواطنهم الأصلية في أواسط آسيا الصغرى لتستقر في العراق وسوريا. ومن خلال وثائق مدينة مارى السورية (تل الحريري على حدود العراق) عرفنا الكثير مما ترتب على هذه الهجرات من اضطراب في تلك البلاد والولايات، فاستولى الكاسيون أو الكاشيون على الجزء الشرقي من مملكة بابل، وأسسوا دولتهم. كما استولى الخيتيون الذين عرفوا فيما بعد باسم " الحيثيون " على آسيا الصغرى(الأناضول)، واستقر الحوريون أو الخوريون في سوريا الشمالية الشرقية وشواطئ الفرات، فكان من الطبيعي أمام هذا الاندفاع أن يحاول الساميون الإقامة في بلاد كنعان جنوبا، وقد تبعتهم مجموعات قليلة من الآريين. وفي نهاية المطاف جاءت هذه الموجة لتستقر في الدلتا.

---

[١] Bourriau, J. “The Second Intermediate Period”, in *The Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p. 185

يجدر بنا الآن أن نعرف من هم الهكسوس، وهذا على ضوء معلوماتنا الحالية القليلة، وقد اتفق المؤرخون على أن تسمية الهكسوس لم تعبر عن شعب محدد قدر ما عبرت عن صفة لمجموعة من الحكام أطلق عليهم المصريون لقب " حقاو خاسوت " بمعنى حكام الأجانب وحرفيا البلاد الجبلية. وقد حور المؤرخون القدامى من الإغريق أو المتأغرقين هذه التسمية إلي هكسوس، وهي كما شرح (مانيتون) كلمة مكونة من مقطعين (هك) بمعنى ملك و(سوس) بمعنى الرعاة، وترجمها يوسيفوس بمعنى" الأسرى الرعاة " ووصل بينهم وبين العبرانيين وافترض أن سيدنا يوسف عليه السلام دخل مصر في عهدهم.

وأطلقت النصوص المصرية على الآسيويين مترادفات أخري أشهرها "رتنو "و"عامو".
وبداية ظهور الهكسوس في مصر ترجع – كما سبق أن ذكرنا – إلي الأسرة الثانية عشرة فقد احتفظت لنا مناظر مقبرة "خنوم حتب" الثاني بمنطقة بني حسن بصورة هؤلاء الوافدين الجدد يقودهم رئيس يدعى " إبشا "[١].

ونكرر مرة أخرى، الهكسوس ليسوا جنسا واحدا بل كانوا خليطا من الأجناس منهم أموريون لما تضمنته أسماء البعض منهم من صبغة سامية، حيث عثر على أسماء " عبد"، "عنات "و " نحمان".

أورد مانيتون وصفا لما ارتكبه هؤلاء الرحل من بشائع، وما خلفوه من آثار لا تمحى في نفوس المصريين فقال[٢]:

" في عهد الملك توتيمايوس ولا أدرى السبب في ذلك، أصابتنا ضربة من الإله، ودون أن نتوقع جاءنا غزاة من جهة الشرق. من أصل مجهول ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الاستيلاء عليها بسهولة دون ضربة واحدة، وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رأفة، وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء قاس فذبحوا البعض واخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا عبيدا لهم، ثم عينوا أحدهم ملكا (ساليتيس). فأقام في منف وجني الإتاوات من الأقاليم العليا والسفلي تاركا حاميات في أحسن المواقع، وعلى الأخص حصن المنطقة الشرقية، إذ كان يتوقع أن يصبح الآشوريون يوما ما أشد قوة فيطمعون في مملكته ويهاجمونها، حيث انه وجد في مقاطعة (سترويبس) مدينة موفقة المواقع جدا، واقعة إلي الشرق من الفرع البوبسطي (نسبة إلي تل بسطة) وتسمى طبقا لرواية قديمة

[١] Newberry, P.E., *Beni Hassan* I, 1893, pl. 30-31.

[٢] أحمد فخري، مصر الفرعونية،٢٠٠٤، ص ١٩٣.

(أواريس). فقد أعاد بناءها وحصنها بأسوار منيعة جدا ووضع فيها علاوة على ذلك عددا كبيرا من الجنود المثقلين بالسلاح، وحوالي ٢٤٠,٠٠٠ جندي لحراستها وكان يأتي إليها كل صيف ليكيل قمحهم ويدفع أجرهم ولتمرينهم بعناية على الحركات الحربية ليبث الخوف في نفوس الأجانب".

هذا هو النص الذي كتبه مانيتون وأوردناه هنا، كما نقله المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، إذ لم يبق الزمن على النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون حتى يمكننا القول بأن ما ذكره يوسيفوس منقول بأمانة عن مانيتون أو دخله التحريف، وما مدى هذا التحريف لأنه من المعروف أن المؤرخ اليهودي رأى أن الهكسوس هم العبرانيون.

ولكن هناك من الوثائق المصرية غير المعاصرة بعض ما يزيد من معلوماتنا عن هؤلاء الوافدين الجدد[١].

١- بعد قرابة قرن من الزمان على طرد الهكسوس ذكرت الملكة "حتشبسوت" إحدى فراعنة الأسرة الثامنة عشرة على جدران معبدها المعروف باسم إسطبل عنتر جنوب المنيا – أن أولئك الغزاة لا يحبون الثقافة المصرية، وأنها أصلحت ما تخرب وأعادت بناء ما تهدم عندما كان الآسيويون يقيمون في أواريس في الدلتا وكان يعيش بينهم المتشردون الذين حطموا ما كان قائما، لأنهم كانوا يحكمون دون الإله رع ..." هكذا قال النص رغم أن العديد من ملوك الهكسوس حملوا اسم "رع"[٢].

٢- أقام الملك "رمسيس" الثاني من الأسرة التاسعة عشرة لوحته المعروفة باسم لوحة " الأربعمائة عام " (المتحف المصري بالقاهرة JE 60539) في عاصمته (بي رمسيس) إلا أنه عثر عليها في تانيس (صان الحجر) ومن المعروف أن هذه الأسرة عبدت ومجدت، إلي جانب آمون وست، و أقام الملك هذا النصب تخليدا لزيارة أبيه وجده للمدينة:

"ففي عهد الملك "حور إم حب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، عندما كان الجد "رمسيس" أحد قواد جيش "حور أم حب"، والأب "سيتي" ضابطا فيه وقد تمت

---

[١] Bietak, M. *LÄ* III,1980, 93 – 103 (Hyksos).

[٢] انظر الجزء الخاص بالملكة حتشبسوت.

هذه الزيارة في عام ١٣١٤ ق ٠م، وكان قد مضى على الإله ست في هذا المكان أربعمائة عام[١].

٣- ومن عصر الملك "مرنبتاح" ذكرت بردية سالية رقم واحد أن أرض مصر كانت في بؤس وشقاء ولم يكن يحكمها ملك قوى وحازم مثل "مرنبتاح". وبينما حكم "سقنن رع" طيبة تظلله حماية آمون رع وكان "أبوبي" يحكم في أواريس متخذا من ست سيدا له وكانت البلاد شملا وجنوبا تقدم له الجزية والقرابين[٢].

ومن نص مانيتون والوثائق الثلاث نستخلص الآتي:

١) حدد بدء حكم الهكسوس في مصر وتأسيس أواريس (حت وعرت) في شرق الدلتا بـ أربعمائة عام قبل عصر الملك "حور إم حب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة أي حوالي ١٣١٤ ق.م وبحساب بسيط نرى أن عام ١٧١٥ ق.م هو بدء إعلان تتويج الإله (ست) إلها في أواريس وبالتالي يوافق بداية سيطرة الهكسوس على البلاد.

٢) ربما مارس الهكسوس في بادئ الأمر، العنف والتدمير ضد المصريين وأهملوا متعمدين كل ما يتعلق بحضارة مصر وآلهتها، إلا أنهم قاموا - فيما بعد- بمحاولة فاشلة حاولوا بها التقرب من المصريين، فاتخذ ملوكهم ألقاب الفراعنة وتسمى البعض منهم بأسماء مصرية تتضمن اسم الإله رع، ولكنهم بدون أدنى شك، كانوا يحكمون دون رضا رع وكهنته الأقوياء كما أشار النص المنقوش على جدران معبد الملكة "حتشبسوت"[٣].

٣) اتخذ الهكسوس في بداية الأمر من (منف) مقرا لحاكمهم وشيدوا في أواريس حصنا عظيما به حاميه يبلغ عدد رجالها حوالي ربع مليون جندي مزودين بالسلاح ومدربين أحسن تدريب.

٤) انتقال ملك الهكسوس وبلاطه للإقامة في أواريس متخذا منها عاصمة لملكه.

٥) عبد الهكسوس الإله ست، واستمرت عبادة هذا الإله في شرق الدلتا إلي عصر الدولة الحديثة.

---

[١] Id., “Zur Herkunft des Seth von Avaris”, *Aegypten und Levante* I, 1990,p.6 – 19 (photo).

[٢] جوستاف لوفيفر ترجمة على حافظ، روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني، مجموعة الألف كتاب رقم ٦٦، د ت، ص ١٩٣ – ١٩٧.

[٣] Sethe, *Urk* IV, 390, l.36 – 37.

٦) حرية العبادة كانت مكفولة للمصريين، فلم يفرض عليهم الهكسوس عبادة آلهتهم أو حتى عبادة الإله ست.

٧) وجود حكام وطنيين يدينون بالطاعة للهكسوس ويدفعون لهم الجزية.

أواريس أو أفاريس (حت وعرت)

فرض الهكسوس سيطرتهم على البلاد ونقلوا عاصمة ملكهم إلي "أواريس" (في شرق الدلتا) التي لم يعد تحديد موقعها يثير المشاكل؛ ففي رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث الكندي (John van Seters, *The Hyksos a new Investigation.*, p.80) تناول فيها الباحث مشكلة تحديد موقع أواريس وأفرد لها فصلا كاملا انتهي فيه إلي أن الملك "رمسيس" الثاني انشأ مدينته الجديدة "بي رمسيس" على أنقاض "أواريس" الهكسوس. ودعم رأيه بالعديد من البراهين المقبولة، إلا أنه رفض رفضا قاطعا اعتبار تانيس (صان الحجر الحالية) الموقع الذي بنى عليه كل من الهكسوس و"رمسيس" الثاني مدينتهما "أواريس" و "بي رمسيس". ويرجح فان ستيرز أن موقع "أواريس" و"بي رمسيس" محصور في المنطقة التي تقع بين ختاعنة (بنى صريد مركز فاقوس) وقنتير. وأخيرا علينا أن ننوه أيضا بآراء أخرى كان لها في الماضي وجاهتها إذ اعتقد العديد من الباحثين فيما سبق، وعلى رأسهم سير آلن جاردنر، اعتبار تانيس (صان الحجر) و"أواريس" و"بي رمسيس" ثلاثة أسماء لمكان واحد. واعتبر أيضا نفر آخر من الباحثين تل اليهودية- ويقع بين تل بسطه وقناة السويس- أو قنتير هو الموقع الذي شيدت عليه "أواريس". ولكن الحفائر أثبتت الآن أن تل الضبعة وما حوله من عزب في شرق الدلتا، هو موقع "أواريس" الذي بنى على أنقاضه " رمسيس" الثاني مدينة " بي رمسيس"[١].

عبد الهكسوس الإله "سوتخ" الذي هو أحد مظاهر الإله المصري ست الذي عبد في شرق الدلتا منذ الدولة القديمة. وقد رأى الهكسوس فيه بعض مظاهر آلهتهم وعلى الأخص الإله الآسيوي "بعل، رشب" فإن رداءه ولباس رأسه الذي يخرج منه القرنان صورة مطابقة للآلهة الآسيوية[٢].

---

[١] Stadelmann, R., *LÄ* I, 1975, 552 -554 (Auaris); Bietak, M., *LÄ* VI, 1986, 321 – 323 (Biblio.); Bourriau, J., *op.cit.*, p. 186 – 195.

[٢] دونالد ريدفورد و ترجمة بيومي قنديل ، مصر وكنعان وإسرائيل، ٢٠٠٤، ص ١٨٦ – ١٨٧.

يعتقد نفر من الباحثين أن الحمار كان له شأن في عبادتهم، إذ أنه عثر عليه مدفونا إلي جوار بعض مقابرهم ولكن ليس هناك ما يؤكده [1]. ونستطيع تفسير هذه الظاهرة على أنها عادة قديمة احتفظ بها الهكسوس بعد استقرارهم، في مصر. هذا إلي جانب تفسير بعض العلماء للقب الملك "عا قنن" الذي ترجمه الدكتور نجيب ميخائيل في كتابه (مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول ١٩٦٠، ص ٣٣٣)، وليم هيس Hayes, W., "Egypt from) the death of Ammenmes III to Seqenenre II" in *CAH* 1965, p.19) والدكتور عبد الحميد زايد (مصر الخالدة، ١٩٦٦، ص ٤٦١) وقد ترجمه هؤلاء العلماء وغيرهم بمعنى " الحمار القوى "، إلا أنها ترجمة بعيدة عن الصواب ويجب فهم هذا الاسم بمعنى " العظيم القوى " أو " الكبير القوى ".

ويجدر بنا الآن مناقشة مشكلة مازالت قائمة، وهي مشكلة الأسلحة الجديدة التي مكنت الهكسوس من قهر المجموعات المصرية التي تصدت لهم دفاعا عن مصر، وأن كنا لا نعتقد أن الهكسوس جاءوا إلي مصر على شكل جيش غاز دخل البلاد بقوة السلاح، وإنما يرجح أنهم جاءوا على شكل مجموعات بشرية كبيرة دخلوا مصر واستوطنوا فيها وقد تم هذا على فترت زمنية متتابعة، وفيما بعد استقلوا بجزء من البلاد واختاروا أواريس في شرق الدلتا عاصمة لهم.

ولكن الدكتور عبد العزيز صالح (الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، الجزء الأول، الطبعة الثانية،١٩٧٦، ص ١٨٨) يرى أن جحافل كبيرة غزت مصر وأن الأموريين قد مهدوا على الأرجح لهذا الغزو، وكانوا قد تسربوا من قبل إلي شرق الدلتا ومنها ساعدوا الآخرين على الاستيطان بمصر. وجاء الهكسوس بأسلحة جديدة على المصريين مكنتهم من سهولة الغزو.

وهناك من يعتقد أن الهكسوس هم أول من أدخل الأسلحة البرونزية إلي مصر وكذلك الخيل والعربات الحربية، إلا أن الاكتشافات الحديثة أثبتت عكس هذا القول: فصناعة البرونز مثلا كانت معروفة في مصر منذ الدولة الوسطي حيث عثر على عدد قليل من الأسلحة البرونزية التي تثبت على الأقل أن المصريين استعملوا هذه المادة في صناعتهم للأسلحة قبل قدوم الهكسوس إلي مصر. وقيل أيضا أنهم ادخلوا العجلات، وانه لمن المعروف أن استعمال العجلات في مصر يرجع إلي الدولة القديمة إذ أنها استعملت، كما هو معروف، في دفع السلالم لتسلق أسوار الحصون.

---

[1] دونالد ريدفورد و ترجمة بيومي قنديل ، نفس الرجع، ص ١٨٤.

واعتقد فريق من العلماء أنهم أول من أدخلوا الحصان (إلي) مصر وأن هذا الحيوان كان من أسباب هزيمة المصريين، إلا أننا يجب أن نكون حذرين إزاء هذا الموضوع فقد عثر العالم الإنجليزي الراحل ولتر إمري في منطقة بوهن بالنوبة العليا، على هياكل عظمية لخيول دفنت في أحد الحصون المصرية، وحدد العالم الإنجليزي المستوى الذي تم فيه العثور على هذه الهياكل العظمية بعصر الدولة الوسطي، ولكن هناك من يعارض هذا القول ويرجع المستوى إلي عصر الدولة الحديثة. فهذا التضارب في الآراء يجعلنا دون شك – نأخذ جانب الحذر، فقد تؤيد الحفريات مستقبلا رأيا من هذه الآراء. ولكن هناك نفر من العلماء يعتقدون –دون شك – أنهم على صواب، أن الهكسوس قد امتازوا على المصريين في عتادهم لاستعمالهم الدروع الواقية التي كانوا يلبسونها فوق أجسادهم وباستخدامهم للقوس المركب في قتالهم وكان هذا النوع من الأقواس يمكنهم من الرماية أبعد من ذلك القوس الصغير البسيط الذي كان مستعملا في مصر قبل ذلك العهد[١].

ينقسم عصر الهكسوس إلي مرحلتين: ففي المرحلة الأولى كان الهكسوس عبارة عن مجموعة من القبائل استولت بالقوة على منف ومارسوا التدمير والسلب والنهب ثم أقاموا في شرق الدلتا واختاروا أحد زعماء القبائل الأقوياء ليكون رئيسا لهم، فتغلبوا على المصريين وقضوا على مقاومتهم.

أما في المرحلة الثانية وكانوا قد وحدوا من قوتهم وهزموا المقاومة فبسطوا نفوذهم على سائر أقاليم الدلتا ومصر الوسطي وصعيدها وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة والجزية، فكانوا يدفعونها صاغرين. ونجد مصر في هذه المرحلة على الصورة الآتية: الدلتا والوجه البحري يحكمه الهكسوس، ومصر الوسطي يحكمها على الأرجح أمراء مصريون موالون للهكسوس، أما الوجه القبلي فكان يحكمه أمراء وطنيون اكتفي الهكسوس بقبول دفعهم الجزية والضرائب دون التدخل في شئون ممالكهم، ولكن على ألا يثيروا المتاعب، وفي هذه الفترة أو قبلها استقلت النوبة عن مصر وحكمها أحد أبنائها.

أدى وقوع مصر تحت سيطرة الهكسوس لردود فعل عميقة أصابت الكبرياء المصري في الصميم، فحطم هذا الشعور بالطمأنينة وزعزع ثقة المصريين بأنفسهم ومحا من أذهانهن فكرة التفوق المصري فاستسلموا بعد مقاومة هزيلة للحكم الأجنبي. ولكن هذا الشعور السلبي لم يدم

---

[١] د. رمضان عبده على ، تاريخ مصر القديم الجزء الثاني، ١٩٩٧، ص ٢٢ – ٢٣.

طويلا خاصة وأن هؤلاء الدخلاء عجزوا عن تغير التقاليد الفنية واللغوية والدينية والروحية في مصر والتأثير فيهم، بل بالعكس تأثروا هم وتطبعوا بها.

واستمر المصريون يدفعون الضرائب والجزية إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يستعدون لحروب التحرير، وقد استغرق هذا قرنا من الزمان، حتى شعروا بقدرتهم على لقاء العدو فهبوا تحت زعامة البيت الطيبي، وكانت الانتفاضة.

ملوك الهكسوس

قدم لنا مانيتون والأفريقي . إلي جانب الأسماء المنقوشة على الجعارين . أسماء عديدة لملوك الهكسوس الذين حكموا مصر.

فمثلا قسم مانيتون ملوك مصر في عصر الهكسوس إلي ثلاث أسرات منهم أسرة واحدة حكامها من الهكسوس:

- الأسرة الخامسة عشرة، وتتكون من ستة ملوك هم على الأرجح أهم ملوك الهكسوس، وحكموا حسب بردية تورين حوالي ١٠٨ عاما، أولهم كان الملك "ساليتيس"[١] "سم قن"[٢].
- الأسرة السادسة عشرة عدد ملوكهم 14 ملكا وهم في الغالب كانوا من المصريين[٣].
- الأسرة السابعة عشرة وتنقسم إلي جزئيين، يبدأ الجزء الأول بحكم الملك "رع حتب" وينتهي بالملك "سبك إم ساف". أما الجزء الثاني فيبدأ بحكم "تاعا" الأول وينتهي بالملك "كامس" كاموزا"[٤].

وهكذا نرى أنفسنا أمام جدول طويل يحمل العديد من أسماء ملوك الهكسوس، إلا أن أشهرهم ثلاث ملوك، وقد عثر لهم على آثار كثيرة في أماكن متفرقة من مصر: تماثيل وأحجار

١ *The Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p. 481.

٢ Dodson and Hilton, *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 114.

٣ Id., *op.cit.*, p. 116.

٤ Id., *op.cit.*, 116.

منقوشة وبعض المخلفات البسيطة مثل خنجر من البرونز عثر عليه في مقبرة شخص يدعى " عبد" بسقارة ونقش عليه اسم أحد الأشخاص ويدعى "نحمان"[١].

ونذكر من ملوك الهكسوس المعروفين الملك "خيان" الذي حكم حوالي نصف قرن من الزمان وحمل ألقابا عديدة منها (حقا خاسوت) وتسمى بلقب " ابن الشمس " و "الإله الطيب " مثل ملوك مصر السابقين واللاحقين، وقد عثر له على آثار متفرقة في مصر وسوريا وفلسطين والعراق وكريت مما جعل البعض يظنون بأن الهكسوس كانت لهم إمبراطورية واسعة تضمنت هذه البلاد وبعضا من جزر البحر المتوسط، إلا أن هذه الآثار صغيرة الحجم ويسهل نقلها وهي في الغالب عبارة عن سلع تجارية.

حكم الهكسوس مصر مدة لا تزيد بأية حال من الأحوال عن قرن وبضع سنوات، فلم يتركوا لنا خلالها إلا مخلفات يسيرة منها أنواع متواضعة من مشابك الشعر والحلي والجعارين ذات حلزونات والرسوم المتشابكة والرموز الهيروغليفية الرائعة، كذلك الفخار الملون والمشكل على هيئة طائر[٢]، كما ظهر في عصرهم وحدة موازين جديدة، هذا فضلا عن انتشار الخيول والعربات الحربية والدروع والأقواس المركبة.

وقد لوحظ أن النماذج الباقية من آثارهم قليلة العدد وأن عصرهم في مجمله لم يترك ما يؤثر في تطوير الفنون وهندسة المعمار، وذلك إلي الحد الذي تطابقت معه الروح الفنية لآثار العصر الأخير من الدولة الوسطي وأوائل الدولة الحديثة.

الأسرة السابعة عشرة أو الانتفاضة

١٥٨٠-١٥٥٠ ق.م

---

١ Von Beckerath. J., *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, 1984, p. 77, 216 -217; Redford, D.B., *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient times*,1992. p. 106 – 111; Vandersleyen, C., *op. cit.*, 662.

٢ كتالوج معرض فينا : *Pharaonen und Fremde, Dynasten im Dunkel, 8 Sep*. - *23 Okt.* 1994.

أمدتنا بردية أبوت (Abbott)المحفوظة الآن بالمتحف البريطاني بلندنEA 10221، بأسماء ملوك شملت مقابرهم تحقيقات "سرقات المقابر الملكية". وتبدأ التحقيقات بزيارة مقبرة الملك "أمنحوتب" الأول وتنتهي بمقبرة الملك "نب حبت رع، منتوحتب". وتتضمن أسماء بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة. وترجع هذه البردية إلي عصر الملك "رمسيس" التاسع من الأسرة العشرين و هم:

- نب خبرو رع، إنيوتف السابع
- سخم رع أوب ماعت، إنيوتف السادس
- سخم رع هرو حر ماعت، إنيوتف الخامس
- سخم رع شدو تاوي، سبك إم ساف الثاني
- تاعا الأول[١]
- تاعا الثاني
- كامس (كاموزا)

ومن المؤكد أن هذه ليست بقائمة كاملة لأسماء الأسرة السابعة عشرة كما أن ترتيب كتاباتهم ليست بالترتيب الزمني. ومن الواضح أن كاتب البردية اتبع ترتيب الزيارة التي قام بها المحققون للمقابر الملكية المنهوبة في ذراع أبو النجا. لذا قام بعض العلماء بدراسات عديدة، وقدموا فيها اقتراحات منها قائمة بأسماء ملوك الأسرة وترتيبهم الزمني وأهمهم بورجن فون بكرات[٢]، دودسون وهيلتون[٣].

وللأسف أن الملوك الأُول المتصدرين للقوائم المعترف بها لم يتركوا من الوثائق أو النصوص ما يمكننا من التحدث عنهم. ويبدو أن مهمتهم كانت من جهة، تنظيم أمور مملكتهم الصغيرة، وأن يكونوا رمزا لاستمرار القومية المصرية، وأن يشحنوا في رعاياهم الشعور بالوطنية ويؤهلوهم لقيادة الثورة ضد الهكسوس. ومن ناحية أخرى ظلت صلة ملوك طيبة بالهكسوس في أواريس صلة ولاة بحكامهم. ومن الوثائق الهامة لهذا العصر ما يسمى بمرسوم اللعنة أو مرسوم "

---

[١] 1 , يتكرر في البردية اسم الملك تا عا فهل هو إشارة لوجود قبر لملك آخر يحمل نفس الاسم ؟ انظر ملحوظة كلود فاندرسلين:
Vandersleyen, C., *op. cit.*, p.179.

[٢] Von Beckerath, *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, 1984 p.81 – 83.

[٣] Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 116 -129.

قفط " (جنوب قنا) وهو وثيقة معاصرة تشير إلي جريمة ما ارتكبت في معبد الإله " مين " ببلدة قفط، ويؤرخ بالعام الثالث من حكم الملك "نب خبر رع، إنيوتف" (الخامس): "... ... ...، أما كل ملك للوجه القبلي وكل رئيس يعطف عليه (على الجاني تيتي ابن مين حتب) فلن يستطيع أن يتسلم التاج الأبيض تاج الوجه القبلي ولا أن يعصب التاج الأحمر (تاج الوجه البحري) ولن يستطيع أن يجلس على عرش حورس الأحياء ولن تكون الإلهتان (واجت الكوبرا ونخبت الرخمة) رحيمتين به كما تكونان لمن تحبانه. أما كل مأمور وكل موظف يتشفع له أو لعشيرته لدى الملك فإن أملاكه وأراضيه تعطى ملكا لأبى مين، رب قفط"[١].

وبناءً عليه يمكننا أن نعتقد أنه كان في ذلك الوقت عدة ملوك للوجه القبلي، وربما كان في الإمكان أن يصل الإنسان إلي السلطة بمجرد الانتخاب دون الاشتراط بأن يكون من دم ملكي؟ وربما كان أيضا في كل مقاطعة ملك منتخب من هؤلاء الملوك، ومن المؤكد أن أولئك الملوك كانوا مرؤوسين وتابعين لملك طيبة الذي كان له الحق في التدخل في شئونهم. ولكن چان يويوت (ترجمة سعد زهران " مصر الفرعونية " ص ١٠٢– ١٠٣) يرى عكس هذا، فيقول: " أن هذه الوثيقة تثبت بخلاف الشائع أن الملكية حينذاك لم تكن بالانتخاب، كما تثبت أنه لم يكن هناك أكثر من ملك مصري في مملكة الجنوب بل أن ملك طيبة كان يفرض سيطرته على كل الأقاليم التابعة له"، ويضيف يويوت أن ملوك الأسرة السابعة عشرة لم يتمتعوا إلا بنفوذ ضئيل على الأقل حتى حكم الملك "سبك إم ساف" الثاني، ويرجح المؤلف أن هذا الملك هو الذي دفع بنفوذ الهكسوس إلي شمالي مدينة القوصية ويستحق بذلك لقب " منقذ طيبة ". وأنه في رعاية آمون تولى تدعيم استقلال الإمارات الجنوبية الملوك الثلاثة الذين عرفوا باسم "إنيوتف" والملكان اللذان تسميا باسم "تاعا"، وأن الأسرة السابعة عشرة واصلت الشرائع والتنظيمات الاجتماعية للدولة الوسطي مثل منصب الوزير، وتنقسم البلاد إلي إدارتين "واعرت" واحتفظوا بنظام حكام المدن. وإلي جانب لقب حاكم الإقليم وجد منصب عسكري برتبة " ابن ملكي " وذلك لمواجهة الهجوم الأجنبي على المملكة[٢].

ويرجح أن النضال الحقيقي بدأ في عهد "**سقنن رع، تاعا**" **الثاني** حاكم طيبة بينما حكم في "أواريس" ملك يدعى "أبوبي" أو "أبوفيس" ونعتمد في قولنا هذا على بردية ساليه رقم واحد وهي عبارة عن تمارين كتبها طالب مصري يدعى "بنتاؤر" خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد من عهد الملك "مرنبتاح" وهي تروى لنا أن جنوب مصر كان يحكمه الملك المصري "سقنن رع"

---

[١] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 186 -187.

[٢] جان يويوت ترجمة سعد زهران، مصر الفرعونية، مجموعة الألف كتاب ٦٠١، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٠٢ – ١٠٣.

الذي كان مقره طيبة وكان يعبد آمون رع بينما حكم ملك من الهكسوس في أواريس وكان يتعبد إلي الإله "سوتخ" (ست) وبعث ملك الهكسوس برسول إلي "سقنن رع" يطلب منه إسكات أصوات أفراس النهر الموجودين في البركة التي تقع في شرق طيبة، لأن ضجيجهم يحرمه النوم وهو في مدينته أواريس ويغلب على الظن أنه كان يعنى ضجيج أفراس النهر نشاط رجال "سقنن رع" الذين كانوا يقومون بالتدريبات استعدادا للدفاع عن مصر وتحريرها[١].



رأس مومياء الملك "سقنن رع" موضحا عليها الجروح القاتلة

نقلا عن CGC

وقد عامل الملك المصري رسول الهكسوس معاملة طيبة وحمله بالهدايا ثم جمع كبار رجاله ورؤساء جيشه ليتشاوروا في الأمر وهنا تنتهي البردية دون أن تعطينا المزيد من التفاصيل التي توضح لنا هذه الفترة التاريخية. ونفهم من هذه القصة انزعاج ملك الهكسوس من النشاط المعادى له في طيبة، وربما قد تطور الموقف وهب المصريون يحطون لواء الحرب ضد الهكسوس بقيادة "سقنن رع"، لأنه من المعروف أن هذا الأخير مات مقتولا وأن مومياءه المحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة، تحمل من الجروح القاتلة ما يجعلنا نعتقد بأنه قد استشهد في إحدى المعارك ضد الهكسوس[٢].

بعد استشهاد الملك "سقن رع، تاعا" حمل من بعده ابنه[٣] "**كامس**" **أو (كاموزا)** لواء الكفاح ، وقاد المصريين في حروبهم ضد المحتل المغتصب لجزء من أرض مصر، وصورت جهاده لوحتان[٤] أقامهما بالكرنك[٥]، إحداها محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة[١] والأخرى

[١] جوستاف لوفيفر ترجمة د. على حافظ، روايات وقصص مصرية من العصر الملك، مجموعة الألف كتاب (٦٦)، د.ت، ص ١٩٣ – ١٩٧ ؛
Goedicke, H., *The Quarrel of Apophis and Seqenenre'*, San Antonio, Van Siclen Books, 1986.

[2] Bourriau, J., " The Second Intermediate Period" in *Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p.210 .

[3] يري كلا من دودسون وهيلتون (*op.cit.*, p. 124 -126) فيه أخا أصغر لسقنن رع تاعا الثاني.

[4] Vandersleyen, C., *LÄ* III, p.306 – 308 (Kamose).

[5] PM II, 37 and 73

حفظت بمخازن معبد الكرنك[2]، بالإضافة إلي ثالثة خشبية صغيرة تحمل نصا هيراطيقيا كتبها طالب مصري وتعرف باسم لوحة كارنرفون TC، مؤرخة من العام الثالث من حكم "كامس" (كاموزا)[3].

يبدأ النص بالعام الثالث لحكم "كامس" ثم يلي هذا صفاته وألقابه الملكية، بعدهم يروى النص: "... ... ...، كان جلالته في القصر وقال للمجتمعين من كبار رجاله الذين كانوا حوله: أريد أن أعرف مدى سلطاني. إذا كان هناك حاكم في أواريس وآخر في كوش وأجلس شريكا بين آسيوي وأفريقي ويحكم كل منا على جزء من مصر أن هذا الذي يشاركني في الأرض يجعلني لا أستطيع الوصول إلي منف وهي تابعة لمصر لأنه يتحكم في مدينة الأشمونين والناس في هم لأنهم جميعا في خدمة الآسيويين، سأحاربه وأبقر بطنه لأن رغبتي هي أن أخلص مصر وأسحق الآسيويين "ورد عليه رجال الحاشية بقولهم: " انظر أن نفوذ الآسيويين يمتد حتى القوصية " ثم أضافوا " ولكننا في طمأنينة، ونحكم مصر والفنتين بخير وجميع البلاد حتى القوصية إلي جانبنا ولم يأخذ أحد ماشيتنا غصبا، ولم يعتدي علينا معتدى، إنه يحكم الآسيويين ونحن نحكم على أرض مصر. أما إذا جاءنا أحد واعتدى علينا فإننا نقاومه" وهنا ضاق "كامس" بكلام أهل البلاط ورد عليهم قائلا: "سوف أحارب العامو (الهكسوس) وسوف يحالفني النجاح، وإن تباكي بعضهم فإن البلاد سوف ترحب بي، أنا الحاكم الجسور في طيبة، أنا "كامس" حامي مصر".

وبعد أن أمن "كامس" ظهره بحملة على النوبة بالاستيلاء ربما على بوهن ووصوله إلي كرما جنوب الجندل الثالث، انطلق "كامس" بجيشه المصري نحو الشمال يتقدمه فريق من (المجاو) أي النوبيين الذين دانوا له بالولاء. وكانت أولى معاركة في مدينة نفروسي (مدينة بالنصورة الحالية) على حدود إقليم الوعل الشمالية (محافظة المنيا) والتي كان يسكنها المدعو تيتي ابن بيبي الذي جعل منها عشا للآسيويين، وانتصر كامس وخرج الجيش المصري في أولى معاركة ظافراً، منتصرا[4].

وشجعه هذا الانتصار الأول على استمراره في التقدم والكفاح، الكفاح الذي تحدثت به نصوص في الكرنك والتي نددت بالهكسوس وهزيمتهم أمام "كامس" ووصفت خوفهم من جيشه

---

[1] Temp. No 11.1.35.1.

[2] PM II, p. 37.

[3] HELCK, W., *Historisch-biographische Texte der 2. Zwischenzeit und neue Texte der 18. Dynastie*, *KÄT*, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1975, nº 119; Habachi, L.,"The Second Stela of Kamose and his Struggle against the Hyksos Ruler and his Capital", *ADAIK* 8,1972.

[4] Bourriau, J., *op.cit.*, p. 208 – 212.

المصري بقولها: "نساء أواريس لن يلدن" وذكرت هذه النصوص أن جنود كامس قبضوا على رسول من الهكسوس عند طريق الواحات، على الأرجح الواحة الخارجة[١]، كان متجها نحو كوش حاملا رسالة من "أبوبي" يحرض فيها أمير كوش على مهاجمة المصريين من الجنوب. ويفهم من النصوص الملكية أن كامس قد شن حملة مفاجئة على أرض كوش وأجبر أميرها على قطع الإمدادات التي كانت تصل إلي الهكسوس عن طريق النيل ودخل معهم في معركة نيلية استولى فيها على ثلاثمائة سفينة كانت محملة بالنفائس وفؤوس القتال المصنوعة من النحاس والكثير من الدهون والزيوت ...الخ.

وهكذا نرى أن "كامس" أمن جانبه الجنوبي واستطاع أن يوحد جهوده لتحرير الشمال بل ويتقدم في اتجاه "أواريس"، ولكن يبقى السؤال هل استولى كامس على منف و"أواريس" أم اكتفي بأن جعل نفوذ الهكسوس يتقهقر وأن تدخله في الشمال كان جزئيا؟

ويعود "كامس" (كاموزا) من معاركه منتصرا إلي طيبة حيث يأمر بوضع النُصب التذكارية بمعبد الكرنك، وبعدها يختفي كامس اختفاءا مفاجئا ومازلنا إلي الآن لا نعرف كيف كانت نهاية هذا الشاب الجسور، الذي كان له الفضل في دفع حروب التحرير إلي مرحلتها الحاسمة، محققا لمصر انتصارا عظيما، يضعه في مصاف الأبطال الخالدين. إلا أننا لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من التساؤل هل قتل كامس في احدي المعارك أم نتيجة لمؤامرة دبرت ضده؟ ولكن الإجابة على هذه الأسئلة ليست في متناول أيدينا، وربما في المستقبل القريب وباكتشاف نص أو أثر جديد، نستطيع تفهم الأمور بطريقة أوضح.

اختلفت الآراء حول عدد سنوات حكم "كامس" (كاموزا) إلا أن أعلى تاريخ عثر عليه هو العام الثالث ويرجح أن مدة حكمه لم تمتد طويلا.

عثر "لكامس" على ثلاثة أسماء حورية مختلفة توضح، في رأينا، مدي ما حققه خلال فترة حكمه القصير:

١. **خع حر نست إف** أي "الذي يشرق فوق عرشه".
٢. **نفر خاب تاوي** أي "الذي انحنت له الأرضان".
٣. **سچفا تاوي** أي "الذي يطعم الأرضيين".

---

[١] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 194 nº 1.

أما اسمه النبتي فهو **وحم منو** أي"مجدد التحصينات" ولكن اللقب الذي تردد على آثاره هو **حقا** أي "الحاكم" متبوعا أحيانا بنعت **نخت** أي "القوي" أو **قن** "الشجاع" أو بـ **عا** أي "العظيم".

وكما يتضح من هذه الألقاب أن كامس (كاموزا) قد اقتصر دوره في هذه المرحلة على القضاء على انقسام البلاد التي تفتت وحدتها ومد سيطرته، على الأقل، على النوبة ومصر الوسطي وبني التحصينات الضرورية ووفر الغذاء لأهلها.

دفن "كامس" (كاموزا) في تابوت ريشي غير ملكي (المتحف المصري (JE 4944)، بجبانة ذراع أبو النجا، وظلت المقبرة سليمة إلي عهد "رمسيس" التاسع (بردية أبوت) وفي عام ١٨٥٧ تم العثور علي التابوت وبداخله موميائه التي تحولت إلي كوم من التراب بمجرد فتح التابوت وتعرضها للأوكسجين، كما عثر له أيضا على بعض المقتنيات منها خنجر محفوظ حاليا ببروكسل.

أحمس قاهر الهكسوس

يقود "أحمس" الجيش المصري ويكمل الكفاح الذي بدأه أبوه "سقنن رع، تاعا" ومن بعده "كامس"، ويحرر مصر من الهكسوس.

لم تصلنا أية نصوص ملكية تروي لنا انتصارات الملك أحمس، ولكن لحسن الحظ وصلتنا نصوص معاصرة للأحداث وهي نصوص مقبرتي القائد أحمس بن أبانا بمنطقة الكاب، لتروي لنا هذه الأحداث الخطيرة[١].

ويحدثنا القائد "أحمس بن السيدة أبانا" عن نفسه قائلا أن أباه بابا كان أحد ضباط الملك "سقنن رع" وكيف أنه نفسه بدأ ضابطا صغيرا على سفن القتال وأنه أبلى بلاءاً حسنا في المعارك وسلك مسلكا بطوليا أثناء حروب التحرير فرقاه الملك حتى بلغ مرتبة قائد بحري.

ذكر أحمس بن أبانا أنه اشترك مع الملك "أحمس" الأول في محاصرة مدينة الهكسوس " حت وعرت"، "أواريس"، التي سقطت بعد ثلاث حملات. وبسقوطها هجرها الهكسوس وعبروا سيناء متجهين إلي فلسطين فتتبعهم الملك أحمس بجيشه حتى استقروا في مدينة "شاروحين" في جنوب غرب فلسطين، فحاصرها المصريون ثلاث سنوات متتالية حتى استسلمت هذه المدينة.

وبعد انتهاء الحرب كافأ الملك "أحمس" القائد أحمس بن أبانا بمنحه نوط " ذهب الشجاعة " كما أغدق عليه من المال والأراضي قدر سبعين فدانا، وكذلك عددا من الرقيق. ويذكر أيضا هذا النص المعاصر أن المعارك دارت في البر والبحر عدة مرات ويفهم منه أيضا أن المصريين استولوا أولا على منف ثم اتجهوا إلي أواريس فاقتحموها عنوة ودمروها وأسروا وأجبروا غالبية أهلها على الفرار ثم تتبعوهم عبر سيناء إلي أن تم حصارهم في مدينة "شاروحين". أما يوسيفوس المؤرخ اليهودي فله رأي مختلف حيث يذكر أن جلاء الهكسوس عن مصر تم بطريقه أخرى، فيقول أنهم استسلموا لأحمس الأول بشرط أن يتركهم المصريون يغادرون مصر آمنين وفعلا تم لهم ذلك وخرجوا منها بأمتعتهم وكانوا يبلغون من العدد حوالي مائتين وأربعين ألف فرد.

وهكذا نجد أنفسنا أمام روايتين متعارضتين في الإقرار بطريقة خروج الهكسوس من مصر، ومن المرجح أن النص المصري هو الأصدق، فكيف يكون خروج الهكسوس تم برضاء من الملك المصري الذي يؤمنهم على أنفسهم من ناحية ويتتبعهم بجيوشه ويحاصرهم حيث يستقرون وذلك طوال ثلاث سنوات حتى يأمن شرهم. فمن الواضح أن يوسيفوس أراد أن يدعم

---

[١] Sethe, *Urk* IV, 1-11.

بطريقة ملتوية نظريته القائلة بأن الهكسوس ليسوا سوى بني إسرائيل وأن خروجهم من مصر يجب أن يؤرخ بعهد الملك "أحمس" الأول . إلا أننا مازلنا بعيدين كل البعد عن تحديد العصر الذي خرج فيه موسى عليه السلام بقومه من مصر وأن محاولة يوسيفوس ليست سوى طريقة سهلة لتأريخ الأحداث، فبين عصر جلاء الهكسوس وخروج بنى إسرائيل مفارقات كثيرة من الأحداث التاريخية.

وقبل مناقشة الفترة الثانية من حكم أحمس الأول يجدر بنا أن نستعرض أولا تاريخ مدينة طيبة، مهد الثورة ومدينه آمون التي لعبت دورا كبيرا أبان الدولة الحديثة. وشيد الملوك على أرضها أعظم وأجمل المعابد والقصور واختاروا تلالها مكانا لنحت مقابرهم ومقابر موظفيهم العظام.

الدولـة الحديثـة

١٥٥٠–١٠٦٩ ق.م

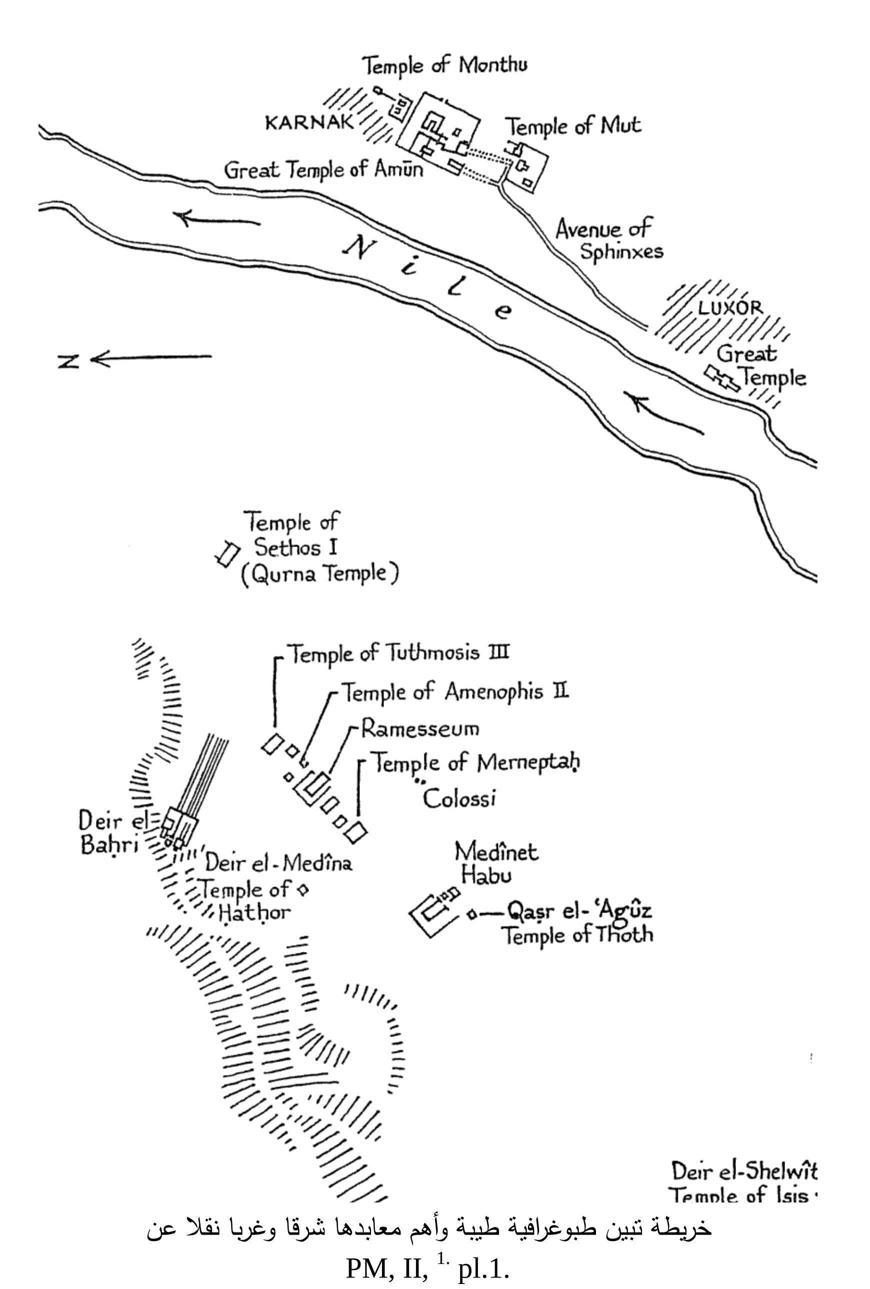
طيبــة

طيبة[١]هي مدينة الأقصر الحالية، أما كلمة طيبة فهي تسمية إغريقية ظهرت لأول مرة في قصائد هوميروس، وقد أطلق الإغريق عليها اسم طيبة عندما لاحظوا أنها تتشابه مع مدينتهم اليونانية التي تحمل نفس الاسم. وهناك من الآراء ما يظن أن اسم طيبة ليس إلا تحريفا للاسم المصري القديم "تا أيبت" الذي يعنى " الحريم " وذلك نسبة لـ " حريم " الإله آمون الذي كان مقره هذه المدينة.

---

[١] Stadelmann, R., *LÄ* VI, 1986, p.465 – 473 (bibliogr.)

كلير لالويت، ترجمة ماهر جويجاتي، طيبة أو نشأة إمبراطورية، المجلس الأعلى للثقافة ٩٨٣، القاهرة ٢٠٠٥.



خريطة تبين طبوغرافية طيبة وأهم معابدها شرقا وغربا نقلا عن
PM, II, [1.] pl.1.

وقد أطلق الإغريق على طيبة اسما آخر، هو " المدينة ذات المائة باب " كما أسموها "ديوس بوليس ماجنا " أي "مدينة زيوس الكبري" مشبهين في هذا إله طيبة آمون بزيوس إله اليونان.

عرفها المصريون في العصور القديمة بعدة أسماء، فقد أطلقوا عليها اسم " المدينة " اعتزازا منهم بمركزها واعتقادا منهم بأنها أهم مدينة في مصر. وأحيانا كانوا يطلقون عليها " المدينة الجنوبية " للتمييز بينها وبين منف التي تقع في شمال مصر. وقد سميت طيبة أيضا باسم " مدينة آمون " و " واست " و " أون الجنوبية " ونعتت باسم " سيدة كل المدن " نسبة إلي المركز المرموق الذي شغلته بين مدن مصر.

أما الاسم الحديث "الأقصر" فقد أطلقه العرب على المدينة وهو جمع لقصور لكلمة قصور فقد وجد هؤلاء الوافدون الجدد في معابدها وهياكلها قصورا شامخة.

طيبة هي عاصمة الإقليم الرابع من أقاليم الوجه القبلي، الإقليم الذي سمي بأكمله بأحد أسمائها وهو " واست " أي الصولجان.

لكننا لا نعرف الكثير عن نشأتها فمن المعروف أن موقعها كان آهلا بالسكان منذ العصر الحجري القديم، إذ وجدت على سطوح تلالها المطلة على وادي الملوك بعض الأدوات البدائية المشكلة من حجر الظران. ولكن من المؤكد أنها كانت ذات أهمية في عصر الأسرة الرابعة وبالتحديد في عهد الملك "منكاورع" الذي عثر له في معبده الجنائزي بمنطقة أهرامات الجيزة على مجموعة من التماثيل الثلاثية التي توجد الآن مبعثرة في متاحف بلاد مختلفة. ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بجزء من هذه المجموعة، وأهمها بالنسبة لنا هو التمثال الثلاثي الذي يمثل الملك واقفا يحيطه من اليمين رجل واقف يعلو رأسه رمز إقليم "واست" ومن الشمال تقف الإلهة "حاتحور". ووجود مثل هذا الأثر يعتبر دليلا على أن إقليم " واست " الذي يضم مدينة طيبة كان له كيان جغرافي على الأقل منذ عصر "منكاورع" أو قبله.

وقد نشأت طيبة حول معبد الكرنك في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد إلا أنها أصبحت مدينة دينية ابتدءا من الأسرة الثانية عشرة حين رأى ملوكها الانتقال بعاصمتهم إلي الشمال. وبقيت طيبة مسلوبة السلطة السياسية التي تمتعت بها أبان الأسرة الحادية عشرة واستمر هذا الوضع حتى القرن السادس عشر قبل الميلاد، حين تمكن أمراؤها من أن ينطلقوا ضد الهكسوس الغزاة ويحرروا البلاد منهم ويفرضوا سيطرتهم على الشرق الأدنى ويكونوا إمبراطورية واسعة الأرجاء طيبة عاصمتها الدينية والسياسية طوال عصور عديدة والمتصرفة في أقدار العالم[١].

صاحب إحياء هذه المدينة في الدولة الحديثة حادثان هامان:

(١) أصبحت عاصمة مصر بأسرها.

(٢) نشأة عقيدة آمون الجديدة التي قامت أركانها على أسس قوية وجمع في صفاته صفات جميع الآلهة الأخرى مثل "بتاح" إله منف و"رع" سيد هليوبوليس و"أتوم" ...الخ. واستحق بذلك اللقب المشهور" ملك الآلهة " فهو الإله الذي ساعدته الظروف، في عصر

---

١ Otto, E., “Topographie des Thebanischen Gaues” in *UGAÄ* 16, 1952.

الإمبراطورية أن يصبح سيد العالم بأسره وشيد له ملوك مصر معابد في جميع أنحاء البلاد.

تعتبر طيبة بآثارها متحفا يحوى سجلا تاريخيا للبلاد منذ نشأتها ونال معبد الكرنك ومعبد الأقصر نصيب الأسد من عناية الملوك في الدولة الحديثة، فأراد كل منهم التفوق على سلفه في وقف الأوقاف حتى أصبح معبد الكرنك من المعجزات المعمارية.

كانت طيبة تموج بالقصور الملكية، قصور الوزراء ودواوين الحكومة ونستدل على هذا من المناظر التي سجلها المصري القديم على جدران مقابره. أما منازل المدينة فكانت مبنية من الطين النيئ، ومكونة من طابقين أو ثلاثة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن المساحة المخصصة لتشييد المنازل كانت لا تتفق مع الكم العمراني الديني والجنائزي. وكانت المنازل تمتاز أيضا بحدائقها التي تتوسطها بركة وتحيط بها الأشجار اليانعة.

بدأ نجم طيبة في الأفول منذ أن انتقلت السلطة الاقتصادية إلي شرق الدلتا إلي مدينة صان الحجر في الأسرة الحادية والعشرين. كما تعرضت مدينة آمون للنهب والتخريب في القرن السابع قبل الميلاد عندما حاول الآشوريون معاقبة الملك "طهرقه" النوبي أخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرون الذي حاول استرداد مصر من بين أيديهم إلا أنه هزم. حاول "طهرقه" الاحتماء فيها إلا أن الآشوريين طاردوه ودخلوا المدينة وخربوا جزاء كبيرا منها.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد خربها أيضا "قمبيز"، وفي العصر البطلمي ثار أهلها ضد الظلم الفادح في جباية الضرائب. وفي عصر البطالمة جهز الملك "بطلميوس، سوتير" الثاني جيشا ضخما، وحاصرها لمدة ثلاث سنوات ودخلها بعد أن دك أسوارها. واستمرت طيبة حاملة لواء العصيان في العصر الروماني أيضا وكثيرا ما كانت تقدم المعونة لقبائل البلميس.

هذه هي طيبة الخالدة، التي كان من حظها أن تكون عاصمة للشرق القديم طوال ثلاثة قرون. لا تزال آثار طيبة تقوم شامخة تحدثنا عن مجدها التليد.

وفي الوقت الذي بدأت فيه مدينة طيبة تتطور وتزدهر كانت هناك مدينة أخرى على الشاطئ الغربي تتطور أيضا نحو التكامل لتصبح مدينة من نوع آخر، هي مدينة الموتى . التي بدأت في عصر الأسرة الحادية عشرة، في منطقة الطارف إلا أنها اضمحلت شيئا ما في الأسرة الثانية عشرة، وطوال عصر الهكسوس قد اضمحلت طيبة تماما شرقا وغربا. ومن فترة حروب التحرير، بين أمراء طيبة والهكسوس، عثر على مقابر أمراء هذه الأسرة في جبانة ذراع أبو النجا

التي تقع في أقصى الشمال من الشاطئ الغربي من المدخل الموصل إلي الطريق والمؤدى إلي وادي الملوك. وابتدأ من الأسرة الثامنة عشرة نجد موجة جامحة نحو التوسع في مدينة الموتى وذلك عندما بدأ الملوك يحفرون مقابرهم في تلك المنطقة الموحشة المختبئة في باطن الجبل والبعيدة عن الأرض المزروعة المعروفة فيما سبق باسم بيبان الملوك وحاليا أصبح معروفا باسم وادي الملوك[١]. وأخذ كبار موظفي الدولة يحفرون مقابرهم في التلال الممتدة من تلال ذراع أبو النجا في الشمال إلي العساسيف والخوخة والشيخ عبد القرنة وقرنة مرعى ودير المدينة في أقصى الجنوب[٢].

ونحن نعلم أن ملوك الدولة الحديثة ابتداءً من "تحوتمس" الأول استنوا سنة جديدة دُفعوا إليها بعد التجربة القاسية التي نزلت بمقابر الملوك السابقين وهي تجربة السلب والنهب والاعتداء على المومياء وتقطيع أوصالها بحثا عما تحويه من ذهب. وتبلورت هذه السُنة الجديدة في نقل الجزء المخصص لدفن المومياء بالمقبرة وأخفوه بعيدا عن الأنظار في وادي الملوك وذلك لوعورة الطريق المؤدى إليه. وتشييد الجزء الخاص بالتراتيل الجنائزية وتقدمة القرابين وكل ما يتعلق بالحياة الأخرى، التي كان المصري القديم يلجاء إليها لتتعرف "الكا " بواسطتها على مقبرة صاحبها، وقد شيدوا هذا البناء على هيئة معبد ضخم وهو المعبد الجنائزي، وقد حدث هذا الانفصال ابتداء من عصر "أمنحوتب" الأول، فكانوا يشيدون معابدهم الجنائزية على الضفة الغربية أيضا، ولكن على حافة الأرض الزراعية لتأدية الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين في مختلف المناسبات.

ومع كل هذه الحيطة التي اتخذها ملوك الدولة الحديثة في سبيل حفظ جثثهم ومقابرهم لينعموا بالحياة الثانية . إلا أن اللصوص القدماء استطاعوا الوصول إليها ونهبها أيضا وتحدثنا بردية أبوت الشهيرة عن سرقة المقابر التي تمت في العصور القديمة.

وإلي جانب حفرهم لمقابرهم على الجانب الغربي للنيل، أقام وشيد ملوك الدولة الحديثة أجمل المعابد الجنائزية مثل معبد الدير البحري للملكة "حتشبسوت" والرامسيوم لـ"رمسيس" الثاني ومعبد مدينة هابو لـ "رمسيس" الثالث، كما شيد أيضا "أمنحوتب" الثالث معبده الجنائزي الذي تهدم لسوء الحظ ولم يبقى منه الزمن إلا على بعض أحجار مبعثرة وتمثالي ممنون الشهيرين، كما أقام قصرا ضخما معروف الآن باسم ملقاطه.

---

[١] أريك هورننج وترجمة محمد العزب موسى، وادي الملوك، أفق الأبدية، العالم الآخر لدى القدماء المصريين، ١٩٩٦.
Reeves, N. Wilkinson, R. H., *The Complete Valley of the Kings*, 1996.
[٢] PM II, 1, 1994.

هذه السطور ليست إلا مختصرا عن مدينة طيبة المدينة التي أصبحت فيما بعد قبلة الزوار الذين يتوافدون لزيارة معالمها، وآثارها الخالدة التي شيدها فراعنة مصر العظام . أمثال "حتشبسوت"، و"تحوتمس" الثالث، وجميع فراعنة مصر. حتى "الإسكندر" الأكبر أضاف بعض الإضافات في معبد الأقصر. وقد تغنى المصريون بطيبة وبأمجادها وأمجاد ربها "آمون" وزوجته "موت"، وأبنهما "خنسو"، كما كرموا مختلف آلهة مصر "مين" و"بتاح" و"سخمت" و"منتو" سيد أرمنت الذي كان يعبد كإله أصلى في طيبة وابتداء من الأسرة الثامنة عشرة حل محله "آمون".

الأسرة الثامنة عشرة

١٥٥٠ –١٢٩٥ ق.م

وامتدت الأسرة الثامنة عشرة أو أسرة "أحمس" طوال قرنين ونصف قرن على وجه التقريب، تعاقب خلالها أربعة عشر فرعونا وكانوا على التوالي:

١) أحمس الأول، نب بحتي رع (١٥٥٠– ١٥٢٥ ق.م)
٢) أمنحوتب الأول، جسر كا رع (١٥٢٥– ١٥٠٤ ق.م)
٣) تحوتمس الأول، عا خبر كا رع (١٥٠٤– ١٤٩٢ ق.م)

٤) تحوتمس الثاني، عا خبر إن رع (١٤٩٢ – ١٤٧٩ ق.م)

٥) تحوتمس الثالث، من خبر رع (١٤٧٩– ١٤٢٥ ق.م)

٦) حتشبسوت، ماعت كا رع (١٤٧٣ – ١٤٥٨ ق.م)

٧) أمنحوتب الثاني، عا خبرو رع (١٤٢٧ – ١٤٠٠ ق.م)

٨) تحوتمس الرابع، من خبرو رع (١٤٠٠ – ١٣٩٠ ق.م)

٩) أمنحوتب الثالث، نب ماعت رع (١٣٩٠– ١٣٥٢ ق.م)

١٠) أمنحوتب الرابع، نفر خبرو رع وع إن رع ("أخناتون") (١٣٥٢ – ١٣٣٦ ق.م)

١١) نفر نفرو آتون، سمنخ كا رع

١٢) توت عنخ – آمون، نب خبرو رع

١٣) أي، خبر خبرو رع

١٤) حور إم حب، جسر خبرو ر

(١٣٣٦– ١٢٩٥ ق.م)

ملحوظة

أضفنا في أخر هذه القائمة من أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة اسم: " آي" و " حور إم حب" اللذين توليا الحكم بعد "توت عنخ آمون" ولم يكونا من دم ملكي. كان أولهما كاهنا حمل لقب "الأب المقدس" وثانيهما قائدا للجيش، وكانت توليتهما الملك من ناحية، نتيجة للاضطرابات التي داهمت نهاية الأسرة كما سنرى فيما بعد ومن ناحية أخري كان فيها إنقاذ للأسرة والدولة الحديثة ككل من نهاية مؤلمة على يد كهنة آمون، نهاية تأخرت بفضل حكمتهما إلي عصر الملك "رمسيس" الحادي عشر.

أحمس الأول، نب بحتي رع

١٥٥٠– ١٥٢٥ ق.م

حكم أحمس الأول ما يقرب من خمسة وعشرين عاما، وكان من أبرز ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد اعتز المصريون القدماء به، وبجلوه للدور الذي توج الكفاح الذي بدأه أبوه و"كامس" (كاموزا) من قبله. وأصبح اسم أحمس يرتبط في مخيلة المصريين بالتحرير، فهو مخلصهم من نير الاحتلال وهو قاهر الهكسوس.

وبالرغم من أنه ابن " سقنن رع " وربما أخو " كامس " الأصغر إلا أن مانيتون يضعه على رأس أسرة جديدة وهي الأسرة الثامنة عشرة. رأى مانيتون في فترة حكمه بداية لتاريخ جديد، أصبحت فيه مصر بلدا حرا قويا ولم يكن عصره إلا فاتحة لعهود من الاستقلال والرخاء العظيم، تكونت لمصر فيها إمبراطورية واسعة الأرجاء تدفقت منها الخيرات على البلاد. كان الازدهار الحضاري من سمات الدولة الحديثة التي بدأت بالأسرة الثامنة عشرة وامتدت عصورها حتى نهاية الأسرة العشرين حوالي ١٠٦٩ ق .م.

بمجرد استيلاء أحمس على "شاروحين" عاد إلي مصر، ومنها اتجه إلي النوبة حيث قام بحملة تأديبية هدفها القضاء على القلاقل التي كانت تهدف إلي التخلص من الحكم المصري والقضاء على التمرد.

اتجه الملك "أحمس" مباشرة إلي "خنت – إن – نفر "، وهي منطقة تقع جنوب الجندل الثاني[١]، هدفها القضاء على الـ "أيونتيو – ستيو"، حرفيا "حملة الأقواس من النوبة". وكان القتال ضاريا والخسائر كبيرة، فقد عاد أحمس بن أبانا بأسيرين وثلاثة أيدي مما أتاح له الحصول على نوطه العسكري الخامس[٢].

أنطلق الملك "أحمس"، على الأرجح، في حملته على النوبة من الجندل الثاني، وذلك لأن بوهن كانت على الأقل مصرية منذ عصر كامس. وقد عثر في جزيرة "صاي" على كتل حجرية عليها خراطيش باسم الملكة "أحمس نفرتاري" وعلى تمثال لأحمس نفسه كتب عليه اسمه بعلامة القمر التي ظهرت في أواخر عهده[٣]، مما يوحي أنها آثار قد ترجع إلي هذه الفترة كما قد تعود إلي عصر ابنه وخليفته "أمنحوتب" الأول المعروف أيضا بنشاط ملموس في النوبة وتعلق ملحوظ بأمه الملكة "أحمس نفرتاري"؟.

وإن كنا لا ندرى أين حدثت عمليات "أحمس" الحربية أو لأي مدى تقدمت جيوشه جنوبا؟ إلا أنه من المؤكد أنه بلغ منطقة " توشكا " (على بعد ٣٠ كيلو مترا شمال أبو سمبل) كما يوضح لنا نقش صخري احتفظ بذكرى مروره في هذا المكان[٤]، ومن الجائز إذا اعتبار " توشكا " الحد الأقصى لتقدمه في بلاد النوبة؟ ولكنه من المرجح أيضا أن يكون أحمس قد بلغ

[١] Vandersleyen,C., *Les guerres d'Amosis, fondateur de la XVIIIé dynastie*,1971, p. 64 -68.

[٢] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil II*, 1995 , p. 225 -226.

[٣] Id., *op.cit.*, p. 226.

[٤] PM VII, 1995, p. 95.

بوهن[1]، وربما جنوب الجندل الثاني. وعلى أية حال، يري كلود فاندرسلين أن حملة أحمس على "خنت – إن – نفر" كان هدفها استعادة "جزيرة صاي" التي كانت مصرية منذ الدولة الوسطي[2].

وضعت النوبة تحت إمرة حاكم منذ عصر "كامس" (كاموزا)، حمل لقب "ابن الملك"، وكان المسئول عن المقاطعات الجنوبية موظف يدعي "تتي" تلاه العديد من الحكام في عصر "أحمس": "جحوتي"، "أحمس ستايت" والد حاكم بوهن "أحمس توري" والذي سيخلفه في منصبه الخطير في عصر "أمنحوتب" الأول ويستمر في منصبه خلال حكم "تحوتمس" الأول[3]. وكان هذا الموظف الكبير على رأس مصالح إدارية بالنوبة مطابقة للإدارات الموجودة في مصر نفسها.

وبناءً على نعت " ابن ملكي" ظن العلماء أن أصحاب هذه الوظيفة كانوا أبناءً حقيقيين للملوك وقد ثبت فيما بعد أن هذا اللقب لا يشير إلي روابط القرابة بل لسعة السلطان الذي كان يمنح لحكام النوبة حتى أنه كان يضاهي سلطان الملك وأنهم كانوا يحكمون النوبة ممثلين للملك.

وبعد أن استقرت الأحوال في النوبة، اندلع في الجنوب تمرد يقوده شخص يدعى "عاتا" تمت هزيمته في مكان يسمي " تنتا عامو" الذي يبدو أنه كان آخر جيوب الهكسوس أو من الموالين لهم في الصعيد. و" تنتا عامو" هو اسم لمكان ربما يقع على شاطئ النيل يصل إليه عن طريق النيل وذلك لاشتراك "أحمس بن أبانا" في المعركة التي لم تكن ذات أهمية ولكنه نال عنها مكافأة سخية، فلأول مرة ينال قطعة أرض منزرعة في مدينة الكاب مسقط رأسه[4].

وبعد القضاء على التمرد يوجه "أحمس" انتباهه مرة أخرى إلي آسيا وإلي فينيقيا على وجه التحديد. ففي أواخر عهده قام أحمس بحملة على فينيقيا وردت إشارة لها في نص منقوش علي صخور محاجر المعصرة مؤرخ من العام الثاني والعشرين من حكم أحمس حيث تم استخراج الأحجار اللازمة لبناء معبدي آمون وبتاح ويضيف النص أن الثيران التي كانت تجر كتل الأحجار كان قد استولى عليها أثناء الحملة التي قام بها "أحمس" في فينيقيا[5]. وقد وردت أيضا إشارة إلي هذه الحملة في نصوص مقبرة الضابط " أحمس بن نخبيت " الذي عاش حتى

---

[1] Bourriau, J., . "The Second Intermediate Period", in *The Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p 215.

[2] Vandersleyen, C., *op.cit*., p. 226.

[3] نفس المرجع السابق و انظر أيضا:
Redford, D., *From Slave to Pharaoh; The Black Experience of Ancient Egypt*, 2004, Chapter 6 note 32.

[4] نفس المرجع السابق ص ٢٢٧.

[5] Sethe, K., *Urk* IV, p.24-25; PM IV، p. 24.

عصر الملكة "حتشبسوت"، ويروى لنا هذا الضابط أنه أخذ أسيرا – ومن المرجح أن المصريين فرضوا نفوذهم بسهولة على شواطئ فينيقيا[١].

لم يكن عصر "أحمس" كفاحا مسلحا فقط بل كانت تتخلله فترات سلم وهدوء، وجه الملك فيها نشاطه إلي البناء والتعمير، فاتخذ من طيبة عاصمة لمصر عاصمة آمون الذي صار إله الدولة بعد أن كان مجرد إله محلى يعبد في معبد الكرنك وعين "أحمس" المدعو "تحوتمس " كبيرا لكهنة آمون، ومن المعروف أيضا إن أصل كهنوت آمون يرجع إلي الأسرة الحادية عشرة[٢]، إلا أننا نستطع تتبع تاريخ كهنة آمون العظام ودراسة تطور هذا المنصب الخطير ابتداءً من عصر "أحمس" الأول. ومن المعروف أيضا، من حيث المبدأ، أن الإله هو الذي يعين الكاهن الأكبر لآمون، ومن حيث الفعل فإن الملك هو الذي كان يختاره ويرفعه إلي هذا المنصب الذي أصبح فيما بعد من أخطر المناصب الدينية بل والسياسية أيضا[٣].

واتجه الملك إلي إصلاح ما تهدم من معابد أثناء فترة الاحتلال ففي الكرنك عثر له على لوحة (المتحف المصري بالقاهرة رقم ٣٤٠٠١)، يتباهى فيها الملك بأعمال الترميم التي قام بها. وكما ذكرنا من قبل أنه في العام الثاني والعشرين من حكمه فتح محاجر طره (جنوبي القاهرة)، ربما استغلها في إجراء هذه الإصلاحات التي قد يكون جزء منها تم في منف. كما شيد لجدته الملكة " **تتي شرى**" مقبرة رمزية بأبيدوس.

ويطيب لنا أن نشير هنا إلي ارتباط هذه الأسرة بعبادة القمر إلي جانب صلتهم الوثيقة بعبادة آمون فمعنى اسم "أحمس" "ولد القمر" وأيضا أسم كامس فكلمة "كا" التي كتبت على شكل ثور، كانت وثيقة الصلة بالقمر وعبادته. أما اسم أمه الملكة "إعح حتب" فيعني اسمها **القمر مطمئن**. هذا أيضا إلي جانب اسم "تحوتمس" الذي حمله أربعة من ملوك الأسرة الثامنة عشرة يتضمن اسم الإله "جحوتي" الذي لم يكن سوى إله القمر نفسه[٤].

الملـكات

لعبت ملكات هذه الأسرة دورا كبيرا وتمتعن بنفوذ ربما كان امتدادا لما حصلت عليه المرأة من مكاسب خلال الدولة الوسطي. ولكن هذا الدور بدأ يتبلور ويأخذ بعدا سياسيا في

---

[١] Sethe, K., *Urk.* IV, p. 35.

[٢] Otto, E., *LÄ* I , 238. and bibliography.

[٣] Lefebvre, G., *Histoire des Grands Prêtres d’Amon de Karnak,* 1929, p.226;

[٤] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية ، ١٩٥٥، ص ٢٧١.

مرحلة حروب التحرير وهذا ما نستشعره فيما وصفن به من نعوت وأوصاف ومن اهتمام الملوك والأفراد بتخليد ذكراهن، وأبرزهن ثلاثة ملكات لعبن – دون شك – دورا هاما في حروب الاستقلال.

وأولي هؤلاء الملكات هي الملكة " **تتي شرى**" جدة الملك "أحمس" الذي ظل وفيا لذكراها حتى آخر أيام حياته، فقد أقام لها في مدينة أبيدوس أثرا كبير ليكون مدفنا رمزيا (Cénotaphe) وضع فيه لوحة تروى لنا وفاء هذا الملك لجدته وهي اللوحة رقم ٣٤٠٠٢ المحفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة[١]. و"تتي شري" هي ابنة أحد النبلاء "تينا" غير المعروف، والسيدة " نفرو" الثانية[٢]. وهي زوجة الملك "تاعا" (الأول) وأم "سقنن رع، تاعا" (الثاني) الشجاع وربما الملك الشهيد "كامس" أيضا إن لم يكن حفيدها؟ والملكة "إعح حوتب" الأولي. هي السيدة التي قدمت أبنها، بدون شك، أول قواد حروب التحرير. وعاشت "تتي شري" حتى عصر حفيدها أحمس ودفنت على الأرجح في مقبرة بمنطقة ذراع أبو النجا وأعيد دفنها في المقبرة TT 320 وقد تكون مومياؤها موجودة الآن بالمتحف المصري[٣]؟

وثاني نساء الأسرة العظيمات هي الملكة " **إعح حوتب** " الأولي أم الملك "أحمس" وهي من أعظم ملكات مصر، فقد لعبت دورا في حروب التحرير فهي زوجة " سقنن رع، تاعا " الثاني بطل مصر وأول من ثار ضد الهكسوس بل واستشهد في إحدى المعارك ضدهم. وبالرغم من أن " إعح حوتب " فقدت زوجها إلا أنها لم تبخل على مصر بابنها أحمس فنذرته بنفس راضية للهدف الذي من أجله بذل أبوه حياته[٤]. ووصفتها نصوص لوحة أحمس (رقم ٣٤٠٠١ المحفوظة حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة) قائلة: "امدحوا سيدة البلاد وسيدة "الحاونبو"[٥] (منطقة بغرب الدلتا متاخمة للبحر) فاسمها مبجل في جميع البلاد الأجنبية وهي التي تضع الخطط للناس. زوجة ملك وأخت ملك، هي العظيمة القديرة التي تهتم وتضطلع بشئون مصر وهي التي جمعت جيشها وجمعت الناس وأعادت الهاربين ولمت شتات المهاجرين وهدأت ما حل بالجنوب من خوف وأخضعت من كان فيه من عصاة، الزوجة الملكية " إعح حوتب " لها الحياة"[٦].

---

[١] Sethe, K., *Urk* IV, 26-29.

[٢] Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 129.

[٣] Dodson, A., and Hilton D., *op. cit.*, p. 129.

[٤] انظر شجرة العائلة في: Dodson, A., and Hilton D., *op .cit.*, p. 126.

[٥] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 229 –230.

[٦] Sethe, K., *Urk* IV, 14 -24.

وأهم ما نستشفه في كلمات نص هذه اللوحة أن " إعح حوتب " قامت بدور كبير في حروب الاستقلال أثناء غياب زوجها و"كامس" (كاموزا) وأبنها أحمس أثناء المعارك ضد الهكسوس، فتولت هي نيابة عنهم شئون مصر الداخلية إلي حين عودتهم مظفرين. ولكن أراد بعض الباحثين أن يروا في الملكة " إعح حوتب " أنها من أصل أجنبي "كريتي" إلا أنها مصرية أصيلة[١].

حملت " إعح حوتب " الأولي لقب "زوجة الإله" الذي يظهر فقط في نصوص تابوتها الخارجي، كما أنه غير معروف مكان مقبرتها الأصلية إلا أنه قد عثر علي تابوتها الخارجي في المقبرة TT320 خاليا من موميائها وهو غير معروف ما قد أصابها إلا إذا كانت هي نفسها ما أطلق عليها اسم " إعح حوتب " الثانية والتي اعتبرت زوجة "لكامس" (كاموزا)، وقد أعيد دفنها في ذراع أبو النجا و في أعقاب اكتشافها عام ١٨٥٩ حطمت مومياؤها، بأمر من محافظ قنا في ذلك الوقت[٢].

أما ثالث الملكات العظيمات فهي " **أحمس – نفرتاري**" زوجة أحمس الأول وواحدة من أبرز وجوه هذا العصر. حملت الملكة "أحمس نفرتاري" إلى جانب ألقابها الملكية، لقبا هاما هو لقب "الزوجة الإلهية الأولي (لآمون)"[٣]. وظل نفوذها قويا حتى عهد ابنها "أمنحوتب" الأول، وبعد وفاتها ظلت ذكراها عاطرة وألهت مع وابنها وأصبحا الإلهين الحامين لجبانة دير المدينة على الضفة الغربية من مدينة الأقصر، وشيد لهما المصريون القدماء معبدا تقام لهما فيه الصلوات وتقدم فيه أيضا القرابين. ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الملكين " سقنن رع" و"أحمس" ألها أيضا وذكرا ضمن الآلهة أسياد الغرب في المقبرة TT359، كما ألهت الملكة " أحمس نفرتاري" مع ابنها "أمنحوتب" الأول وأمها الملكة " إعح حوتب " وظهر ثلاثتهم على لوحة كبير الكهنة "روما روي" من الأسرة التاسعة عشرة[٤].

مات الملك "أحمس" وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره[٥] وعاشت أمه من بعده حوالي عشر سنوات، وترك مصر أمانة في عنق ابنه الذي حكم باسم "أمنحوتب" الأول.

---

[١] Vandersleyen, C ., *op.cit*, p. 229.,

[٢] Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 128.

[٣] Gitton, M., *L'Épouse du dieu Ahmès Néfertary*., 1981.

[٤] Dodson, A., and Hilton D., *op.cit.*, p.123 and 225, 127 (photos).

[٥] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 218-220.

أمنحوتب الأول، جسر كا رع

١٥٢٥ – 1504 ق. م[١]

لم يكن "أمنحوتب" هو الابن الأكبر لأحمس الأول إلا أنه أصبح وليا للعهد بعد وفاة أخيه الأكبر الأمير "أحمس عنخ" الممثل مع والديه على لوحة متحف الأقصر والذي توفي مبكرا[٢].

بعد وفاة أحمس الأول تولى ابنه الأصغر "أمنحوتب" الحكم من بعده وعاونته أمه الملكة "أحمس نفرتاري" وأخذت بيده خلال سنوات حكمه الأولى. كانت تتولاه برعايتها وإرشادها كوصية فعلية عليه إلي أن قوى واشتد عوده فحكم البلاد وحده إلا أن "أمنحوتب" الأول وأمه ظلا متلازمين بعد موتهما إذ عبدا معا كآلهة حامية للغرب[٣].

---

[١] انظر ملحوظة نقولا جريمال (ترجمة ماهر جويجاتي، تاريخ مصر القديمة، ١٩٩٣، ص ٢٦١) حول تحديد بداية حكم الملك وعلاقته برصد نجم الشعري اليمانية

[٢] Dodson, A., and Hilton D., *op. cit.*,p. 127 (photo).

[٣] Dodson, A., and Hilton, *op.cit*., p. 123 , photo from TT 359) and p.127 stele in Leiden Mus. AP59

حكم "أمنحوتب" الأول مصر خلال الواحد وعشرين عاما كلها سلم ورخاء فقد شيد خلالها معبده المرمري بمعبد الكرنك وبعضا من الأبنية المتفرقة في مصر. وعلى سنة أبيه، خرج على رأس حملات حربية لتأمين حدود مصر خاصة الجنوبية. روى لنا القائد البحري "أحمس بن أبانا" عن حملته في الجنوب. وقد ذكر هذا القائد في نقش مقبرته أنه تولى قيادة الأسطول النهري المصري إلي النوبة وعاد بعد يومين[١]، كما جاء ذكر هذه الحملة أيضا في نصوص مقبرة القائد "أحمس بن نخبيت"[٢]. عمل "أمنحوتب" الأول على أن تكون للنوبة شخصية في صلب الأقاليم المصرية فضمها في وحدة إدارية واحدة تمتد من مشارف الجندل الثالث حتى أسوان وقام بتعين "تورى" نائبا للملك في النوبة[٣]، كما أعاد سيطرته على الواحات وظهور منصب "حاكم الواحات (لوحة اللوفر C 47)"[٤].

أما عن حملاته في بلاد آسيا فهي غير معروفة وتاريخه الحربي يقتصر، على حد معلوماتنا، على نشاطه في النوبة وإن كان قد أدرج "ميتان" في قائمة أعداء مصر.

ومن المرجح أن "أمنحوتب" الأول قد أعاد تنظيم الجيش على أسس جديدة فمهد بذلك السبيل لخليفته العظيم "تحوتمس" الأول تحقيق الانتصارات الكبرى.

تزوج "أمنحوتب" الأول من شقيقته " مريت آمون" (ب) طبقا لتقاليد أسرته إلا أن القدر لم يمهلها، على ما يبدو طويلا[٥]. والغريب في الأمر أنه غير معروف، إلي الآن شيء مؤكد عن زوجات أخريات أو عن أولاد له؟ لذا انتقل العرش إلي أحد أبناء الأسرة "تحوتمس" بن "سن سونب" الأولي.

من المرجح أن "أمنحوتب" دفن في مقبرة بذراع أبو النجا كما ورد في بردية أبوت في العام ١٦ من حكم "رمسيس" التاسع والتي لم تسمح التفاصيل التي ذكرتها البردية بتحديد مكانها (PM I,p.599)[٦]. وكان "أمنحوتب" الأول أول فراعنة مصر الذين فصلوا بين مقابرهم والمعبد الجنائزي لأن من سبقه من الملوك كانوا يدفنون داخل أهرامات أو في مقابر تعلوها أهرامات مثل هؤلاء الموجودين بمنطقة الطارف بطيبة.

---

[١] Sethe, *Urk* IV,6-8.

[٢] Sethe, *Urk* IV,36.

[٣] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil II*, 1995, p. 241 -243. و نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، تاريخ مصر القديمة، ١٩٩٣، ٢٦١.

[٤] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ٢٦٢.

[٥] التابوت محفوظ بالمتحف المصري أنظر: Dodson, A., and Hilton D., *op. cit.*, p. 121 and 128 (photos).

[٦] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ٢٦٤.

لسبب مجهول عُبد "أمنحوتب" وأمه الملكة "أحمس نفرتاري" في كثير من مناطق مصر خاصة في منطقة دير المدينة ونرى أيضا آثارا لعبادتهما في منطقة أبيدوس والكرنك والتي يرجع بعضها إلي الأسرة الثامنة عشرة نفسها، وقدمت لنا أيبرس EBERS vs (مكتبة جامعة ليبزيج) إلي جانب المعلومات الطبية سلسلة من أعياد هذا الملك الإله وتواريخ الاحتفال بها. وبوفاة "أمنحوتب" الأول[١] الذي يحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بمومیائه، يتولى عرش مصر من بعده أمير عظيم من الأسرة هو "تحوتمس" الأول.

تحوتمس الأول [٢]، عا خبر كا رع

١٥٠٤ – ١٤٩٢ ق.م

وبتولية "تحوتمس" العرش يبدأ حكم الملوك العسكريين الذين نشأوا نشأة عسكرية واحتلوا مناصب قيادية في الجيش قبل أن يتولوا الحكم.

ينتمي "تحوتمس" إلي نفس الأسرة فهو بدون شك أحد أفراد أسرة الأحامسة[٣]، انتقل إليه العرش دون أي مشاكل أو اعتراض.

تزوج "تحوتمس" من الأميرة "أحمس" الثانية التي كانت تحمل لقب " شقيقة الملك والزوجة الرئيسية" ورزق منها بابنته "حتشبسوت" وابنة أخرى "نفرو بيتي" ماتت مبكرا. وعلى ما يبدو أن الملك قد تزوج بشقيقته تماشيا مع تقاليد سابقيه. وفيما بعد تزوج بأخرى هي "موت نفرت" الأولي التي لم تكن تنتمي، على الأرجح، إلي الأسرة الملكية ورزق منها بابنه "تحوتمس"

---

[١] Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 127.

[٢] Baligh, Randa Omar Kazem, *Tuthmosis I*. Dissertation -- Yale University, 1997

[٣] Bryan, B., "The 18th dynasty before the Amarna Period" in *The Oxford History of Ancient Egypt*, 2000, p. 230; Dodson, A., and Hilton D., *op. cit.*, p. 130 – 133 and (table).

(الثاني)، كما كان له طفلان آخران ماتا على ما يبدو في سن مبكرة هما "آمون مس" و "ودج مس"[١].

وبدأ تحوتمس حكمه بإبلاغ نائب الملك في النوبة " توري " بأنه أصبح ملكا، وقد وصل إلينا من هذا الإعلان ثلاث نسخ[٢] يحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بلوحة منهم رقم ٣٤٠٠٦ وفيهم يذكر الملك في نص هذا الإعلان الذي يرجع إلي العام الأول من حكمه أسماءه الخمس وتاريخ توليته العرش ويطلب فيه من حاكم النوبة أن يذكر اسمه عند تقديم القرابين إلي الإله ويخبره أن البيت المالك مازال يتمتع بالقوة واليسر وهذا هو نوع من التذكرة حتى لا يتهاون هذا الموظف الكبير في أداء عمله ويضيف تحوتمس أنه ابن السيدة " سن سنب " إلا أنه لا يشير إلي اسم أبيه[٣].

وإلي العام الثاني من حكم "تحوتمس" الأول يرجع النص التذكاري المنقوش على الصخور المواجهة لجزيرة تومبوس عند مشارف الجندل الثالث وهو النص التذكاري الذي أشرنا إليه من قبل ويذكر فيه "تحوتمس" أن حدود مصر الجنوبية تمتد من تومبوس جنوبا حتى نهر الفرات شمالا الذي أشار إليه النص باسم " النهر ذو المياه المعكوسة " وذلك لأن مياهه تجرى من الشمال إلي الجنوب وذلك على عكس نهر النيل[٤].

وفي نفس هذا العام يقوم الملك بحملة لتوسيع حدوده الجنوبية فيصل بها إلي الجندل الرابع وهي معروفة لدينا من نقوش مقبرتي القائدين "أحمس بن أبانا" و"أحمس بن نخبيت" بالكاب، هذا بالإضافة إلي عدة نقوش صخرية سجل عليها انتصاراته الحربية على عدة نقوش في مواقع على الطريق مثل تانجور وجزيرة صاي. وبعد أن تم له هذا التوسع في النوبة أعاد تنظيم بعض الأمور الإدارية وأهمها أن نائبه في النوبة أصبح يحكم وحدة إدارية كبيرة تمتد من نباتا إلي الكاب شمال إدفو، كما قام ببناء قلعة حربية جاء ذكرها في نص "توري" إلا أنه لم يعثر عليها إلي الآن.

وبعد أن تم لـ" تحوتمس" الأول تأمين وتوسيع حدود مصر الجنوبية عمل على أن تتشبع النوبة بالروح المصرية التي لازمتها عصورا طويلة، فاهتم بتسهيل المواصلات البحرية إليها فأعاد حفر قناة جزيرة سهيل عند أسوان والتي ترجع في الأصل إلي الدولة الوسطي وبالتحديد إلي عصر الملك "سنوسرت" الثالث.

---

١ Dodson, A., and Hilton D., *op. cit.*, p. 132 – 133 and (table).

٢ هي لوحات: وادي حلفا، كوبان وأسوان.

٣ Sethe, K., *Urk* IV, 79- 81.

٤ Sethe, *Urk* IV, 82 – 86

وبعد أن اطمأن الملك إلي استقرار شئون النوبة وتبعيتها لمصر واتخاذه الخطوات اللازمة لتمصيرها، اتجه بعد ذلك إلي آسيا فذهب إليها على رأس جيش كبير، ويرى الدكتور عبد العزيز صالح في كتابه (الشرق الأدنى، مصر والعراق، ١٩٧٣، ص ٢٠٦)، أن سبب توجهه إلي آسيا يرجع إلي عاملين أساسيين:

١) القوة الدافعة التي صبغت سلوكه وروح عصره.
٢) تحرك الجماعات الميتانية التي ذكرتها نصوص سلفه في شمال شرق الشام وقرب نهري الخابور والفرات.

ويرى المؤلف أن في كل من العاملين ما شجعه على تنفيذ المرحلة الثالثة من السياسة التي عرفت بها فيما بعد أسرته وهي السيطرة على أبواب التجارة وتأمين مداخل الهجرات من شمال سوريا وأطراف بلاد العراق.

وقد وردت إلينا أخبار هذه الحملة من نصوص مقابر القواد "أحمس بن أبانا" و"أحمس بن نخبت" (*Urk* IV, 9, 8-10,3; *Urk* IV, 36, 9-11) اللذاين ساهما بجهدهما فيها وأسرا شخصيا عدة مركبات حربية قدموها إلي الملك الذي كافاهما بالأموال والذهب.

وبانتهاء" تحوتمس" الأول من تأمين مناطق شمال سوريا والعراق أقام نصبا تذكاريا فيما وراء معبر قرقميش على الضفة الشرقية لنهر الفرات وقد ظل هذا النصب قائما حتى عصر حفيده "تحوتمس الثالث" (*Urk* IV, 697,5)[١].

وظل "تحوتمس" الأول بعض الوقت في آسيا[٢]حتى اطمأن إلي سير الأمور فذهب إلي بلدة " ني " وقضى وقتا في اصطياد الأفيال وأرسل عدد غير قليل منها إلي معبد آمون بطيبة. وعاد بعد ذلك إلي مصر وفي خطبة منقوشة على لوحة محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة رقم ٣٤٠٠٧، وجهها إلي كهنة الإله أوزوريس معددا إسهاماته بمعبد أبيدوس، عبر فيها "تحوتمس" عن فخره بما أداه لبلده مصر بقوله:

" أطلقت حدود تا - مري (مصر) إلي ما تحيط الشمس به وعوضت أهلها بعد خوفهم قوة و(أمنا) وأقصيت الشر عنها وجعلتها فوق رأس الدنيا بأكملها وجعلت الجميع أتباعا لها "[٣].

---

[١] يحاول كلود فاندرسلين نفي هذا ويقترح أن تحوتمس الأول لم يتعدى سوريا. انظر:
Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil II*, 1995, p. 260.

[٢] ورد ذكر هذه الحملة في سيرة أحمس بن أبانا أنظر Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature* II, 1976, p.14 – 15.

[٣] Sethe, *Urk* IV, 102, 11-15.

وبخلاف نشاط الملك الحربي قام "تحوتمس" ببناء عدة أبنية في أماكن متفرقة من مصر وخاصة بمعبد الكرنك الذي جعله جديرا بأن يكون معبد الدولة الرئيسي.

ويقول حاكم طيبة المهندس " أنيني " في لوحة نقشها على واجهة مقبرته رقم TT 81 بعلوة الشيخ عبد القرنة[١]، أنه أزال المعبد المتواضع الذي أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة بالكرنك وبنى مكانه معبدا كبيرا تتصدره مسلتان من الجرانيت أحدهما مازالت قائمة حتى الآن، أما الأخرى فقد سقطت ووقعت على الأرض في القرن الثامن عشر الميلادي[٢]، كما بني أيضا بهوا كبيرا تزينه أعمدة مربعة الشكل واجهتها مشكلة على هيئة تماثيل أوزيرية عثر على بعضها تحت أرضية معبد الكرنك في عام ١٩٤٢[٣].

ويذكر " أنيني " أن الملك "تحوتمس" الأول كلفه باختيار مكان لحفر قبر له، وقد وقع اختياره على مكان في بيبان الملوك، وادي الملوك الآن، والذي أصبح منذ ذلك الحين المكان المختار لدفن ملوك الأسرات من الثامنة عشرة إلي العشرين. وتحمل مقبرة "تحوتمس" الأول بوادي الملوك الرقم KV 20 وهي المقبرة التي دفنت فيها أيضا "حتشبسوت"، وفيما بعد نقله "تحوتمس" الثالث إلي مقبرة ثانية هي المقبرة KV 38[٤] التي يحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بقطعتين من جدرانها تم نشرهما بواسطة الفرنسي دارسي في كتلوج المتحف المذكور تحت رقم CG 24660، كما نشر ونلوك توابيته الثلاثة.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أنه لم يتم العثور حتى الآن على معبد "تحوتمس" الأول الجنائزي والذي يجب أن يكون بجوار معبد "أمنحوتب" الأول. ولكن ابنته الملكة "حتشبسوت" شيدت له هيكلا صغيرا في معبدها المعروف باسم الدير البحري[٥].

مات "تحوتمس" الأول بعد أن حكم مصر عدة سنوات لا تقل عن تسع ولا تزيد عن ثمانية عشر عاما في رأى بعض الباحثين أمثال السير آلان جاردنر، هذا بخلاف ما ذكره المؤرخ المصري القديم مانيتون بأنه حكم ثلاثين عاما.

---

١ PM I, 2, p. 159.

٢ PM I, 2, p. 75.

٣ PM I, 2, p. 80- 85.

٤ Reeves, N., Wilkinson, R.H., *The complete Valley of the Kings*, 1996, p. 91 – 96.

٥ PM I, 2, p. 80 - 85.

ودفن الملك في قبره بوادي الملوك وعثر على موميائه في خبيئة الدير البحري DB 320 ثم نقلت فيما بعد إلي المتحف المصري بالقاهرة حيث تعرض الآن، وتولى من بعده عرش مصر ابنه الأصغر "تحوتمس" الثاني.

تحوتمس الثاني[١]، عا خبر إن رع
١٤٩٢- ١٤٧٩ ق.م

تحوتمس هذا هو ابن تحوتمس الأول من الزوجة الثانية " موت – نفرت "، تزوج في بداية حكمه من أخته غير الشقيقة "حتشبسوت". أما عن الفترة التي حكمها "تحوتمس" الثاني لمصر فما زال عدد سنواتها غير مستقر عليه وتضاربت فيه الأقوال: فيرى المرحوم الدكتور احمد فخري في كتابه(مصر الفرعونية، ٢٠٠٤، ص ٢١٣) أنه حكم خمسة أعوام، ويرى البلجيكي كلود فاندرسلين أنها ثلاثة أعوام وشهرين[٢]. أما موسوعة أكسفورد التاريخية لمصر القديمة فتمنحه ثلاثة عشر عاما من الحكم[٣]، ويتفق تقريبا معها في الرأي نقولا جريمال فيذكر أنه حكم أربعة عشر عاما[٤]، والدكتور رمضان عبده على يمنحه خمسة عشر عاما حكم[٥]، ولكن المؤرخ المصري القديم مانيتون يذكر عشرين عاما من الحكم.

وتميزت فترة حكم "تحوتمس" الثاني بحملتين تأديبيتين، فبعد وفاة أبيه "تحوتمس" الأول قام بدو النوبة العليا بغزو المناطق الخاضعة لحكم مصر، وحرضوا أهلها على الثورة وتمردت

[١] Gabolde, L., *Le règne de Thoutmosis II (et celui de ses successeurs immédiats jusqu'à la fin de la régence d'Hatchepsout)*, 1987, thèse inédite (Unive. de Lyon II).

[2] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil II*, 1995, p. 663.

[٣] Bryan, B., "The 18th dynasty before the Amarna Period" in *The Oxford History of Ancient Egypt* , 235 – 237, 481.

[٤] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي ومراجعة زكية طبوزادة، تاريخ مصر القديمة، ١٩٩٢، ص ٢٦٠.

[٥] الدكتور رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، ١٩٧٩، ص ٣٥٧.

ولاية كوش وأرد أهلها الانفصال إلا أن "تحوتمس" الثاني الذي كان لا يقل عن أبيه وأجداده من حيث القوة والحزم، تمكن جيشه في العام الأول من القضاء عليها وأعاد للنوبة الهدوء والسكينة. وخلد هذا الحدث نصب تذكاري نقش على صخور الطريق المؤدى من أسوان إلي فيله *Urk* IV, (137-141).

وبعد أن انتهي الملك بنجاح من إخماد ثورة النوبة، وجه اهتمامه إلي بدو الشاسو وشعوب المناطق المتاخمة لحدود مصر من الشرق التي كانت تهدد الحدود الشرقية وبالتالي مناجم الفيروز والنحاس بشبه جزيرة سيناء. ونقلت لنا أخبار هذه الحملة التأديبية نصوص مقبرة القائد "أحمس بن نخبيت" بالكاب[1]التي عانت من عوامل الزمن فحرمتنا من تفاصيلها، كما وصلتنا إشارة أخرى لها على أحد الأحجار في منطقة الدير البحري.

اهتم "تحوتمس" الثاني بالبناء مثل أسلافه العظام، فشيد معبدا بالكرنك، وأقام معبدا جنائزيا في الشمال الشرقي لمعبد مدينة هابو على الضفة الغربية للنيل المقابلة لمدينة الأقصر الحالية.

ومات "تحوتمس" الثاني دون أن يترك وريثا ذكرا من زوجته الملكة وأخته الملكة "حتشبسوت" إلا أنه رزق من زوجة ثانوية تدعى "إيزيس " بولد اسماه أيضا " تحوتمس " وقد وقع الاختيار على هذا الطفل ليكون فرعونا لمصر بعد أبيه، إلا أن أحداثا هامة وقعت وحالت دون انفراد "تحوتمس" الابن بالعرش بعض سنوات فقد شاركته عمته "حتشبسوت" كوصية عليه، حكم مصر.
ومات "تحوتمس" الثاني وهو في الثلاثينات من عمره على أثر مرض قصير؟ فليس هناك ما يجعلنا نعتقد أنه قتل نتيجة لمؤامرة عائلية.

ورغم أننا لم نعثر إلي الآن على مقبرة بوادي الملوك نستطع أن ننسبها إلي "تحوتمس" الثاني بثقة وربما قد تكون المقبرة KV 42 أو مقبرة الدير البحري TT 358 [2]. أما عن مومياء هذا الملك فقد عثر عليها مع عدد آخر من مومياوات ملوك مصر القديمة في خبيئة الدير البحري وهي محفوظة الآن بالمتحف المصر بالقاهرة.

---

[1] Sethe, *Urk* IV, 36, 12-14.

[2] Reeves, N., Wilkinson, R.H., *The complete Valley of the Kings*, 1996, p. 96.

حتشبسوت[1]، ماعت كا رع

1473 –1458 ق. م

مات "تحوتمس" الثاني في حوالي 1479 ق.م بعد أن ترك ابنة واحدة، هي "نفرو رع"، من زوجته النصف شقيقة الملكة "حتشبسوت"، وابنا ذكرا، "تحوتمس"، من السيدة إيزيس[2].

هي "حتشبسوت" الملكة التي أصبحت فرعونا، ابنة "تحوتمس" الأول التي حكمت أقوي بلاد الشرق القديم، هي الشمس المؤنثة كما أطلقت عليها النصوص.

وسارت الأمور في مجراها الطبيعي ونودي بالأمير الصغير وريثا لعرش أبيه، إلا أنها لم تستمر كما ينبغي وتأخر انفراد الملك الطفل بالملك بضع سنوات بعدها استعاد العرش وعرفه التاريخ باسم "تحوتمس" الثالث أعظم ملوك مصر المحاربين على الإطلاق.

ولما أصبح هذا الأمير الصغير ملكا وانفرد بالحكم كان يحلو له أن يذكر في مختلف النصوص اختياره ملكا واعتلائه عرش البلاد: فعندما كان طفلا صغيرا كان يعيش في إحدى المعابد بين الكهنة، لأن أباه أراد منه أن يسلك طريق الكهنوت. وفي أحد الاحتفالات بعيد الإله آمون وأثناء إقامة الشعائر وعندما كان تمثال آمون مستقرا في مركبه ومحمولا على أكتاف صغار الكهنة ليقوم بجولته في أنحاء المعبد، فجأة يخرج الموكب عن طريقه ويقف أمام الأمير الصغير "تحوتمس" وبهذه الوقفة يعبر عن رغبته الإلهية في رفعه إلي مرتبة الملك[3].

---

[1] كرستيان ديروش نوبلكور، حتشبسوت، عظمة .. وسحر .. وغموض، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة عدد ٩٢٤، ٢٠٠٥.

[2] Reeves, N., Wilkinson, R.H., *op.cit.*, p. 132 -133.

[3] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 266 – 267 and 267 n. 1= *Urk*. IV., 157 -159.

وقد تكون الوقائع المادية جرت على هذا المنوال ويفسر العالمان الفرنسيان دريوتون وفاندييه هذا بقولهما: أنه من الطبيعي أن يحاول كاهن آمون الأكبر الذي هو المتصرف المطلق في الوحي أن يستحوذ عن طريق هذه الخطوة غير المنتظرة على إرضاء ملك اختاره بنفسه[١].

ومهما يكن من الأمر فإن "تحوتمس" الثالث خلف أباه ويحتمل أيضا أن يكون ذلك هو الوقت الذي تزوج فيه بأخته نصف الشقيقة ابنة "تحوتمس" الثاني والملكة "حتشبسوت" الأميرة " نفرو رع " لكي يصبغ توليته للعرش بالصبغة الشرعية وأيضا طبقا لعادة الأسرة. وكان الملك الجديد طفلا عند توليه الحكم فنادت حتشبسوت زوجة أبيه وعمته في نفس الوقت، بنفسها وصية على عرش مصر وشريكة[٢]. أما من حيث الواقع فأنها اغتصبت السلطة لنفسها وظلت عشرين عاما على الأقل السيدة الوحيدة للبلاد، وهناك من النصوص المعاصرة مالا يترك أي أثر من الريبة في هذا الأمر، فالنص المنقوش على مقبرة المهندس المعماري أنيني" يوضح هذا تماما صعد ("تحوتمس" الثاني) إلي السماء منتصرا واندمج مع الآلهة وتولى ابنه مكانه كملك للقطرين وأصبح الرئيس على عرش من أنجبه وأدارت أخته (أي أخت "تحوتمس" الثاني وعمة الملك الجديد) الزوجة الإلهية "حتشبسوت" شئون البلاد طبقا لإرادتها""[٣].

ومن غير شك أن الملكة "حتشبسوت" اعتمدت على كونها سليلة الملوك فأبوها "تحوتمس" الأول وأمها "أحمس". أما الملك الجديد فلا يتمتع بمثل هذه الشرعية، الأمر الذي قد يكون فيه الكثير من الصحة، لأن شرعيته مستمدة من كونه المختار من آمون ليحكم مصر، اختيار وطده بالزواج من أخته نصف الشقيقة، الأميرة "نفرو رع" ابنة الملكة "حتشبسوت".

وإن كنا لا نعلم بما كان من أمر "تحوتمس" الثالث، خلال وصاية "حتشبسوت" الطويلة، ففي البداية كان يظهر اسمه في النصوص الرسمية مباشرة بعد اسم عمته ثم اختفي فيما بعد، وظل هذا الأمر مدعاة للتعجب ومثارا للدهشة لما ظهر عليه فيما بعد من قوة شخصية وإرادة. وشجع استسلامه لوصاية عمته بعض الباحثين على الاعتقاد بأن الملكة سجنته حتى تتخلص منه، إلا أن موقف وصاية واغتصاب "حتشبسوت" للعرش وتوارى "تحوتمس" الثالث مدة طويلة عن مسرح الأحداث مازال غامضا وأننا نتفق مع دريوتون وفاندييه أن وراءه هدفا سياسيا معينا، أبطاله كهنة آمون[٤]. ولو صح هذا فإن موقف كهنة آمون إزاء هذين الملكين متناقض

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت ، ص ٣٨٠.

[٢] Maruéjol, Fl., Thoumosis III et la corégence avec Hatchepsout, Pygmalion – Paris 2007.

[٣] Sethe, *Urk*. IV, 59 - 60 (13-17).

[٤] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي، مصر ، د.ت، ص ٥٢٥ – ٥٢٦.

تماما، فتارة نراهم يساندون "تحوتمس" الثاني باختيار آمون لابنه "تحوتمس" الثالث ليكون ملكا من بعده، وتارة أخرى يقفون من الابن موقف العدو لأن مساندتهم للملكة "حتشبسوت" تعود عليهم بالنفع أكثر مما لو وقفوا إلي جانب هذا الطفل الصغير "تحوتمس" الثالث، فتخلوا عنه وأيدوا عمته الملكة.

اهتم العديد من الباحثين بدراسة هذه الفترة التاريخية الهامة والغامضة ورغم صعوبتها في بعض الأحيان تناول العديد من علماء الآثار هذه الفترة طوال القرن الماضي ومنهم العالم الأمريكي الراحل جون ولسون الذي صحح الكثير من الآراء القديمة أهمها:

١) "تحوتمس" الثالث هو ابن لـ "تحوتمس" الثاني وليس أخا له كما اعتقد البعض.
٢) تزوج "تحوتمس" الثالث أولا من أخته من أبيه الأميرة " نفرو رع " لتصبح الزوجة الملكية الأولى.

وفي بحث كتبه العالم الأمريكي الراحل وليم هيس[١]، عرض فيه بعض الآراء التي ما زال لها وجاهتها وتتلخص هذه الأفكار فيما يلي:

١) يعتقد هيس أن اختيار "تحوتمس" الثاني لابنه "تحوتمس" الثالث ليكون ملكا على مصر من بعده، وقع أثناء حياة الأب يضيف هيس أن الابن شارك أباه في الحكم بضعة سنوات قضاها كلها في الجيش حيث كان يتمرن على حمل السلاح والقتال فقد أراد "تحوتمس" الثاني أن يؤهل ابنه الصغير ليكون ملكا محاربا من الطراز الأول مثل جده "تحوتمس" الأول.

٢) بعد وفاة الأب "تحوتمس" الثاني، شارك الملك الجديد عمته في الحكم واستمرت هذه المشاركة أعوام، بعدها نجحت الملكة في عزلة وعينت ابنتها "نفرو رع" بدلا منه ولكنها ماتت دون سن الشباب و تزوج من بعدها "مريت رع".

٣) بعد عشرين عاما تقريبا استطاع "تحوتمس" الثالث بمساعدة رجال الجيش الذي كان في صفوفه أن يتخلص من "حتشبسوت"، وماتت الملكة ودفنت في مقبرتها بوادي الملوك.

اعتمدت الملكة "حتشبسوت" دون شك على كهنة آمون لتتمكن من حكم مصر، وبالأخص على كبير الكهنة " حابو سنب " كما اعتمدت أيضا على مساعدة مجموعة من كبار

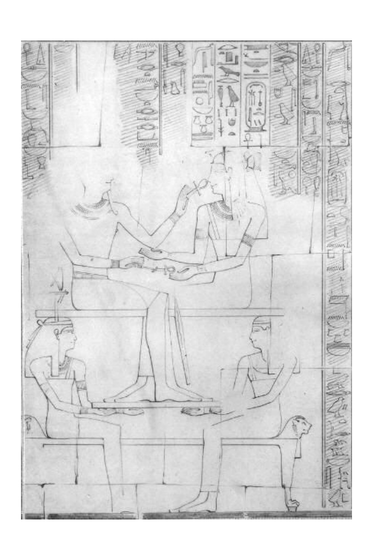
---

[١] Hayes, W. E., "Egypt: Internal Affairs from Tuthmosis I to the Death of Amenophis III" in *CAH*/1, 1966, p.6-8.

رجال الدولة أهمهم مدير الأعمال " سنموت " الذي كان يشغل في نفس الوقت منصب الوزير. وترك " سنموت " الكثير من التماثيل والآثار ذكر عليها ألقابه التي تشير إلي المكانة الكبيرة التي احتلها، وجدير بالذكر أن نشير هنا إلي ارتباطه الوثيق بالقصر الملكي فقد كان أيضا مربي الأميرة "نفرو رع" والمشرف على منزلها.

ومن الموظفين الكبار الذين ساندوا الملكة "حتشبسوت" – ودعموا حكمها . نذكر أيضا المستشار " نحسي " الذي لم يبخل عليها بولائه وعمل على رفعة مكانتها.

وكما ذكرنا من قبل أن "حتشبسوت" اعتمدت على كهنة آمون وبالأخص على الكاهن الأكبر لآمون " حابو سنب "[١]، فأنها لم تغفل الناحية النفسية لتقنع عامة الشعب بأحقيتها بالحكم. لذا لجأت إلي حيله سياسية في غاية من الذكاء، استغلت مثل ملوك الأسرة الخامسة، الدين، وعلى جدران معبدها المعروف باسم الدير البحري روت في قصة صورتها نقوش بديعة أنها ابنة الإله آمون رع نفسه، حيث تقمص الإله جسد أبيها "تحوتمس" الأول هي اجتماعه بأمها الملكة "أحمس"، ومن هذا الزواج ولدت "حتشبسوت" وتلقتها الآلهة مبشرة بمولد طفلة نصف إلهية، فاكتسبت بذلك تأييد الجميع، فابنة آمون أحق بوراثة العرش من طفل صغير رزق به الملك من الفتاة إيزيس، فذكاء "حتشبسوت" وقوة شخصيتها وطموحها العظيم جعل منها أعظم ملكات مصر وأرفعهن مكانة.



منظر يبين الولادة الإلهية للملكة حتشبسوت بالدير البحري نقلا عن
http://www.toutankharton.com/La-theogamie-d-Hatshepsout-a-Deir

---

١ Helck, W., *LÄ* II,955 -956.

حكمت "حتشبسوت" مصر خلال عشرين عاما وجهت فيهم نشاطها إلي الأمور السلمية وحازت أفريقيا على اهتمامها، ففي العام التاسع من حكمها أرسلت بعثة سلمية إلي بلاد بونت[١]، فقد حملت عدة سفن تجارية البعثة المصرية التي أبحرت من ميناء القصير عبر البحر الأحمر حتى وصلت إلي بلاد بونت[٢]. لقد تعرضت نقوش ونصوص معبدها بالدير البحري لأخبار هذه البعثة التجارية، وبوحي من الإله آمون رع أبيها أبحرت سفن جلالتها إلي بلاد بونت حيث كان في استقبالها أمير وأميرة هذه البلاد وأبنائهم. ونرى على نقوش هذه الحملة كيف كان الاستقبال حارا وكيف انحني أمير بونت وعائلته أمام الرمز الملكي "لحتشبسوت". ومن أطرف مناظر هذه الحملة منظر أميرة بونت عظيمة البدانة وإلي جوارها رسم حمار كتب فوقه " الحمار الذي يحمل زوجته " وتعنى هذه الجملة أنه الحمار الخاص بزوجة الأمير، ولكن المصري القديم لم يترك الأمر دون أن يعبر عنه بروح من المداعبة. وقد عادت الحملة محملة بخيرات البلاد من بخور وأحجار كريمة والجلود ودهون وزيوت وواحد وثلاثون شجرة من شجر الصمغ أي شجر الكندر ...[٣].



منظر يبين رحلة بلاد بونت التي أرسلتها الملكة حتشبسوت بالدبر البحري

---

[١] كريستيان ديروش نوبلكور ترجمة فاطمة عبد الله محمود، نفس المرجع، ص ١٨٥ – ٢٠٨ و ٤٧٥ – ٤٩٤.

[٢] رمضان عبده علي، بونت وتا– نثر، مجلة التاريخ والمستقبل ٢، جامعة المنيا كلية الآداب ١٩٩٩، ص ١ - ١٠٣.

[٣] Hayes, W. C., *op.cit*., p. 19 – 20; Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil* 2, 1995, p. 281 sqq.

واستمرت "حتشبسوت" على ولائها لأبيها آمون صاحب الفضل عليها في ارتقاء العرش فأقامت له هيكلا صغيرا بالكرنك أحجاره من الجرانيت الأحمر معروف باسم المقصورة الحمراء[١] ومسلتين عظيمتين[٢] وكذلك الصرح الثامن من نفس المعبد[٣]، وكذلك معبدا بديع البنيان على الضفة الغربية لمدينة الأقصر والمعروف باسم معبد الدير البحري[٤].

كما يجدر بنا الإشارة إلي استغلالها الكبير لمحاجر الجرانيت بأسوان حيث مازالت ترقد إلي الآن المسلة الثانية التي أمرت بنحتها، إلا أنها تركت عن عمد لحدوث خطأ فني أثناء قطعها.

كما قامت "حتشبسوت" بإصلاح وترميم ما كان مخربا وخاصة ما هدمه الهكسوس كما يوضح لنا النص الذي نقشته على جدران معبدها المعروف باسم إسطبل عنتر(اسبيوس آرتميدس)[٥].

يمتاز حكم "حتشبسوت" كما ذكرنا من قبل بالنشاط السلمي إلا أننا نعرف أنها أرسلت حملة تأديبية واحدة إلي بلاد النوبة وذلك لردع كل من سولت له نفسه إثارة الاضطرابات والعبث بالسلطان المصري في الجنوب.

جمعت "حتشبسوت" الألقاب الملكية كاملة كما احتفظت بألقابها التي نعتت بها عندما كانت زوجه الملك فقط: ابنة الملك، أخت الملك، زوجة الإله، الزوجة الملكية العظمى.

وانفردت "حتشبسوت" بين ملكات مصر اللاتي حكمن بأنها اتخذت من ملابس الملوك الذكور رداءا لها واتخذت أيضا صفة المذكر في الكثير من ألقابها إلا أنها لم تستعمل أبدأ في الديباجة الخاصة بها لقب " كا – نخت " أي الثور القوى الذي كان وقفا على الرجال دون النساء ولكنها لم تتخلى أبدا عن صفتها الأنثوية كما يوضحها لنا نقش عثر عليه بالكرنك صورها وهي ترتدي الملابس النسائية، وكذلك وصفها النص المرافق لنقوش رحلة بونت المصورة على جدران الدير البحري، على لسان أمير بونت بأنها "الشمس الأنثى"، هذا بالإضافة إلي أن الفنان لم يهمل تمثيل رقة التعبير الأنثوي في نحته لوجهها حتى في التماثيل التي تمثلها في هيئة رجل.

---

[١] PM II^2, p. 64 – 710

[٢] PM II^2, p. 81-82.

[٣] PM II^2, p. 174 – 175.

[٤] PM II^2, p. 340 -377.

[٥] PM IV, p. 163 -165.؛ كريستيان ديروش نوبلكور ترجمة فاطمة عبد الله محمود، نفس المرجع، ص ٣١٣ وما بعدها.

وماتت "حتشبسوت" وإن كنا مازلنا نجهل إلي الآن إن كانت الملكة العظيمة ماتت ميتة طبيعية أو قتلت على أثر مؤامرة قام بها "تحوتمس" الثالث بمساعدة رجال الجيش؟ وقد تكون دفنت " حتشبسوت"، في البداية، بمقبرتها بوادي الملوك رقم ٢٠ حيث وضعت من قبل أبيها "تحوتمس" الأول، ثم نقلت مومياؤها إلي TT 320 إلا إننا لم نعثر إلي الآن، بصورة مؤكدة، على مومياء الملكة، ولو إننا عثرنا في KV 20 على تابوتين فارغين أحدهما من الحجر الرملي يحمل اسمها (المتحف المصري بالقاهرة) والآخر من الكورتزيت لأبيها "تحوتمس" الأول (متحف بوسطن للفنون الجميلة) ، هذا إلي جانب أواني الكانوبية وتماثيل الأوشابتي تحمل اسمها وأخري "لأحمس نفرتاري" ,"تحوتمس" الأول و"أحمس". وفي المقبرة TT 320 تم العثور على صندوق خشبي مختوم باسمها بداخله أحد ضروسها.

في يوليه ٢٠٠٧ أعلن رئيس المجلس الأعلى للآثار، الدكتور زاهي حواس، أنه تم التعرف على مومياء الملكة ومرضعتها اللتين عثر عليهما في مقبرة رقم KV 60 بوادي الملوك[١]. وتم تحديد شخصيتها بواسطة الضرس، السابق العثور عليه داخل علبة تحمل اسمها وجدت بالمقبرة TT 320، ومكانه الخالي في فمها، وهي سيدة ضخمة في الخمسين من عمرها عانت على ما يبدو من داء السكر وماتت متأثرة بالمرض الخبيث. أما المومياء الثانية فهي طبقا لما أعلنه رئيس المجلس الأعلى للآثار هي لمرضعة "حتشبسوت"السيدة "ست رع"، رغم ما يبدو عليها ظاهريا من شبه يجعلنا نعتقد أنها سيدة ملكية من أسرة التحامسة.

اعتبرت قوائم الملوك في الدولة الحديثة "حتشبسوت" مغتصبة للعرش ولم تذكرها ضمن أسماء الملوك الذين حكموا مصر أسوة بقائمة "تحوتمس" الثالث بالكرنك.

ومهما يكن من أمر "حتشبسوت" إلا أن مصر نعمت في عهدها بعصر من الرخاء والاستقرار والرفاهية فهي بدون شك من أعظم من حكموا مصر.

---

[١] آثار مصر ، نشرة يصدرها المجلس الأعلى للآثار، عدد خاص ,٢٠٠٧
http://guardians.net/hawass/Press s/Press%20Releases/identifying_hatshepsut.htm.

تحوتمس الثالث، من خبر رع

١٤٧٩ – ١٤٢٥ ق. م

ولأول مرة أصبح لـ "تحوتمس" الثالث مطلق الحرية في حكم مصر بعد وفاة الملكة "حتشبسوت"، قاد البلاد من نصر إلي آخر وصعد بها إلي القمة ومنها حكم بلاد الشرق الأدنى، وأصبحت له إمبراطورية واسعة الأرجاء. كان "تحوتمس" الثالث – بدون شك – من أعظم الملوك الذين اعتلوا عرش مصر، كان المحارب الجسور والسياسي المحنك، فأن ما مر عليه من أحداث جعله ينتهج سياسة اللين والحزم في إدارة البلاد وتأمين مصالحها في الداخل والخارج. ولم يكن انتباه "تحوتمس" مركزا فقط على توطيد اسم مصر وهيمنتها، بل تعداه إلي تشييد المعابد في مصر والنوبة مما يدل على قوة الاقتصاد واستقرار الأمر في تلك الفترة التاريخية فإن ما واجهته مصر من حروب وما قامت به من حملات، وصل عددها إلي سبعة عشرة حملة، لم يقضى عليها بل زاد من قوتها وثرائها.

كان "تحوتمس" الثالث رجل دولة وإداري من الطراز الأول وأيضا السياسي والقائد الحربي الذي لم تنجب مصر مثله.

وبانتهاء حكم "حتشبسوت" يتولى "تحوتمس" الثالث العرش منفردا بعد سنوات طويلة من الانزواء، فلم يعترف بفترة اغتصاب "حتشبسوت" للعرش وظل يؤرخ أيام حكمه منذ أن كان صبيا، وظلت السنوات تمارس الحكم المشترك ومنفردة ومات بعد أن حكم أربعة وخمسين عاما – منهم اثنان وثلاثون عاما منفردا.

عندما عاد إلي الحكم وجد بلاد الجنوب والشرق الأدنى في حالة تهدد المصالح المصرية. وهو غير معروف إذا ما كان سببه وجود سيدة على عرش مصر الأمر الذي أدى إلي انتفاضة الجنوب وبدء ظهور الاضطرابات في سوريا وبدء ثورتها على حكام مصر. وعلى أي حال فإن الموقف في كل من السودان وسوريا وجد في "تحوتمس" الثالث الملك الجديد بمواجهته.

ويرى الدكتور عبد العزيز صالح (الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق ١٩٧٦، ص ٢٠٨) أن أسباب الاضطرابات التي نشأت في آسيا وهددت النفوذ المصري ترجع إلي ثلاثة عوامل:

أ- الاهتمام في عصر الملكة "حتشبسوت" بتوطيد العلاقات مع أفريقيا أكثر من الاهتمام بمصالح مصر مع آسيا مما أدى في رأى المؤلف إلي ابتعاد مصر عن جيرانها أهل الشام.

ب- وحدة دولة ميتان تحت زعامة حاكم واحد أدت إلي ازدياد نفوذها وتدخلها في شئون بلاد الشرق الأدنى، وهذا بالإضافة إلي موقعها الإستراتيجي الممتاز والتي استطاعت بواسطة التحكم في مداخل التجارة السورية – العراقية، مما أتاح لها منافسة مصر.

ج- اتجاه حكام مصر ميتان إلي سياسة شغل انتباه مصر عنهم وهذا بإثارة الاضطرابات ضدها ونجاحهم في استمالة بعض حكام الشام ورؤساء البدو.

كما سبق أن ذكرنا أنه عندما أصبح "تحوتمس" صاحب الأمر نظم حملة على آسيا فكانت الأولى من ست عشر حملة كان عليه أن يقوم بهم ليقضى على التحالف الآسيوي. وروى لنا "تحوتمس" الثالث هذه الحملات في حولياته المنقوشة على جدران الممر المحيط بقدس الأقداس في معبد الكرنك وعلى الصرح السادس[١].

تناولت النصوص تفاصيل حملته الأولي، حملة مجدو وأهم حملاته على الإطلاق، روتها بالتفصيل[٢]، أما عن حملاته الست عشرة الأخرى فبعضها اقتصر على كونه مجرد حملات تفتيشية (الثانية، الثالثة والثالثة عشرة)، وبعضها فقد نتيجة لضياع أجزاء من نص الحوليات (الرابعة، الحادية عشرة والثانية عشرة). والبعض سمي حملات دون وجه حق لأن النص يقتصر على قوائم الجزية فقط (الخامسة عشرة والسادسة عشرة)، والبعض الآخر هو حملات تأديبية (العاشرة الرابعة عشرة والسابعة عشرة). أما الحملات الخمس الباقية فهي المهمة حقا والتي سنتناولها طبقا لترتيبها الزمني.

---

١ PM II², p. 88, 89 -90, 97 – 98, 99, 110.

٢ Sethe, K., *Urk* IV, p. 647 – 667 (Annal); 1234 -1236 (Gebel Barkal Stele); 1246- 1247 (Armant Stele).

عبر جون ولسون[1]عن هذه الفتوحات بقوله أن حروب "تحوتمس" الثالث في آسيا ما هي إلا مباراة طويلة دامت قرابة عشرين عاما بين ملك ميتانى وملك مصر الذي انتصر فيها وأدرك هدفه مجتازا المراحل الآتية:

- الاستيلاء على مجدو (الحملة الأولى).
- بلاد چاهي (فينيقيا) – (الحملة الخامسة).
- الانتصار على قادش (الحملة السادسة).
- إقامة قواعد بحرية على شاطئ فينيقيا (الحملة السابعة).
- فتح نهرينيا (ميتانى) (الحملة الثامنة)[2].

الحملة الأولى عام ٢٢– ٢٣

ويذكر نص الحوليات أن الملك عسكر من حصن ثارو على المقربة من بلدة القنطرة (على بعد أربعة كيلومترات شرق القنطرة وقنال السويس): في العام الثاني والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء في اليوم الثاني من حكم "تحوتمس" الثالث، وأنه في بحر تسعة أيام استطاع أن يعبر بجيشه حوالي ٢٨٠ كيلو مترا من الصحراء حتى وصل إلي غزه. وتعلل الحوليات هذه الحملة السريعة بتمرد حدث في آسيا، والحقيقة أنه كان تحالف أكثر منه ثورة[3].

استراح الجيش المصري برئاسة "تحوتمس" أربعة أيام في بلدة غزه ثم اتجه نحو " يحم " حيث وصل إليها بعد مسيرة أحد عشر يوما دون أي اعتراض إذ اختار المتحالفون أن يتجمعوا في مجدو لملاقاة الجيش المصري في معركة واحدة. ولما اقترب "تحوتمس" من أعدائه جمع كبار رجال جيشه وعقد مجلسا حربيا ليختاروا الطريق الذي يسلكونه للوصول إلي مجدو(تل المتسلم على الحافة الجنوبية لسهل جزريل وفي الناحية الشرقية الشمالية من جبل الكرمل) بحيث تجمعت قوى العدو والمؤلفة من جيوش رؤساء سوريا وفلسطين الثلاثمائة وثلاثين زعيم بقيادة أمير قادش.

---

[1] اتين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ٤٥١.

[2] المرجع السابق، ص ٤٥١.

[3] المرجع السابق، ص ٤٥١.



نقلا عن: *http://www.bibleplaces.com/megiddo.htm*

وكان أمام الجيش المصري ثلاثة طرق: طريق مباشر يخترق الجبل ولكنه وعر وصعب، وطريقان آخران يدوران حول جبل الكرمل، أسهل ويؤديان إلي مجدو مباشرة ودون أدنى خطورة. ورغم نصيحة كبار رجال الجيش اختار "تحوتمس" الطريق الأول الذي يخترق الجبل والذي كان من الضيق بحيث لا يستطيع المصريون الدفاع عن أنفسهم في حالة الهجوم عليهم. ولكن الحظ حالف "تحوتمس" واستطاع العبور بسلام ولما تم تجميع الجيش قرر الملك أن يقاتل في صباح اليوم التالي. وقاد "تحوتمس" هجوما على مجدو منظما جنده في ترتيب هجومي جديد يطبق لأول مرة في الحروب، إذ هجم الجيش على شكل نصف دائرة (شكل المروحة وأطبق بجناحيه على جند التحالف. وكانت المعركة نكبة على المتحالفين الذين فروا بغير نظام واحتموا في مدينة مجدو الحصينة. ولولا أن المصريين شغلوا أنفسهم بجمع الغنائم لكان من السهل عليهم الاستيلاء على المدينة وهو الأمر الذي أدى إلي محاصرة حصن مجدو مدة لم يحددها النص ولكن الدكتور احمد فخري[1] يذكر أنها استمرت حوالي سبعة أشهر وعلى أية حال فبعد هذه المدة استسلم المتحالفون – إلا أن قائدهم أمير قادش نجح في الهروب. وبعد انتصاره في مجدو وفي طريق عودته استولي على العديد من المدن دون عناء، تذكر منهم الحوليات أسماء: ينوعام ونوجس وحور نكارى وهي المدن التي على ما يبدو حاولت مقاومة "تحوتمس" الثالث وجيشه المنتصر[2].

[1] "أحمد فخري، مصر الفرعونية، ٢٠٠٤، ص ٢١٩.

[2] اتين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، الرجع السابق، ص ٤٥٢.

سادت فترة من الهدوء النسبي خلال الأعوام من ٢٤- ٢٦ من حكمه واهتم الملك فيها بتنظيم أمور البلاد التي استولي عليها وذلك لمدة ثلاث سنوات، فقسم سهل رتنو إلي عدة أقسام وكلف عدد من المفتشين بمراقبة الحصاد.

وكان "تحوتمس" يقضى من كل عام بعض الوقت في آسيا حتى ولم يعتزم القتال وذلك ليراقب بنفسه جباية الضرائب ولكن الأهم من ذلك ليكون وجوده في المنطقة ما يرهب أمراءها ويقضى على أية محاولة للتمرد.

وفي **الحملة الثالثة** جلب "تحوتمس" معه إلي مصر نماذج من الحيوانات والنباتات من سوريا وسجلها في مجموعة من الرسومات نقشها على جدران مقصورة بمعبد الكرنك سميت فيما بعد بـ " حديقة النباتات ".

واستمر "تحوتمس" الثالث في حملاته على آسيا خلال الأعوام من ٢٩-٣٢، إلا أنه أدرك مدى احتياجه لوجود قاعدة بحرية في فينيقيا، وذلك لأن السفر من مصر إلي سوريا عن طريق البحر كان أسرع وأقل خطورة من الطريق البرى.

الحملة الخامسة قام بها في العام التاسع والعشرين وخرجت من جاهي، فلم تعد الجيوش تخرج من منف ولا من ثارو ولكن من جاهي أو من رتنو. كان الهدف من الحملة القضاء على المتمردين والاستيلاء على مدينة "أولازا" والقضاء ربما على أمير "تونيب " المتواجد بها للدفاع عنها. وتقع "أولازا" على بعد خمسة عشر كيلومترا من النهر الكبير وعلى حوالي خمسين كيلومترا من مدينة جبيل. وفي طريق العودة استولي علي سفينتين محملتين بالخيرات إلي جانب ما استولي عليه من "أولازا" وغيرها[١]. و ذكرت الحوليات أنه استولى على بلدتي "وارثت" (غير معروف مكانها الحالي) و"أرود " التي تقع في داخل البلاد غير بعيدة عن الشاطئ. وبلدة "وارثت" هذه هي مدينة سوريا محصنة لا تبعد عن النهر العاصي وكانت حليفة لقادش وبلاد النهرين[٢].

أقام "تحوتمس" في آسيا حكما عسكريا وسياسيا وعين مندوبا له ومفتشين مقيمين في المدن الهامة، للإشراف على الأمراء المحليين وجعل من غزه المركز الرئيسي للإدارة. هذا إلي

---

[١] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil II*,1995, p.302

[٢] المرجع السابق، ص ٤٥٤.

جانب الفئة المعروفة " مبعوثو الملك " إلي جميع البلاد الأجنبية، الذين كانوا يحملون رسائل الملك من مصر إلي أطراف الإمبراطورية.

أحكم الملك سيطرته على بلاد آسيا إلي درجة أنه استطاع أن يحكم البلاد ببضع حاميات مبعثرة في مدن مختلفة.

الحملة السادسة قام بها الملك في العام الثلاثين وفيها عاد الملك إلي آسيا عن طريق البحر، ويحتمل أنه نزل في "جامرا" (تل السمرا) وهي أقرب ميناء لمدينة قادش الحصينة التي كانت هدف هذه الحملة التي انتهت بانتصاره واستيلائه عليها. عاد بعدها إلي مصر بعد أن أخمد في الطريق ثورة بلدة " أرود "، وفي هذه المرة أحضر معه إلي مصر أبناء الزعماء السوريين، أخذهم ليكونوا رهائن في مصر، وكان عددهم ستة وثلاثين أميرا. انتهج "تحوتمس" الثالث هذا السلوك ليضمن ولاء زعماء سوريا وحسن تصرفهم. وكان أولادهم يتلقون في نفس الوقت العلم في مصر مع وريث عرشها، الأمير "أمنحوتب"، حتى يشبوا أصدقاء ويزداد ارتباطهم بمصر، وفي المستقبل عندما يصبح كل منهم حاكما في بلده يبقي على ولاءه لمصر ويضمن المصريون بذلك عدم انشقاقهم عليهم. وقد نجحت هذه السياسة نجاحا باهرا حيث إننا رأينا في عصر العمارنة استمرار ولاء بعض هؤلاء الأمراء الآسيويين – ولاءا يكاد يكون جنونيا على حد تعبير جون ولسون[1].

الحملة السابعة، كان الهدف من هذه الحملة الاستيلاء على المزيد من المواني الفينيقية مما يسهل ويضمن المواصلات البحرية بين مصر وآسيا وأيضا لاستخدامها لتخزين الجزية السنوية إلي أن يتم نقلها إلي مصر.

وقد تمت هذه الحملة بنجاح تام حصل فيها "تحوتمس" الثالث على خضوع مواني فينيقيا المختلفة.

الحملة الثامنة، تعتبر هذه الحملة مع حملة العام الأول أهم حملات "تحوتمس" الثالث على الإطلاق، يحقق "تحوتمس" فيها هدفه ويصل إلي الفرات. خرجت الجيوش هذه المرة من الـ "رتنو" (*Urk.* IV,707,16) هدفه "نهرينيا"، وعبر منطقة غير معلومة "بحو نو ستيت"، وواصل طريقه إلي جبيل وهناك بنى سفنا نهرية من خشب الأرز وحملتها مركبات تجرها ثيران واتجه بها إلي بلاد النهرين، وفي الطريق اشتبك في معركة في بلدة " وعين " غربي حلب،

[1] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، د. ت، ص ٣٠٠.

واستمر تقدم الجيش المصري حتى وصل إلي " قرقميش " حيث نشبت معركة هائلة كان النصر فيها حليفا لـ"تحوتمس"، ويذكر دريوتون وفانديبه[1] أنه وصل إلي نهر الفرات[2] وفر العدو إلي ما وراء النهر فتتبعهم "تحوتمس" بسفنه التي أحضرها من چبيل، واجتاز الفرات ولاحق العدو حتى جبال " مثنى " وفي طريق العودة أقام نصبا تذكاريا إلي جانب النصب الذي أقامه "تحوتمس" الأول على الضفة الشرقية للنهر مسجلا عليه هذا الانتصار العظيم. وفي هذا ما يدل على أن أطماع "تحوتمس" الثالث لم تتعد هذا الجانب من النهر.

وبعد هذا الانتصار وتحقيقه للهدف الذي من أجله جاء إلي آسيا، يتجه الجيش المصري بقيادة "تحوتمس" الثالث إلي الجنوب إلي بلدة " نى " حيث قام هناك برحلة لصيد الفيلة التي روتها لنا نصوص مقبرة " آمون إم حب " ونصب جبل برقل: " ففي بقعة ما من بقاع الماء اعتادت الفيلة أن تروى ظمأها منه. التقى الملك بقطيع من مائة وعشرين فيلا وقد أظهر الملك شجاعة عظمى إلا أن المغامرة كادت تنقلب إلي كارثة فقد هدد الملك فيل ضخم تهديدا جديا، ولم ينقذ حياته إلا شجاعة وحسن تصرف" آمون إم حب "[3].

وتختم نصوص الحوليات رواية هذه الحملة بقائمة الجزية التي تسلمها "تحوتمس" الثالث في ذلك العام. ويلاحظ في هذه القائمة أن الجزية لم تدفعها البلاد التي أخضعها الملك فقط وهي بلاد النهرين والمواني الفينيقية فحسب . بل دفعتها أيضا بلاد أخرى أرعبتها قوة "تحوتمس" وهي بلاد آشور وبابل والحيثيين بل وبلاد بونت البعيدة.

وفي السنوات التي تلت هذا قام "تحوتمس" بإخماد ثورات في إقليم " نوجس " و " أرينا " في إقليم حلب. وكانت نتيجة لهذا إضافة انتصارات جديدة إلي قائمة انتصارات من ورائها جنت مصر من الجزية ثروات طائلة.

وفي الحملات التالية، النص هنا لا يحدد الحملة، يعقد أمراء ميتان، قادش وتونيب حلفا جديدا أرادوا به تهديد "تحوتمس" الثالث، إلا أن هذا الأخير كان محاربا شجاعا مندفعا لا يخيفه مثل هذا التهديد فيصل "تحوتمس" بطريق البحر إلي تل سمرا ويستولى على ميناء "عرقاتو" الفينيقي ويسير مباشرة إلي تونيب (مدينة سورية – موقعها غير معروف إلي الآن) ثم يحاصر مدينة قادش حيث حاول الأعداء القيام بمعركة كبيرة ليتجنبوا الحصار ورأى أمير قادش القيام

[1] اتيين دريوتون وجاك فانديبه ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ص ٤٥٥.

[2] يقترح فاندرسلين أنه نهر الليطاني: Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil* II,1995, p.304

[3] *Urk*. IV 894, 1.؛ Vandersleyen, C., *op.cit.*, p.305 -306.

بخدعة حتى يتخلص من "تحوتمس" الثالث، فيرسل فرسا هائجا لإثارة الاضطراب في صفوف المصريين وهنا يتصدى له الضابط المصري " آمون إم حب " ويطارد الفرس مترجلا ويقتله وعندئذ يدرك الأعداء فشل خدعتهم فينسحبوا داخل أسوار قادش وهنا يأمر "تحوتمس" الثالث بمحاصرة المدينة وفتح ثغرة في أسوارها تسقط قادش وتستولي عليها جيوش الملك[١].

أصبح لمصر سلطان لا نزاع فيه بعد الاستيلاء على قادش فكانت الولايات الآسيوية تقدم الجزية بانتظام. هذا بالإضافة إلي أن البلاد المجاورة لم يدخل معها "تحوتمس" في معارك وكانت تقع ما وراء أطماعه وأهدافه السياسية. فقد خشيت هذه البلاد معاداة مصر فأرسلت بابل وآشور وبلاد الحيثيين وجزر بحر إيجة أنفس وأغلى الهدايا لكي تثبت حيادها وتضمن سلامتها.

أما الجنوب الذي كان أهدأ حالا من آسيا، نال أيضا من اهتمام الملك وشن حملته السابعة عشرة في العام الخمسين، فأعاد حفر قناة الجندل الأول وانتصر على بلاد كوش. امتد سلطان "تحوتمس" الثالث إلي ما وراء الجندل الرابع.

وهكذا كان "تحوتمس" على حق عندما ذكر أن حدود مصر في عهده تمتد من كاروي جنوبا إلي بلاد النهرين شمالا.

وكان الغرض من هذه الحوليات المنقوشة بالكرنك والتي كانت في الأصل مكتوبة على لفائف من الجلد كتقارير حربية يومية ثم أمر الملك فيما بعد بنقشها على جدران معبد الإله آمون كدليل يدل على قيامه بواجبة نحو مصر.

يهمنا هنا أن نذكر إن الغرض من إقامة هذه الإمبراطورية المتشبعة بالروح المصرية كان في البداية هو طرد الهكسوس ومعاقبتهم، ولكنه تحول من مجرد شعور بالطمأنينة إلي الرغبة في الإحساس بالسلطان والتمتع بثروات المنطقة. وكان الغرض في إنشاء هذه الإمبراطورية يرجع في رأى جون ولسون إلي إلهين هما: الإله والملك، الملك الذي قاد الجيش، والإله آمون رع الذي بارك هذه الحروب وأذن بقيام إحدى الحملات ضد الأعداء وأذن لـ "تحوتمس" الثالث بأن يقود الجيوش في المعركة[٢].

---

[١] Vandersleyen, C.,*op.cit.*, p. 307.

[٢] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ص٣٠٤.

وكما عادت الثروات على الإله آمون رع ومعبده الكبير بالأقصر، وأصاب أيضا جزءا من هذه الخيرات معابد آلهة محلية أخرى مثل بتاح إله منف ورع إله هليوبوليس وست وكذلك نال كهنتهم من الثروات شيئا كبيرا إلا أنهم لم يصلوا أبدا إلي درجة كهنوت آمون بطيبة.

وأدت هذه الحملات المنتصرة إلي زيادة أعداد المصريين المقيمين في آسيا أو الذين كانوا يسافرون في مهام تتعلق بشئون الإمبراطورية. وفي الوقت نفسه أقام في مصر مجموعات كبيرة من الآسيويين، وقد ضمت طيبة وخاصة منف أعدادا كبيرة منهم، استوطنوا مصر حيث تمتعوا بحرية العبادة فشيدوا المعابد لآلهتهم: بعل وعشتارت وقادش ورشب، كما انتشرت عبادة آمون رع في آسيا وبذلك أصبح أول آلهة العالم القديم الذي يصل إلي مرتبة العالمية، محققا بذلك، هدفا سياسيا كبيرا، ألا وهو إيجاد نقطة لقاء وتقارب بين هؤلاء الوافدين الجدد والمصريين.

ورغم النشاط الحربي الكبير الذي اشتهر به "تحوتمس" الثالث فإنه لم يغفل أبدا عن الاهتمام برعيته فعلى جدران مقبرة وزيره " رخمى رع " (المقبرة TT 100) [١] نقش هذا الأخير تعليمات الملك إليه ليحكم بالعدل بين الناس وتتلخص في الآتي: " يمقت الإله التحيز، لا تصرف شاكيا دون أن تسمع دعواه، إذا تقدم إليك متظلم فلا تطرده بغير سبب، أما إذا كان لا بد من طرده فبين له لماذا تطرده: إذ أن الشاكي يفضل الاستماع إلي شكواه على أن يراها تجاب. كن مهابا فإنما الأمير هو الأمير الذي يخاف منه، لكن تأمل: أن هيبة الأمير هي أن يكون عادلا أما إذا عمل المرء على أن يكون مصدر خوف دائم فإن الناس يعتقدون أن فيه شيئا من الظلم. وإنما تصل الهيبة إذا أديت هذه الوظيفة التي تؤدى فيها العدالة. تأمل تلك هي الشريعة القائمة منذ عهد الإله"[٢].

كما اهتم "تحوتمس" الثالث بالبناء فمعبد الكرنك والنوبة والكثير من أنحاء مصر تشهد على كثرة ما شيده "تحوتمس" الثالث. إلا أنه لم ينس أيضا الانتقام من عمته "حتشبسوت" فحطم تماثيلها ومسح اسمها من على جدران المعابد، وامتد انتقامه فشمل أيضا " سنموت " المهندس الذي كان أحد دعائم نظام "حتشبسوت" فهشم تماثيله أو أغلبها وصوره التي نقشها خلف أبواب معبد حتشبسوت " الدير البحري " وكذلك مقبرته عانت هي الأخرى من انتقام الملك الذي جند له الكثير من أعوانه.

---

[١] PM I/1², p. 206 – 214.

[٢] Helck, W., *Urk*. IV, p. 1072 sqq.

فقد قاسى "تحوتمس" من ظلم "حتشبسوت" له إلا أن انتصاراته العظيمة تغفر هفوة الانتقام التي انزلق إليها.

مات "تحوتمس" الثالث بعد أن حكم مصر أربعة وخمسين عاما وجلس على عرش مصر من بعد ابنه "أمنحوتب"، ودفن "تحوتمس" في مقبرته KV 34، ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بمومياء هذا الملك العظيم.

أمنحوتب الثاني[١]، عا خبرو رع
١٤٢٧ – ١٤٠٠ ق.م

[١] Der Manuelian, P." Studies in the Reign of Amenophis II", *HÄB* 26, 1987.

ولد أمنحوتب الثاني في منف[١]، واتخذه أبوه "تحوتمس" الثالث في العام الخامس والخمسين من حكمه شريكا في الحكم، على الأقل، لمدة عامين.

أدرك "تحوتمس" الثالث أن مصر وإمبراطوريتها الشاسعة لن يحافظ عليها إذا لم يخلفه على العرش ملك محارب قوى يستطيع السيطرة على أمراء آسيا ويفرض عليهم احترام مصر والخضوع لها. لذا عمل على أن ينشأ ابنه "أمنحوتب" نشأة رياضية عسكرية.

منذ نعومة أظافره سلمه أبوه "تحوتمس" الثالث إلي أحد ضباطه ويدعى " مين " ليكون له نعم المعلم[٢]. ونرى على مناظر مقبرة عمدة ثني "مين" رسومات تروى لنا أحد دروس الرماية التي كان يتلقاها الأمير الصغير على يد معلمه " مين " ويرافق الرسم نص صغير فيه يشرح " مين " للأمير قائلا " شد القوس حتى أذنك مستعملا كل ما في ذراعيك من قوة وثبت السهم ... يا أمير أمنحوتب "[٣].

وقد شب "أمنحوتب" حسب رغبة أبيه وبرع إلي أقصى حد في الرياضة فهناك الكثير من النصوص المعاصرة لـ"أمنحوتب" الثاني تروى لنا براعة هذا الملك. فعلى لوحته المشهورة التي عثر عليها إلي جوار أبو الهول بالجيزة[٤] يروى لنا "أمنحوتب" الثاني مدى حبه للجياد ومهارته في تدريبها وقدرته على السيطرة عليها. وهذا منذ أن كان يافعا لدرجة أن كبار رجال الدولة خشوا عليه ونقلوا خوفهم إلي أبيه "تحوتمس" الثالث الذي لم يرتجف قلبه خشية على ولده بل بالعكس سر سرورا عظيما وطلب منهم إعطاء "أمنحوتب" خير جياد إسطبل جلالته بمنف. وقال " هذا هو الذي سيصبح سيد الأرض كلها، ولن يكون له معارض"[٥].

هكذا أراد الأب والملك العظيم أن يكون ابنه "أمنحوتب" الرجل الذي لا يهاب المصاعب ولا يرتجف أمام المخاطرة وقد كان له ما أراد. وكان لنشأة "أمنحوتب" الثاني الرياضية والعسكرية دور كبير في أن جعلت منه المحارب الذي لا يخشي الخطر ولا يتردد في اتخاذ القرار.

وبعد أن أصبح "أمنحوتب" ملكا في سن الثامنة عشرة، لم يهمل في إظهار قوته البدنية، فقد كان يستطيع أن يأتي بالمعجزات، ففي إحدى الأيام دخل مخزن السلاح وفحص ثلاثمائة

---

١ Helck,W.,*Urk* IV, p. 1366.

٢ Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 137 (photo).

٣ PM I/1², p. 227 (5) - (TT 109); Urk IV, 977

٤ PM III/1², p.39 .

٥ DECKER, W.," Sportliche Elemente im altägyptischen Krönungsritual. Überlegungen zur Sphinx-Stele Amenophis II"., *SAK* 5 (1977), 1-20 (1 plan).

قوس " مقارنا بين صناعتها " وذهب بعد ذلك إلي حديقة " ووجد أنهم أقاموا له أربع أهداف من النحاس الآسيوي سمك كل منها ٧,٥سم وبين كل هدف وآخر حوالي عشرة أمتار ونصف فاعتلى جلالته عربته مثل الإله منتو في قوته، وأمسك بقوة واخذ أربعة أسهم دفعة واحدة. وساق عربته وسدد إليها السهام مثل منتو في زينته الملكية فنفذ من ظهر(الهدف الأول) ثم اتجه نحو الهدف الثان محققا بذلك عملا عظيما لم يحدث أن سمع به أحد من قبل أن يطلق الإنسان سهما على هدف من النحاس فيخرج منه السهم ويستقر على الأرض . (لم يفعل ذلك أحد) اللهم إلا الملك العظيم في أعماله ("أمنحوتب" الثاني)[١].

ولما بلغ الثامنة عشرة آتي بالمعجزة الآتية: " ...... ففي أحد الأيام، كان يجدف في آخر سفينة الصقر، ومعه مائتان من البحارة وتركوا الشاطئ، وما أن قطعوا ثلثي ميل وهم يجدفون، حتى أصابهم التعب وضعفت أجسامهم . بينما ظل جلالته على قوته وهو يجدف بمجداف يبلغ طوله حوالي عشرة أمتار ونصف، ورست السفينة بعد أن قطعت أربعة أميال، وهو يجدف دون أن يتوقف لحظة واحدة، وكانت الوجوه مشرقة وهي تنظر إليه عندما فعل ذلك "[٢].

ويعلق جون ولسون على هذا النص بقوله: " وحتى لو دخلنا الشك في صحة هذه الأرقام التي وردت، أو في أمانة السياق، وحتى لو قلنا أن ذلك العمل كان جماعيا وليس مجهودا لفرد واحد، فأنه يجب علينا ألا نغفل إننا أمام حادث قام به أحد الملوك وهو يصور لنا تصويرا صادقا روح العصر الذي عاش فيه[٣].

كان أحد مظاهر الأسرة الثامنة عشرة هو استعراض قوة الملك وبراعته وإقباله على ممارسة الرياضة، كان المصريون يمجدون الرياضة والرجل القوى الجسم. بدا هذا التقليد منذ "تحوتمس" الأول الذي نراه يصطاد الفيلة في " ني " ثم يتبع "تحوتمس" الثالث نفس الأسلوب فيقص علينا كيف قام باصطياد مائة وعشرين فيلا في شمال سوريا، وكيف قتل سبعة أسود في لحظة قصيرة وأمسك قطيعا من أثنى عشر ثورا في ساعة واحدة. إلا أن "أمنحوتب" الثاني هو الذي امتاز بأنه صاحب الأعمال الرياضية الخارقة ونذكر بالذات براعته في الرماية التي كان يعتز بها اعتزازا خاصا لدرجة أنه عندما مات أخذ معه في قبره قوسه الكبير المصنوع من

---

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، ١٩٥٥، ص ٣٢٤ – ٣٢٥. ; Vandersleyen, C., *op. cit*., p.322.

[٢] ZAYED, Abdel Hamid, "Exploits Sportifs du Roi Amenophis II", *Egyptology at the Dawn of the Twenty – First Centry Proceedings of the Eighth International Congress of Egyptologists*, Cairo, 2000, 2003.

[٣] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ٣٢٥.

الخشب والقرن وهو يلائم ما كان يردده مفتخرا: " لا يوجد رجل يستطيع أن يشد قوسه بين رجال جيشه أو بين حكام البلاد الأجنبية، أو بين أمراء رتنو، لأن قوته كانت أعظم بكثير من (قوة) أي ملك عاش قبله. وامتد هذا التقليد في إبراز قوة الملك في استعماله للسلاح أو بممارسته للرياضة حتى أيام "أمنحوتب" الثالث، وأحياه بعد ذلك "توت عنخ آمون"[١].

اهتم "تحوتمس" الثالث بأن يكون لابنه "أمنحوتب" دور في الجيش فجعل منه قائدا للجيوش المعسكرة في منف حيث كانت توجد أهم ترسانة حربية وقوات برية كما ضمت ميناءا هاما، ميناء "برو نفر" أو الإبحار الطيب[٢]، حيث كانت ترسوا السفن ومنها تتجه إلي آسيا. ارتبط الملك "أمنحوتب" بمنف ارتباطا قويا كما كانت لها في نفسه منزلة خاصة ولإلهها بتاح معزة قوية.

يقول دريوتون وفانديية: " من المؤكد أن تغير الحكم ولد أملا كبيرا في قلوب الأمراء الآسيويين، فسرعان ما نظموا ثورة ضد مصر. لكن من سوء حظهم أن الملك الجديد كان عالي الهمة "[٣]. ففي السنة الثالثة من حكم "أمنحوتب" الثاني هبت ثورة في شمال فلسطين وجنوب سوريا – فلم يتردد الملك وسار على رأس جيشه إلي آسيا وإننا لا ندرى إذا ما كان اتخذ الطريق البرى أو البحري، وذلك لأن اللوحة التي أقامها في معبد الكرنك لتخليد ذكرى هذه الحملة لم توضح لنا الأمر. ويذكر نص هذه اللوحة أن الملك وصل إلي بلدة " شمش أدوم " وقاتل هناك رجلا لرجل ثم عبر نهر العاصي بعدها ووقعت معركة أخري كان النصر فيها للمصريين، بعدها اتجه الملك بجيشه إلي بلدة " ني " فخرج سكانها لاستقباله ومنها توجه إلي "إيكاتي" لنجدة الحامية التي كان قد تركها هناك، فأعاد الأمن والنظام للمنطقة. وامتدت حركة العصيان التي ولدت في سوريا وامتدت إلي الصحراء حيث ثارت بعض قبائل البدو على مصر ولكن العصيان الذي ترأسه قبيلة " خاتيتانا " فأخمده "أمنحوتب" بسهولة وعاد بعدها إلي مصر مثقلا بالغنائم. وأحضر الملك معه سبعة أمراء سوريين من إقليم " تيخسي"، وشنقهم دون تردد أمام آمون: شنق ستة منهم أمام معبد آمون بطيبة والسابع شنقه أمام معبد نفس الإله في نباتا بالجنوب[٤].

قام "أمنحوتب" بأعمال بطولية فردية لم تبخل نصوص الكرنك ومنه بوصفها بإسهاب، فمثلا عندما كان جيشه يعبر نهر العاصي كان هو في المؤخرة يحميه – فهاجمه الآسيويين

---

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ص ٣٢١ –٣٢٢.

[٢] Zayed, Abd el Hamid, « *Perou – nefer*, port de guerre d'Amenophiis II », *ASAE* 66, 1987, p. 75 -109.

[٣] أتيين دريوتون و جاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، د. ت. ص ٤٥٨.

[٤] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil* II, 1995, p. 324.

فواجههم بشجاعة وجعلهم يلوذون بالفرار وأسر جلالته بنفسه ثمانية منهم " لم يكن مع جلالته جندي واحد، كان وحده ومعه ذراعه القوى ". وقاد عربته إلي مدينة " حتبو " في سمريا وعاد ومعه ستة عشر من محاربي " الماريانو " أحياء، كانوا يمشون على جانبي عربته الحربية معلقا عشرين يدا مقطوعة على جبهة الجوادين، ويقود أمامه ستين رأسا من الماشية، فجددت المدينة خضوعها للملك. أما أعظم مجازفاته فهي عندما قام بنفسه على حراسة أكثر من ثلاثمائة أسير آسيوي، ليلا، حفر حولهم حفرتين مليئتين بالنار وظل طوال الليل يحرسهم ولم يكن معه سوى فأس الحرب[١].

انتهز "أمنحوتب" الثاني كل الفرص حتى يجسم شجاعته إلا أن بعض أعماله اتسمت بالوحشية التي لم يلجأ إليها فرعون مصري من قبله – سوى "تحوتمس" الأول عندما علق على صارية سفينته جثمان أمير نوبي قتل في معركة ضد المصريين، وأراد "تحوتمس" بهذا أن يرهب باقي سكان النوبة.

وقاد "أمنحوتب" حملتين على آسيا إحداهما في العام الثالث من حكمه والأخرى في العام التاسع[٢]من حكمه وعاد منهما منتصرا واحضر معه إلي مصر أعداد كبيرة من الأسرى منهم مائة وسبعة وعشرون أسيرا آسيويا، وخمسة عشر ألفا ممن بدو الجنوب، وستة وثلاثين ألفا من فلسطين وسوريا، ومن مدن شمال سوريا نحو خمسة عشر ألفا ومن العابيرو ثلاثة آلاف وستمائة أسير. ويقول جون ولسون مفسرا هذا: " أنه كان يمكن استخدام مثل هذا العدد الكبير من الأسرى الأجانب في المشروعات والأعمال في مصر وأن اتساع الإمبراطورية كان يتطلب من الجيش أن يحضر معه الكثير من الأسرى[٣]. وإلي جانب هذه الأعداد الكبيرة من الأسرى التي أتي بها خاصة في حملة العام التاسع، كما جلب معه مائتين وسبعين امرأة من آسيا لكي ينضموا إلي حريمه الملكي. ويقول جون ولسون: " أن دخول هؤلاء السيدات والمحظيات الآسيويات إلي الحريم المصري أمر له دلالته في التقارب الخلقي بين الشعوب في ذلك العصر[٤].

وبهاتين الحملتين على آسيا والتي روتها لنا لوحات الكرنك، منف، عمدا ونباتا، أمن "أمنحوتب" إمبراطوريته وأسكت أصوات الاحتجاج ونكس رايات العصيان، فسكتت ميتان وأقسم أمير قادش بين يديه يمين الولاء وتدفقت الأموال على مصر والهدايا آتية إليه عربونا للولاء.

---

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ص ٣٢٧.

[٢]يمثل عدد حملات "أمنحوتب الثاني علي آسيا مشكلة، أنظر مناقشة كلود فاندرسلين: Vandersleyen, C., *op. cit.*, p.323 – 333.

[٣] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ص ٣٢٩.

[٤] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ص ٣٢٨.

ونعمت مصر في عهده بالرخاء والاستقرار – فمنذ العام الرابع من حكمه قام بتحديد مملكته في الشمال والجنوب فبعث بأحد رجاله ليضع إلي جوار لوحة أبيه "تحوتمس" الثالث على الشاطئ الشرقي للفرات تحدد حدود مصر من الشمال وقام بوضع لوحة أخرى في معبد نباتا تحدد حدود مصر الجنوبية.

ومات "أمنحوتب" الثاني بعد أن ترك من الأولاد خمس ذكور احتفظت لنا رسومات مقبرة مربى هؤلاء الأمراء المدعو " حقا رشو " (TT 226)، بصور الأمراء جالسين على ركبتيه وقد محيت صورهم عن عمد، وبقيت فقط صورة "تحوتمس". وربما كان هذا بسبب خلاف دب في الأسرة بعد وفاة الفرعون الذي تولى من بعده ابنه الذي حكم مصر باسم "تحوتمس" الرابع[١].

دفن "أمنحوتب" أيضا في مقبرة KV 35 ومومياؤه محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.

تحوتمس الرابع[٢]، من خبرو رع
١٤٠٠ – ١٣٩٠ ق.م

كان "تحوتمس" هذا ثاني أبناء "أمنحوتب" الثاني الخمس، الذي قد يكون تخلص من منافسة إخوته واعتلي العرش [٣].

---

[١] PM I,1², p. 128 – 129 (TT 64) and Dodson, A., and Hilton D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, 2004, p. 134.

[٢] Bryan, B., *The reign of Thutmosis IV*,1991.

[٣] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil* II, 1995, p. 344.

يفسر لنا الملك قصة اختياره كحاكم لمصر على لوحة من الجرانيت كبيرة الحجم أمر بنقشها في العام الأول من حكمه ووضعها بين ذراعي أبو الهول بالجيزة، وهي اللوحة المعروفة باسم "لوحة الحلم"[١]. ويروى لنا نص هذا الأثر أن الأمير "تحوتمس" كان في رحلة لصيد الوحوش بصحراء الجيزة، ولما اشتدت حرارة الشمس أوى إلي الظل بجوار تمثال أبو الهول وأخذته سنة من النوم رأى أثناءها أباه الإله حور آختى (أبو الهول) يوجه إليه الكلام مبشرا بأنه سيصبح ملكا على مصر ويطلب منه عندما تتحقق هذه النبوءة أن يرفع عنه الرمال التي تكاد أن تخنقه ولا يستطيع بسببها التنفس ويضيف "تحوتمس" أن النبوءة الإلهية تحققت وأنه عندما أصبح ملكا أمر برفع الرمال عن أبيه الإله حور آختى[٢].

أما عن هذه القصة التي برر بها "تحوتمس" جلوسه على عرش البلاد، ويقول الدكتور أحمد فخري "إذا كان الأمير الشرعي لما كان هناك داع لاختراع مثل هذه القصة "[٣]. من الواضح أن "تحوتمس" نسب فضل اعتلائه العرش إلي إله الشمس رع حور آختي، أي أنه اعتمد على حزب كهنة الشمس ليصل إلي مآربه ويحقق هدفه وقد نجح في ذلك تماما. ونستطيع أن نرى بوضوح أنه منذ أيام "تحوتمس" الثالث حدثت جفوة بين الملك وكهنة آمون مما جعل الملوك يتجهون بخطوات بطيئة لكن أكيدة، نحو كهنة إله الشمس (كهنة هليوبوليس)، منذ "تحوتمس" الثالث، هدفها حفظ التوازن السياسي بين شطري مصر، ومن ملامح هذه السياسة الملكية بردية بولاق ١٧ المؤرخة من عصره[٤]، التي قدمت لنا نشيدا لآمون ملئ بالتأثيرات والتعبيرات والتلميحات إلي إله الشمس. ومما يؤيد وجهة نظرنا اختيار "تحوتمس" الثالث لبناء هيكله (الآخ منو) بمعبد الكرنك – طراز معابد الشمس القديمة ذات السقف المفتوح والمعروفة منذ أيام الأسرة الخامسة.

أما في عهد ابنه" أمنحوتب" الثاني فحدث تطور آخر، وهو ظهور أول مثال لقرص الشمس " آتون " الذي يعطى الحياة كما سنرى ذلك بوضوح في عصر حفيده "أخناتون"[٥].

ومهما يكن الأمر– فقد أثبت "تحوتمس" الرابع– بالرغم من صغر سنه – أنه حفيد العظيم "تحوتمس" الثالث.

---

[١] انظر كلير لالويت ترجمة ماهر جويجاتي، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول ١٩٩٦، ص ٤٠ – ٤٢.

[٢] *Urk*. IV, 1539 – 1544; Zivie, C., » Giza au deuxième millénaire », *BdE* 70, 1976, p.125 -145 ; Bryan, B., *op.cit* , p. 144 -150.

[٣] أحمد فخري مصر الفرعونية، ٢٠٠٤، ص ٢٢٩.

[٤] . Jankuhn, D., « Bibliographie der Hieratischen und Hieroglyphischen Papyri », *GOF* 2, 1974, p. 58.

[٥] زكية طبوزادة، السياسة الداخلية لأمنحوتب الثالث، رؤية جديدة، دورية كلية الآثار ٣، ١٩٨٩، ص ١٠٣.

ففي السنوات الأولى من حكمه خرج في حملة إلي بلاد آسيا اقتصرت في رأى دريوتون وفانديه على أنها كانت مجرد حملة تفتيشية أخمد خلالها بعض الفتن الموجودة، وعاد منها منتصرا ومعه بعض الأسرى السوريين بني لهم حيا خاصا في طيبة[١].

أهم ما يميز عصر "تحوتمس" الرابع هو التحالف الذي عقده مع الميتانيين، والذي توج بزواج "تحوتمس" الرابع من ابنة ملك ميتان " أرتاتام " التي قد تكون هي نفسها المعروفة لنا باسمها المصري " موت إم أويا "؟ ويزيد من أهمية هذه الصلة أن هذه الأميرة أصبحت الزوجة الرئيسية لـ."تحوتمس" الربع وأبنها منه تولى العرش بعد أبيه[٢].

أما الجنوب فقد كان أهدأ حالا، إلا أن الأمر استلزم أيضا من "تحوتمس" أن يخرج في العام الثامن على رأس جيشه ليخمد ثورة محدودة نشبت هناك[٣].

وعندما استتب الأمر لـ."تحوتمس" وجه نشاطه صوب التعمير، ففي منطقة أبيدوس قام بأعمال كثيرة، كما بني هيكلا في معبد الكرنك، هذا بالإضافة إلي معبده الجنائزي الموجود في الغرب من الرامسيوم بطيبة.

وجدير بنا أن نشير هنا بأن "تحوتمس" الرابع هو أول الملوك الذي زين مقدمة عربته الحربية بمناظر معارك القتال،[٤] وهي المناظر التي تصدرت فيما بعد واجهات المعابد في الدولة الحديثة.

ومات "تحوتمس" الرابع بعد أن حكم مصر عددا قليلا من السنين اختلف العلماء في تحديدها، إلا أنه كان أخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة المحاربين الفاتحين الذين عملوا على أن تظل لمصر إمبراطورية واسعة الأرجاء تتدفق الخيرات منها على مصر.

دفن" تحوتمس" الرابع بوادي الملوك في المقبرة KV 43، وهو قبر صغير نسبيا، إلا أن المناظر والنقوش متقنة الصنع قاومت عوامل الزمن حتى وصلت إلينا في حالة لا بأس بها. وتولى من بعده، عرش البلاد ابنه "أمنحوتب" الثالث من زوجته " موت إم أويا".

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ص ٤٥٩.

[٢] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ٢٠٠٣.، ص ٧٣ – ٨٦.

[٣] Vandersleyen, C., *op.cit.*, p.354 -355

[٤] PM I^2, p. 560; Helck,W., *Urk* IV, p. 1560.

النصف الثاني من
الأسرة الثامنة عشرة
١٣٥٢ – ١٢٩٥ ق. م

اتسمت المرحلة الثانية من الأسرة الثامنة عشرة بخلوها من النشاط الحربي الكبير، فسادها السلم الذي كان شبه مفروض على ملوكها. ويأتي على رأس هذه المرحلة الملك "أمنحوتب" الثالث.

أمنحوتب الثالث [1]، نب ماعت رع

١٣٩٠ – ١٣٥٢ ق.م.

تولى "أمنحوتب" الثالث الملك في ظروف سياسية داخلية شائكة، أجبرته على التخلي عن المظاهرات العسكرية والفتوحات التي ميزت الفترة الأولى من الأسرة، ويرجع هذا لعدة أسباب أهمها:

١- قضي ملوك النصف الأول من الأسرة على الاضطرابات في الشرق الأدنى، إما بالحروب والفتوحات أو بالمصاهرة مثل "تحوتمس" الرابع، فآلت إلي "أمنحوتب" الثالث إمبراطورية واسعة الأرجاء، خضعت أجزاؤها إلي سلطان ملك مصر.

٢- تدفق الأموال والخيرات على خزائن مصر جعل منها بلدا غنيا وقويا قادرا على مواجهة كافة المشاكل دون اللجوء إلي العنف.

٣- بدء استفحال المشاكل الداخلية خاصة بين رجال آمون الأقوياء وحزب عبادة الشمس الذي ولد وتكون، على الأرجح، خلال فترة حكم "تحوتمس" الرابع. وكان هذا ما قاد الملك الجديد ذو الميول المستترة (في البداية) إلي عبادة الشمس، على انتهاج سياسة من شأنها تهدئة الحالة السياسية في الداخل والتقرب إلي حد ما من كهنة آمون لاتقاء شرهم، والحد في ذات الوقت من نفوذهم ولا يصيبه ما أصاب جده الأكبر "تحوتمس" الثالث، الذي كان أول ضحايا كهنة آمون[2].

٤- صاحب الرخاء الذي نعمت به مصر والاختلاط الذي أتيح لها بالحضارات الأخرى، تطور كبير واتساع آفاق الفكر المصري فانعكس هذا على آداب، لغة وفن المصريين، مما أدى إلي خلق استعداد كبير لدى عامة الناس في تقبل أفكار دينية أكثر ملاءمة لتطورهم الحضاري.

كان هذا هو وضع مصر عندما تولى "أمنحوتب" الثالث عرش البلاد خلفا لأبيه "تحوتمس" الرابع، والذي تدخل مصر خلال عصره مرحلة بالغة الخطورة والأهمية والحرج. فقد

---

[1] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ٢٠٠٣.

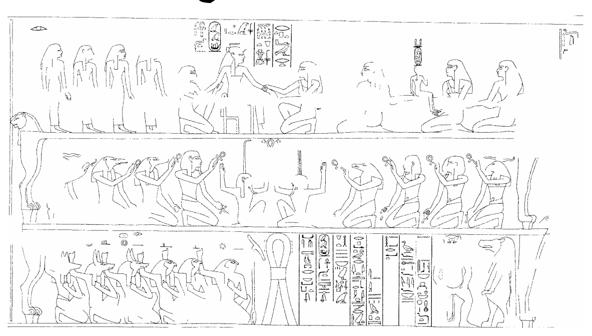
Cline, E E., and O'Conner, D., (eds), *Amenhotep III: Perspectives of His Reign* (Ann Arbor), 1998.

[2] Zakeya Topozada, « Le pouvoir et Les prêtres d'Amon (de Thoutmosis III à Amenhotep III « in *JFA* 8, 1997, p. 27 -36 et pls. = *Journal of the Faculty of Archeology Cairo University* .

كان على الفرعون الجديد مواجهة حزب آمون الرجعى، فبحكمة شديدة عالج "أمنحوتب" الأمور منتهجا سياسة ذكية طبقها على مراحل متعددة، نطلق عليها "سياسة الخطوة القصيرة"[١].

أولا

لجأ في بداية حكمه إلي الرواية المعروفة رواية "الولادة الإلهية"، فصور على جدران معبد الأقصر قصة مولده الإلهي، فيدعى كما ادعت من قبل الملكة "حتشبسوت"، إن الإله آمون يتقمص جسد الأب في اجتماعه بالأم، وهنا يتعلق الأمر بالملك "تحوتمس" الرابع، الأب و الأم الملكة " موت إم أويا "، ويولد من هذا الاجتماع "أمنحوتب" الذي تستقبله الآلهة فرحة ومهللة. وهكذا يعلن "أمنحوتب" الثالث، عكس أبيه، أنه ابن آمون رع ملك الآلهة.



الولادة الإلهية لأمنحوتب الثالث نقلا عن[٢]

وبهذه الخطوة الأولى يحقق الملك النتائج التالية:

أ- اطمئنان كهنة آمون الأقوياء له وعدم تخوفهم منه، وربما اعتقدوا أنه إلي جانبهم ضد حزب الشمس أو التيار الآخر المعادي.

ب- اكتساب رضاء عامة الشعب والنبلاء عنه، كما يقضى على نقطة ضعفه بسبب كونه نصف ميتاني، فأصبح في نظر الجميع الملك نصف الإله، وابن آمون رع إله الدولة والإمبراطورية.

ثانيا

في العام الثاني[٣]من حكمه يعلن قراره الجريء (جعران تذكاري) وهو اختياره للفتاة "تيي" زوجه ملكية أولى وأم لولى عهده. وكانت "تيي" تنتمي إلي الطبقة النبلاء، فأبوها "يويا " كان

---

[١] زكية طبوزادة، السياسة الداخلية لأمنحوتب الثالث، رؤية جديدة، دورية كلية الآثار ٣، ١٩٨٩، ص ١٠٣– ١١٨.

[٢] Brunner, H.,“ Die Geburt des Gottkönigs“, *ÄA* 10, Tafel 9.

[٣] يلاحظ أن جعارين (جعول) "الزواج" التذكارية قد نقشت بدون تاريخ، إلا أن أسماء الملكة تيي وأبويها ذكروا في نص جعارين "صيد اليران" المؤرخة من العام الثاني:
Van Delden, *The large commemorative Scarabs of Amenhotep III*, p.16(A-B), 17,21 (A), 56;

كاهنا للإله مين في بلدة أخميم، وأمها هي " تويا " كانت تحتل منصب رئيسة حريم نفس الإله، وربما منصب آخر يربطها بالقصر الملكي.

وبهذه الخطوة الثانية حقق الملك هدفين:

أ- اكتساب رضاء كهنة الآلهة المحلية عنه وذلك لاختياره ابنة أحدهم لتكون ملكة على مصر.

ب- التقرب من الشعب باختياره لـ " تيي " التي لم يكن أبواها من ذوى المناصب الكبيرة في الدولة.

ثالثا

خلق "أمنحوتب" الثالث طبقة جديدة من كبار الموظفين، اختارهم من بين أبناء الطبقة المتوسطة ورفعهم إلي أعلى المناصب وأصبحوا هم المنفذين للسياسة الداخلية والساهرين على مصالح رب نعمتهم. وخير مثال لهذا الخطوة هو الوزير "أمنحوتب بن حابو" الذي كانت أمه وأبوه بسطاء الأصل يعيشون في بلدة أتريب (بنها) وكان هو كاتبا صغيرا تدرج في المناصب ورفعه الملك إلي مرتبة لم يصل إليها أحد من قبله، فأصبح وزير الملك والمهيمن على شئون الدولة، كما كان يعين الموظفين ورجال الجيش وكان قائدا لحرس الحدود، ومستشار الملك ومهندسه. بالإضافة إلي هذه الألقاب حمل " أمنحوتب بن حابو" العديد من الألقاب الأخرى التي تدل على مدي ثقة الملك فيه وارتباطه الشديد أيضا بالبيت الملكي وأفراده، حيث أنه كان يشغل أيضا منصب رئيس بيت الأميرة " ست آمون" ابنة "أمنحوتب" الثالث و " تيي " ؟ نال "أمنحوتب بن حابو" من تقدير الملك الكثير فسمح له بوضع تماثيله في معبد الكرنك كما بني معبدا جنائزيا كبيرا قام الملك نفسه بافتتاحه. طارت شهرة "أمنحوتب بن حابو" ففاقت من سبقوه ومن تلوه من الموظفين الكبار، حتى أنه أله في العصور المتأخرة وأصبح إلها ذا كرامات يتجه الناس إليه بالدعاء ويطلبون منه قضاء مصالحهم وأن ينعم عليهم بالصحة[١].

وهناك موظف آخر كبير تمتع وحظي بثقة الملك وهو "أمنحوتب بن حبي" الذي كان حاكما لإقليم منف وأبوه كان يشغل منصب عمدة مدينة منف. وقد ترك لنا "أمنحوتب بن حبي" نصا طويلا نقشه على أعمدة تمثاله الذي عثر عليه في معبد الإله بتاح بمنف وهو محفوظ الآن

Helck, W., *Urk* IV, p. 1738 – 1741 (579 C, E).

١ Wildung, D.,Egyptian Saints, 1977, 83- 110; Id., Imhotep und Amenhotep, Gotterwerdung in alten Ägypten, *MÄS* 36, 1977, 201 – 277 and Malinine, *RdE* 16, 1962, p.38.

بمتحف الأشمولين بأكسفورد، وفي هذا النص يروى لنا "أمنحوتب بن حبي " كيف كان مجرد كاتب بسيط ثم رفعه الملك إلي منصب حاكم إقليم منف وجعل منه المشرف على بناء هيكله الذي شيده في هذا الإقليم إكراما لإلهه المحلي بتاح[١].

هذا إلي جانب أعداد أخرى من كبار الموظفين أمثال الوزير " رع مس " أو "رع موزا " الذي عاش خلال حكم "أمنحوتب" الثالث واستمر يشغل منصبه حتى بداية حكم خليفته، وابنه "أمنحوتب" الرابع، "أخناتون".

وبالإضافة إلي هؤلاء نذكر " خرو إف" وكبير كهنة بتاح المدعو " بتاح مس" و" خع إم حات " ونائب الملك في كوش " مري مس ".

وبهذه الخطوة يحصل الملك على نتيجة هامة:

أحاط نفسه بأعوان مخلصين له ومطيعين لأوامره، بواسطتهم استطاع أمنحوتب الثالث الهيمنة والسيطرة على كل صغيرة وكبيرة من شئون مصر، فقد كانوا عيونه وآذانه. وقد ضمن "أمنحوتب" الملك إخلاصهم له وذلك لسبب بسيط وهو أنهم لا ينتمون إلي طبقة اجتماعية قوية مثل طبقة النبلاء فهو – أي الملك رب نعمتهم، رفعهم إلي أعلى المناصب، وفي استطاعته هو أن يحرمهم منها أيضا، فكان من مصلحة هذه الطبقة الجديدة أن تدين له بالطاعة وتقسم بين يديه يمين الولاء، ومكافأة لهم على هذا، منحهم الملك المال والسلطان مما جعلهم يخلصون له.

وكانت هذه هي الخطوة الأهم من مجموع هذا المخطط السياسي الذي اتبعه "أمنحوتب" الثالث للحد أولا من نفوذ كهنوت آمون، ونصرة عبادة الشمس.

تلا هذه الخطوة خطوة أخرى مكملة لها وضرورية لكي ينجح ويحقق هدفه.

رابعا

اهتم "أمنحوتب" الثالث بالأقاليم المصرية، وآلهتها المحلية، إلا أنه وجه عناية خاصة إلي الأقاليم الشمالية التي كانت مواقعها بعيدة عن عاصمة مصر في هذا العهد وهي مدينة طيبة مركز عبادة آمون. وكان الشمال أيضا مركزا لعبادة آلهة مصرية على قدر كبير من الأهمية واحتلت في قلوب أتباعها مركزا كبيرا أمثال الآلهة: رع آتوم ورع حور آختي وبتاح وسخمت

---

[١] Zakeya Topozada, *Les provinces d'Egypte à la fin de la XVIII^{é} dynastie* , (thése de Troisième Cycle, *inédite*, Paris IV ,Sorbonne),1975, p. 364 – 366.

وباستت وحورس ......الخ، إلا أن "أمنحوتب" الثالث وجه عناية خاصة إلي إقليم منف ذي الموقع الجغرافي الممتاز وحيث عبد إلها قويا صاحب نظرية خلق ومتمتعا بشعبية كبيرة هو بتاح، فعين الملك ابنه الأكبر الأمير "تحوتمس" – الذي مات شابا – كبيرا لكهنة الإله بتاح[١]. وعبر الملك عن اهتمامه بالآلهة المحلية والأقاليم بقيامه بحركة هائلة من البناء، فشيد المعابد والهياكل إكراما للآلهة المحلية في جميع أنحاء مصر وبلاد النوبة، مما نتج عنه استغلال كبير للمحاجر والبناء ورواج اقتصادي مما أضاف صبغة من القوة على موقف الفرعون، فكان اسمه يتردد في الصلوات المنبعثة من المعابد من أقصى الشمال إلي أقصى الجنوب.

وبهذه الخطوة حقق الملك:

(أ) تدفق الأموال على خزائن الآلهة المحلية، فنعم الكهنة بثراء عظيم، وخصوا الفرعون بولاء كبير كان سندا له في صراع ضد كهنة آمون.

(ب) برضاء كهنة الآلهة المحلية عن الملك أكسبه محبة وارتياح سكان الأقاليم، الذين قدروا حق تقدير اهتمام "أمنحوتب" الثالث بآلهتهم المحلية.

(ت) اهتمام الملك بالآلهة المحلية خلق نوعا من التوازن في القوى بين كهنة آمون رع وكهنة الآلهة المحلية.

(ث) توفير عمل لآلاف من العمال والمزارعين مما عوضهم خيرا عن شهور الصيف والكساد.

خامسا

عين "أمنحوتب" الثالث ابنه الأكبر الأمير "تحوتمس" رئيسا لكهنة بتاح إله منف وسحب من الكاهن الأكبر لآمون لقب " رئيس كهنة جميع الآلهة " ليمنحه للكاهن الأكبر لـ بتاح. وهكذا حمل الأمير "تحوتمس" هذا اللقب العظيم الأهمية الذي يمنح لصاحبه حق السيطرة الكاملة على كهنة الآلهة المختلفة والمعبودة سواء في شمال مصر أو جنوبا ومن ضمنهم آمون رع. وكان اختيار الملك لابنه "تحوتمس" ليكون ممن حملوا هذا اللقب من بين كبار كهنة بتاح، ضربة سياسية موفقة – لأنه حد من سلطان كهنة آمون – رع دون أن يستطيع هؤلاء الاعتراض، فمن

[١] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la Vallée du Nil II.*, 1995, p. 398 note 2. (bibliogr.)

يعترض على اختيار ابن الملك البكر وولي عهده ليكون المشرف على كهنة جميع الآلهة في مصر؟ وبهذا حقق الملك الآتي:

أ- الحد من النفوذ السياسي لكهنة آمون، الذي هو في حد ذاته هدفا سياسيا غاليا ومهما من أهداف سياسته الداخلية.
ب- دعم نفوذ كهنة بتاح إله الشمال القديم، داخل منف وخارجها.
ت- إحياء منف كعاصمة سياسية لمصر وبعث عقائدها القديمة.
ث- التمهيد لانتقال الثقل الديني والسياسي إلي الشمال.

سادسا

رغم اهتمام الملك الواضح بإقليم منف وبإلهه بتاح إلا أنها كانت مجرد مناورة سياسية بارعة أخفي بها سعيه إعادة التوازن الديني والسياسي بين جنوب وشمال مصر وإعلاء عبادة الشمس تمهيدا لإعلان آتون إلها رسميا لمصر وسائر الأقطار. فقد أصبحت الحاجة ملحة لجمع شعوب الإمبراطورية حول إله واحد. ولم يكن هناك خيار أفضل من الشمس التي جمعت بين الإقليمية والعالمية، وذلك لأنه أولا: ظاهرة طبيعية، وثانيا: لأنها إله عبد بأسماء مختلفة في كل من سوريا والعراق[١].

كان هدفه منذ أن تولى الحكم أن يحد من نفوذ كهنة آمون وأن يصبح إلها ضمن مجموعة الآلهة الأخرى، وليحل محله على رأسها إله الشمس. ويجب ألا ننسى أن أحد أسماء "أمنحوتب" الثالث نفسه هو " نب ماعت رع " أي رع هو سيد الحق، ونعت أيضا "أمنحوتب" بـ" تحنو آتون " أي" بهاء آتون ". و هنا نتوقف قليلا، فلأول مرة يظهر في تاريخ مصر القديمة اسم آتون كنعت لأحد ملوكها، فكان في هذا إيذانا في ظهور آتون بطريقة رسمية ولو أنها مستترة. لم يكتف "أمنحوتب" الثالث باتخاذه لاسم آتون كنعت له بل أطلق أيضا اسم "بهاء آتون" على سرية من جيشه، وعلى مزرعة للعنب في الدلتا، وعلى قصره المعروف حاليا باسم "ملقاطة" بغرب طيبة وهو أيضا اسم أطلقه على سفينته الملكية، بل وذهب أبعد من هذا إذ سمي أصغر بناته باسم " با كت آتون " أي "خادمة آتون"[٢]. ونستنتج من هذه الأسانيد أن "أمنحوتب" الثالث لعب دورا رائدا مهد به لأن تكون عبادة الشمس وخاصة قرص الشمس آتون عبادة مصر الرسمية[٣].

[١] سمي إله الشمس في بابل "شمش".

[٢] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ص ٢٢٧ – ٢٣٥.

[٣] زكية طبوزادة، السياسة الداخلية لأمنحوتب الثالث، رؤية جديدة، دورية كلية الآثار ٣، ١٩٨٩، ص ١٠٨- ١٠٩.

هذه هي الخطوات السياسية التي اتبعها "أمنحوتب" الثالث لحكمة سديدة هدفها هو الحد من نفوذ كهنة آمون وإعلاء عبادة الشمس. لم يكن من الحكمة في شيء أن يقضى على نفوذ كهنة آمون بالقوة مع العلم أنه كان في مقدوره أن ينتهجها، إلا أنه فضل الطرق السياسية فكانت أجدى وأنفع. فلم يكن "أمنحوتب" الثالث بالملك الضعيف المستسلم المفرط في الملذات والمحب للخمر والنساء كما أراد البعض إظهاره، فسنرى فيما بعد أن هذا الملك حاول على قدر استطاعته حماية مصر وإمبراطوريته الواسعة إلا إننا لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من لومه على بعض الأخطاء.

السياسة الخارجية

ورث "أمنحوتب" الثالث عن أجداده إمبراطورية واسعة الأطراف قد استقرت له فيها الأمور، وأصبح سلطانا عليها دون منازع، فمنها استمر تدفق الخيرات على خزائن الفرعون والدولة فمكنه هذا أولا من تنفيذ سياسته الداخلية، والتفرغ لحل مشاكل بلدة في الداخل. ولكنه في نفس الوقت لم يهمل شأن إمبراطوريته وحافظ عليها، فكما ذكر الفرعون على جعران تذكاري أن حدود مصر في عهده ظلت ممتدة من بلاد النهرين إلي كروي بعد الجندل الرابع[١].

منذ بداية عهده – وعلى غير سنة أبيه وجده – لم يخرج على رأس جيشه في جولة تفتيشية إلي الشام حتى يوضح تماما لحكام هذه المناطق أن الفرعون الجديد ليس أقل من أسلافه قوة وحزم. ولكن على ما يبدو أن أنه كان في مركز قوي وتمتع بولاء أمراء ميتان وبابل والشام فاتبع سياسة أبية وفضل توثيق صلته بحكام الشرق الأدنى عن طريق المصاهرة، فتزوج من "جيلوخيبا" ابنة "شوترنا" وأخت "توشراتا" الثاني ملك ميتان ثم تزوج من ابنة "توشراتا"، الأميرة "تادوجيبا"[٢]. ولكن مصاهرات "أمنحوتب" الثالث لم تقتصر على بنات مصر، وميتان – بل تزوج من أميرات بابليات وآشوريات وسوريات. وهكذا أراد الملك سلميا أن يضمن سيطرته على هذه البلاد من خلال رباط المصاهرة. ولكن في نهاية حكمه تغيرت ظروف بلاد الشرق الأدنى القديم بظهور عدو جديد، هو الحيثيين.

اعتمد الملك على صلاته الشخصية إلا أن أطماع الطامعين لم تقف عند حد، وبدأ الحيثيون إثارة الشغب ومهاجمة الحدود السورية الميتانية وبدأوا في استمالة ضعاف النفوس من

---

[١] Helck, W., *Urk* IV,p.1739, 4.

[٢] يذكر كلود فاندرسلين أن هذه الأميرة قد تزوجت فيما بعد بأخناتون: Vandersleyen, C., *op. cit.*, p.400.

أمراء الدويلات الصغيرة للانضمام إليهم. كما بدأت قبائل العابيرو والبدو في تهديد طرق التجارة وأمن المنطقة. وتوالت الشكاوى على "أمنحوتب" الثالث الذي لم تحرك له هذه الأحداث ساكنا ولكن في عصر ابنه "أخناتون" انقلبت هذه الشكاوى إلي توسلات وبكاء من الأمراء الموالين لمصر، فقد استفحل الخطر وبدأت مصر تفقد بعضا من سيطرتها على أجزاء من هذه المناطق، وفي رسائل تل العمارنة وعددهم ٣٧٨ رسالة[١] أرسلها الحكام إلي "أمنحوتب" الثالث وابنه "أمنحوتب" الرابع، "أخناتون" يشرحون بالقدر الكافي الخطر الذي يواجهه نفوذ مصر في هذه المناطق خاصة وأن بعض حكامها كانوا من المنافقين.

أما عن سياسة "أمنحوتب" الثالث في النوبة فقد كانت أوفر حظا، فلم تعاني مصر من أي مشاكل في السيطرة عليها. إلا أنه في العام الخامس من حكمه قاد "أمنحوتب" الثالث، وعلى أثر ثورة النحسيو، أول حملة وبرفقته عمدة منف "حبى" إلي النوبة وكانت أولي المحطات في جزيرة "صاي" ومنها أرسل مائة وأربعة وعشرين جنديا من خير جنوده ليحرروا بئرا للمياه، على الأرجح، في "إيرم" ثم اتجه بجيشه إلي "أونشك" ومنها أنقضي علي "تُرك" و"أورت". أما الحملة الثانية فكانت بقيادة "أمنحوتب بن حبي" أمير منف وحاكمها الذي أشترك مع نائب الملك في كوش، "مرى مس" في الأعوام الأخيرة من حكم "أمنحوتب" الثالث في إخماد ثورة محدودة قام بها بعض قبائل النوبة العليا، وعادت الحملة منتصرة[٢].

اتبع "أمنحوتب" سياسة البناء المكثف في النوبة للسيطرة عليها، فبني معبد صولب، جنوب الجندل الثالث، وعبد فيه باسم "نب ماعت رع" إله النوبة، وقد بناه على هيئة حصن. وهذا المعبد يعتبر من أكبر الأبنية المشيدة على أرض النوبة على الإطلاق وقد احتفظت لنا نقوشه ونصوصه بأرشيف كامل لتاريخ هذا العصر، فعلى جدرانه مثل موظفي الدولة كبارهم وصغارهم وهم يشتركون في المراسم المختلفة الخاصة بعيد " سد " الأول للملك، وهو العيد الذي يحتفل فيه الملك بقضاء ثلاثين عاما حاكما لمصر. احتفظت لنا رسوم هذا المعبد بصورة أعضاء العائلة المالكة: وهم الأمير "أمنحوتب" ولى العهد، والملكة " تيي"، والأميرتان "إيزيس" و"سات آمون"، كما احتوى المعبد على نقوش ونصوص تسهل على الباحث معرفة تفاصيل هذا العصر الذي يعتبر من أزهي عصور مصر القديمة على الإطلاق[٣].

---

[١] Moran, W. L., et autres, traduction française par Collon, D., et Cazelles, H., *Les Lettres d'el Amarna*, Paris 1987.

[٢] Zakeya Topozada, "Les deux Campagnes d"Amenhotep III en Nubie", *BIFAO* 88, 1988, p. 153 -164.

[٣] Schiff Giorgini, Robichon collab., Leclant collab., Beaux, *Soleb* I – V, 1965 – 2003 ; Leclant, J., *LÄ* V, p. 1075 – 1080.

كما بنى معبدا آخر عبدت فيه الملكة " تيي" بمنطقة سد نجا، وشيد معبدا ثالثا في جزيرة صاي، ورابعا في كروي، كما زود معبد وادي السبوع بهيكل بديع النقوش امتدت له يد التغيير في عصر ابنه "أمنحوتب" الرابع، "أخناتون"، وترك "أمنحوتب" الثالث العديد من الآثار والتماثيل في كثير من مناطق النوبة.

وعندما نتكلم عن النوبة في عصر "أمنحوتب" الثالث لا نستطيع أن نتجاهل نائب الملك في كوش " مري مس " الذي بفضل قوة شخصيته وولائه للملك استطاع "أمنحوتب" الثالث السيطرة على مناطق النوبة المختلفة. وكان "مري مس " كاتبا بسيطا من منقباد تدرج في الوظائف حتى رفعه الملك وعينه حاكما على النوبة، تلك الوحدة الإدارية الكبرى الممتدة شمالا حتى الكاب وجنوبا إلي ما وراء الجندل الرابع. كانت ثقة الملك بالشخص نفسه – كبيرة، وكان هو أهلا لهذه الثقة إذ خدم الملك وكان له من المخلصين، فكافأه الملك بأن منحه حق وضع تماثيله داخل المعابد.

عاش "أمنحوتب" الثالث وحكم مصر حوالي ستة وثلاثين عاما قضاها في جهاد مستمر ضد قوى آمون. وفي أواخر أيام حياته نقل مقر إقامته إلي مدينة كوم غراب على مشارف الفيوم، حيث عثر له على أطلال مقر "الحريم". وعاش "أمنحوتب" الثالث محاطا بزوجته " تيي" وبناته إيزيس، "ست آمون" و"حنوت تا نب"، وربما ابنه "أمنحوتب"، وكان هذا إيذانا، ربما، بنقل عاصمة مصر إلي هذه المنطقة، إلا أن الله لم يطل في عمره حتى يتم له هذا[١]. ومات "أمنحوتب" الثالث تاركا مصر وتحقيق هدفه أمانة في عنق ابنه "أمنحوتب" الذي تولى باسم "أمنحوتب" الرابع ثم غيره إلي "أخناتون".

ودفن الملك العظيم "أمنحوتب" الثالث في مقبرته KV 22، أما معبده الجنائزي فلم يبق منه سوى أحجار مبعثرة وتمثالا ممنون المعروفان بضخامتهما الفريدة. ويحتفظ المتحف بالقاهرة بمومياء هذا الفرعون.

شخصية أمنحوتب الثالث

---

[١] Topozada, Z., « Les provinces d’Egypte à la fin de la XVIII[é] dynastie », thése de Troisième Cycle *inédite,* Paris IV, 1975, p. 386 – 388,

لقد عانت ذكري "أمنحوتب" الثالث الكثير من ظلم المؤرخين له الناتج عن عدم تعمقهم في تفهم خطوات سياسته، فقد استرعى انتباههم كثرة ما شيده من آثار، وكثرة زوجاته، وتدهور أحوال آسيا في أواخر حكمه فوصفوه بالملك الخامل، المحب للملذات والبناء والرفاهية، واتهموه بإهمال شئون بلاد الشرق الأدنى وبلاده أيضا ولكن هذه النظرة القاصرة بدأت تتغير في السنوات الأخيرة وتتصفه إلي حد ما[١].

وفي الحقيقة، وإن كنا لم نصل إليها كاملة، رغم محاولتنا وعلى قدر ما تسمح به المصادر التاريخية المعروفة الآن، إلا إننا نجحنا في الاقتراب منها، فإننا لا ندعى هنا إن ما قدمناه هو الحقيقة التي لا جدال فيها، فالعلم في تطور مستمر، والمستقبل قد يأتينا بما نجهله الآن، فينير بصيرتنا، ولكن ما قدمناه راعينا فيه على قدر الإمكان لمس الحقيقة التاريخية عن قرب.

هو "امنحوتب" بن "تحوتمس" الرابع و"موت إم أويا"، زوجته الملكية الأولي هي "تيي"، أما أولاده المعروفون هم: الأبن الأكبر الأمير وكبير كهنة بتاح "تحوتمس" والأمير "أمنحوتب"، الملك "آخناتون" فيما بعد، والأميرات "سات آمون"، "حنوت تا نب"، "إيزيس"، "نبت عح" وأخيرا "باكت آتون"[٢].

وكان "أمنحوتب" الثالث شأنه شأن ملوك أسرته، فكان قويا، ذكيا، نشطا، حازما، ولم يرتجف أبدا أو يتراجع أمام الصعاب، كان الملك المعتدل في سرد بطولاته الرياضية، فعلى الجعارين التذكارية ذكر لنا بتواضع قيامه برحلتين للصيد احدهما لصيد الأسود والأخرى لصيد الثيران ومع أنه لم يقتل أعدادا كبيرة من هذه الحيوانات إلا أنه ذكرها بطريقة مقتضبة.

تزوج "أمنحوتب" بالعديد من الأميرات الأجنبيات بل وببعض بناته؟ فعلى جعران تذكاري ذكر"أمنحوتب" الثالث أنه في العام العاشر من حكمه تزوج من "جيلوخيبا"[٣] ابنة أمير ميتان، دون يغفل ذكر اسم "الزوجة الملكية العظمية "تيي"، التي يسمى أبوها "يويا"، وتسمى أمها ثويا"، ويضيف ذاكرا الأشياء الباهرة التي جئت بها لجلالته، "كليوخيبا" ابنة أمير ميتان" شوترنا"، وخير وصيفاتها من النساء، ثلاثمائة وسبعة عشر امرأة[٤].

---

[١] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ٢٠٠٣.

[٢] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ص ٢١٣ -٢٥٨؛ Dodson, A., Hilton ,D., *The complete Royal families of ancient Egypt*, Cairo 2004, p. 144 – 145.

[٣] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ١٩٦ – ١٩٨.

[٤] Helck, W., *Urk* IV, p. 1738.

ونلاحظ أنه رغم إعلانه لزواجه من أميرات أجنبية لا تمت له بصلة الدم، إلا أنه تعمد التوضيح وأن الملكة الكبرى والعظمى هي "تيي" الفتاة المصرية ذات الأصل غير الملكي التي اختارها في السنة الثانية من حكمه لتكون زوجته الرئيسية، فإذن نستطيع أن نقول أن زواجه من الأميرات الأجنبيات لم يكن إلا زواجا سياسيا أملته عليه ظروف مصر وسياستها الخارجية[١].

ولكن المشكلة هي في تفسير زواجه من بناته[٢] " سات آمون" و" إيزيس"، فحتى الآن لم نستطع تقديم أي تفسير مقبول لها مع ملاحظة أن "أمنحوتب" الثالث عودنا أن تكون جميع تصرفاته حتى الشخصية منها هي أهداف سياسية. لذا نجد أنفسنا في حيرة ومجبرين أيضا على توخي الحذر، وقد نكون فيما بعد أسعد حظا وتجود علينا إحدى الحفائر أو الاكتشافات في المستقبل ما يسد هذه الثغرة ويكون فيها رضاء لفضولنا العلمي.

كان "أمنحوتب" الثالث رجلا محبا – دون شك – للتطور، وواسع الأفق أيضا، مما أتاح الفرصة أمام ظهور فن جديد عرف، بعد أن نضج، باسم فن العمارنة. فن نتلمس بدايته في أواخر عهد "أمنحوتب" الثالث إلا أنه وصل إلي حد الكمال في عهد ابنه "أخناتون"، فوجدنا أنفسنا أمام تطور فني يميل إلي محاكاة الطبيعة والواقعية في تصويره للأشخاص عموما. فقد عثر في مدينة كوم غراب على عدة لوحات خشبية منقوشة عليها مناظر واقعية ٍتمثل أفراد العائلة المالكة، تماثيل ورأس برلين رقم INV 21834 للملكة "تيي".[٣] كما يظهر هذا النوع الجديد من الفن في سقارة أيضا التي في قربها من مدينة كوم غراب ما يدعونا إلي الاعتقاد أن أصحاب هذا التطور الفني هم فنانو إقليم منف.

الملكة تيي

---

[١] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ١٩٥ وما بعدها.

[٢] المرجع السابق، ص ٢١٣ – ٢٢٦.

[٣] Zakeya Topozada, *Les provinces d'Egypte à la fin de lq XVIIIé dynastie* , thése de Troisième Cycle inédite, Paris IV, 1975, p.67 -74.



الملكة تيي

"تيي" هي الفتاة التي لا تنتمي للأسرة الحاكمة وتصبح ملكة مصر[1]. لعبت "تيي" دورا هاما في تاريخ بلادها، فقد صاحبت زوجها في أفكاره وشجعته ووقفت إلي جانبه تسانده، وتقوى من عزيمته وضحت من أجله حتى نجح في تحقيق هدفه، وإتمام واجبه فيما رآه خيرا لمصر.

تزوجت "تيي" ابنة "يويا وتويا " أمنحوتب" الثالث في سن مبكرة إذ كان على الأرجح في السادسة عشرة من عمره وهي أيضا لم تتعدي هذا السن وكان هذا في العام الثاني من حكمه[2]. وظل "أمنحوتب" الثالث يكن لصاحبة هذه الشخصية القوية، إجلالا كبيرا، وللدور الذي قامت به، بجلها واحترامها، فظلت دون غيرها من النساء، المفضلة لديه والزوجة الأولى، وأم ولى عهده.

من المظاهر الحضارية للأسرة الثامنة عشرة ارتفاع شأن النساء فيها، فلم يكن هذا بالشيء الجديد، فقد كان للملكات أهمية كبرى منذ الدولة القديمة، ولكن الأسرة الثامنة عشرة فاقت ما سبقها من عصور في اعترافها بدور المرأة وأكبر مثال على هذا هو "حتشبسوت" نفسها. أما "تيي" فقد لعبت دورها حتى النهاية. وقفت بعد زوجها إلي جوار ابنها "أمنحوتب" الرابع "أخناتون"، ولم تغفل عنه أبدا، ففي اللحظات الحرجة نراها تؤدى دورها كما يجب أن يكون دور الأم. لذا حظيت "تيي" ونعمت بحب زوجها وتقديره لها، ففي سدنجا بالنوبة العليا بنى

[1] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، ٢٠٠٣، ص ١٣٥ – ١٧٢.

[2] Helck, W., *Urk* IV,p. 1741 (579 E)

لها "أمنحوتب" الثالث معبدا ألهت وعبدت فيه كإلهة حامية للمنطقة[1]. وفي مدينة طهطا الحالية التي لا تعبد كثيرا عن أخميم مسقط رأسها بني لها معبدا آخر حمل اسمها "تا- حوت - تيي" والذي منه أتي اسم مدينة طهطا الحالي، واحتفالا بهذه المناسبة قام الملك والملكة بجولة على متن السفينة الملكية " بهاء آتون "، على صفحة مياه بحيرة القريبة من المعبد كونتها المياه المخصصة لري الأراضي الزراعية التابعة له. وقام الملك بالإعلان عن هذا الحدث في نص نقش على جعران تذكاري ليكون شاهدا على معزة الملكية لدى زوجها[2]. كما أغدق "أمنحوتب" على زوجته " تيي" ميزات غير عادية فنراها تجلس إلي جوار زوجها بحجم متساوي في أحد تماثيل المجموعة الضخمة المحفوظة حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة (JE 33609)[3].

وعثر لـ " تيي " على أعداد كبيرة من الآثار، وخاصة رؤوس التماثيل التي حفظت لنا جمال صورتها، فالجزء فالرأس التي عثر عليها في سيناء ومحفوظة الآن بالمتحف القاهرة، JE 38257) تعتبر أية من الجمال والإبداع الفني، وكذلك الرأس الأبنوسي التي عثر عليها في مدينة كوم غراب (متحف برلين رقم INV 21834). أما موظفي عصرها فقد حرصوا على تصويرها على جدران مقابرهم، فجدران مقبرة "خرو إف" وغيره قدمت لنا صورة هذه الملكة المصرية التي أسرت قلب زوجها ونالت محبة رعاياها.

وظلت هذه الملكة وفية لزوجها حتى بعد مماته، إذ ظلت مقيمة في مدينة كوم غراب إلي أن ناداها أبنها "أخناتون" فذهب إليه في تل العمارنة، حيث أمدته بالنصح، والإرشاد، وماتت الملكة "تيي" في عهد "توت عنخ آمون" أو "أي" ودفنت بالمقبرة KV 55 بوادي الملوك[4]؟

---

[1] PM VII,1951, p. 166.

[2] Helck, W., *Urk* IV, p. 1737 (579 A).

[3] عثر على هذه المجموعة للملك والملكة وبرفقتهم ثلاث أميرات أنظر Donadoni, S., *L'Art égyptien*, 1993, p. 249(photo).

[4] أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ١٥٥ – ١٧٢.

أمنحوتب الرابع "أخناتون"، نفر خبرو رع واع إن رع
١٣٥٢ - ١٣٣٦ ق.م

امتاز "أمنحوتب" الرابع عن أسلافه بتفرد في شخصيته وغرابة في هيئته، من تماثيله نرى ضعف بنيانه، فهو نحيل القوام، بارز الوجنتين يوحى وجهه بحزن دفين. ومن تاريخه نشعر أنه إنسان حساس، مرهف المشاعر وميال لتأمل الطبيعة[١]. جمعت شخصيته بين الإحساس الديني العميق والتصوف، إلا أنه كان ينقصه، كحاكم، الإحساس بالواقع السياسي والتقدير الصحيح لقوة التيار الديني التقليدي.

هو "أمنحوتب" الابن الثاني لـ "أمنحوتب" الثالث والملكة "تيي". وبما أنه لم يكن الابن البكر لأبيه لذا لم يحصل الأمير الشاب على التربية التقليدية لولي العهد والتي كانت، منذ "تحوتمس" الثالث، تربية مبكرة دينية ولم يصبح في سن الشباب يحصل علي التدريبات العسكرية والرياضية التي تؤهله لقيادة مصر والإمبراطورية. هكذا ترك الأمير الشاب على هواه فاتبع قلبه وآمن وتحمس لآتون، القوة الكامنة في قرص الشمس، القوة التي لا نراها ولكن نشعر وندرك عظيم أثرها وتأثرها في استمرارية الحياة.

---

[١]أنظر من المراجع العربية محمد بيومي مهران، إخناتون، عصره ودعوته، الإسكندرية ١٩٧٩؛ سيريل ألدريد ترجمة أحمد زهير أمين، أخناتون، الألف كتاب الثاني ١٠٠، ١٩٩٢.

أصبح الأمير "أمنحوتب" ملكا دون أن يكون له تقريبا ذكر في حياة أبيه، فهو، على حد علمنا، لم يذكر سوى مرتين. مرة ذكر اسمه على قطع لخاف عثر عليها في قصر ملقاطه[١] كما جاء ذكره في نقوش معبد صولب في النوبة.

رغم كثرة ما تركه "أمنحوتب " الرابع "أخناتون" من آثار ونصوص إلا أننا ما زلنا نواجه الصعوبات في إيجاد حل أو تفسير لمشاكل عصره. فمازالت قضية الاشتراك في الحكم مع أبيه قضية شائكة رغم أن يلقب على جدران معبد صولب، الذي شيد بعد العام الثلاثون من عصر "أمنحوتب" الثالث، بلقب ابن الملك، ينفي الاشتراك في الحكم[٢].

تولى "أمنحوتب" الرابع العرش وكان شديد التعصب لعبادة الشمس، فقد نشأ واعتنق أفكار أبيه وحاول في البداية أن ينتهج سياسته، فاتخذ طيبة عاصمة لمملكته ولم يبادر كهنة آمون بالعدوان. فبالرغم من أنه أعلن صراحة اعتناقه لمذهب الشمس وجعل من آتون الذي يعبر عن القوة الكامنة في قرص الشمس إلهه المفضل إلا أنه احترام جميع الآلهة خاصة ما كان منها متصلا بعبادة الشمس مثل آتوم ورع وچحوتي (توت) وغيرهم.

وفي العام الأول من حكمه أقام "أمنحوتب" الرابع لإلهه آتون معبدا داخل معبد الكرنك، قطعت أحجاره في محاجر السلسلة حيث ترك لنا لوحة[٣] يوضح عليها تسامحه تجاه آمون، ففي النصف الأعلى من هذه اللوحة نرى الملك الجديد واقفا يقدم القرابين للإله آمون رع إله طيبة، وفي نصفها الأسفل نقش يذكر فيه "أمنحوتب" أمره بفتح محاجر السلسلة لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد الإله "رع حور آختي الذي يتألق في الأفق بمظهره شو ويكمن في قرص الشمس (آتون)" الذي كتب اسمه دون أن يحيطه بالخرطوش المعتاد الذي ظهر فيما بعد وفي تطور مفاجئ عندما شرع في البناء[٤].

اتبع "أمنحوتب" الرابع في دعوته للإله الجديد عدد من رجال بلاطه وكثير من أفراد الشعب وهنا شعر كهنة آمون بخطر الدعوة الجديدة عليهم، فبدأوا في مقاومة الملك الجديد ووضع العراقيل أمامه. ويصدم "أمنحوتب" الرابع لتصرف الكهنة الجشعين الذين أفزعتهم تلك الدعوة

---

[١] Hayes, W., "Inscriptions from the Palace of Amenhotep III", *JNES 10, 1951,* p. *35 et n. 5, 159 , 168,* fig. *27,* KK.

[٢] زكية زكي جمال الدين، امنحوتب الرابع في طيبة، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٨ – ٧٢ (رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة، غير منشورة).

[٣] Helck, W., *Urk* IV, p. 1962.

[٤] كتب اسم رع حور آختي مكتوب بنفس الطريقة على لوحات زرنيخ(*Urk* IV, 1963-1964) المحفوظة حاليا بتفتيش الأقصر : Saad, R., *MDAIK* 30, 1974, p. 215 – 220.

الكفيلة بحرمانهم من جميع امتيازا تهم المادية. فلم يكن، على الأرجح، في خاطر "أمنحوتب"، ولا على باله أن يشن حرب شعواء على كهنة آمون وأن يكتسب عدائهم، ولكن ربما أمر ما حدث نتج عنه رد فعله العنيف اتجاههم.

بدأت الأمور تتأزم بين الملك وكهنة آمون، فلم يمض زمن طويلا حتى وقف في وجه أعضاء هذا الكهنوت وعندئذ غير اسمه من "أمنحوتب" إلي "أخناتون" أي الحائز على رضاء قرص الشمس " وحرم "أخناتون" ذكر اسم آمون وأغلق معابده وصادر ممتلكاته وسرح الكهنة ومستخدميها. وهاجر في بداية العام السادس من حكمه إلي إقليم هرمو بوليس حيث أقام مدينة جديدة هي " آخت آتون " أي " أفق آتون"، وهي مكان تل العمارنة الحالية، وشيد على أرضها معابد وقصورا وشيد مقبرة ملكية له ولأسرته، أما مقابر الأشراف فنحتت في صخر الجبل الشرقي للمدينة، هذا بالإضافة إلي مختلف الإدارات، ووضع لوحات الحدود وعددها أربعة عشرة لوحة، تحددها شرقا وغربا[١].

وانتقل "أخناتون" تصاحبه عائلته ورجال بلاطه وكبار موظفيه إلي هذه المدينة الجديدة، المدينة التي اتخذها عاصمة لمصر في عهده واقسم يمينا سطره على لوحات الحدود بأنه لن يغادرها أبدا.

وترك "أخناتون" طيبة بعد أن أعلنها حربا لا هوادة فيها على آمون والآلهة التي اتصلت به مثل موت ونخبت وأيضا أوزوريس إله العالم الآخر، إلا أن اسم آمون بالتحديد كان موضع نقمته فأمر رجاله بمحو اسمه حتى في أسماء الملوك أمثال "أمنحوتب" وأمنمحات. عانت طيبة ومعابدها ومقابرها من انتقام "أخناتون"، فقد محي رجاله اسم آمون وصورته أينما وجدا، كما عانت آلهة مصر الأخرى والمنقوشة أسمائها والمرسومة صورها على جدران معبدي الأقصر والكرنك بطيبة حيث أنها اعتبرت آلهة زائرة في بيت آمون[٢]. أما في الأقاليم فقد احترم "أخناتون" معابد الآلهة المحلية مثل بتاح في منف، وحورس في أتريب، وباستت في تل بسطة وغيرهم، إلا أنه أزال اسم آمون من على جدران المعابد الإقليمية وفي النوبة[٣].

---

[١] Helck, W., *Urk* IV, p. 1965 – 1990 (749).

[٢] Saad, R., *Les Martelages de la XVIIIé dans le temple d'Amon –Rê à Karnak*, thése de Troisième Cycle, *inédite*, Univ. II de Lyon , 1972. p. 125 – 149.

[٣] Topozada; Zakeya, *Les Provinces d´Egypte à la fin de la XVIIIè dynastie*, thése de Troisième Cycle, (inédite), Paris IV, 1975, p. 440- 457.

يجدر بنا هنا أن نقف وقفة قصيرة لتوضيح أن عملية إزالة اسم آمون من فوق جدران المعابد المحلية لم يتم بواسطة حملات منظمة من الرجال كلفت خصيصا بهذا الأمر، ولكنه تم فقط في الأماكن التي شيد على أرضها معبدا لآتون أو التي كانت تقع بالقرب من طيبة مثل: أرمنت، المداموود والمحاميد قبلي والرزيقات.

اهتم "أخناتون" بعبادة ألهه آتون ولكنه لم يهمل شئون مصر الداخلية إهمالا تاما، فمن الناحية الإدارية احتفظ الملك في البداية بكبار موظفي الدولة الذين خدموا أبيه "أمنحوتب" الثالث ثم اعتنقوا ديانة آتون في عهده مثل: الوزير " رع مس " أو " رع موزا " الذي خدم "أمنحوتب" وولده "أخناتون" بإخلاص، وفيما بعد استمر الملك يطبق سياسة أبيه في اختياره لكبار الإداريين من طبقة النبلاء، لمس فيهم الإخلاص له من خلال اعتقادهم في آتون. وكان بعضهم في الحقيقة شديد الوفاء للملك مثل قائد الشرطة "محو" الذي أنقذ "أخناتون" من مؤامرة كادت تودي بحياته[١]. ولكن – بدون شك – كان منهم المنافقون الذين عملوا لمصلحتهم مثل الساقي " توتو " الذي قد يكون من أصل آسيوي[٢]. وكان في الظاهر على ولاء للملك ولكن في الباطن كان يعاون الأمراء الآسيويين في تحقيق مآربهم، فخدع "أخناتون" ولم يخبره بحقيقة الأمر التي آلت إليه شئون الإمبراطورية المصرية؟

كما اهتم "أخناتون" بترميم وإصلاح آثار أسلافه فأخذت البعثات تجوب أنحاء مصر، لترمم وتعيد بناء ما تهدم من آثار الأجداد، ففي سقارة عثر على نص مكتوب على جدران البيت الجنوبي في مجموعة الملك زوسر الهرمية (الأسرة الثالثة). و يرجع النص إلي العام الرابع عشر من حكم "أخناتون"، ويذكر فيه قائد البعثة الذي أمر من أجله بالمجيء إلي هذا المكان لإصلاح ما تهدم من آثار الأسلاف[٣]. وفي تل أتريب عثر على اسم "أخناتون" مجاورا لاسم أبيه على قطعة كبيرة من الحجر كانت في الأصل جزء من جدران المعبد الذي أقامه "أمنحوتب" الثالث في هذا المكان إكراما للإله حورس، وفي هذا ما يدل أيضا على قيامه بترميمات في أتريب أيضا.

واهتم "أخناتون" أيضا بتشييد معابد وهياكل لآتون خارج تل العمارنة ليس بطيبة وحدها بل أصبح الآن مؤكدا أنه قام ببناء معابد لآتون في منف هليوبوليس، وربما في تل بسطة

---

[١] PM IV, p. 222 (9).

[٢] PM IV, p. 221 (8).

[٣] هذا النص غير مذكور في PM III²/ 2, p. 412 -413. وأنظر : Zakeya Topozada, , *Les Provinces d´Egypte à la fin de la XVIIIè dynastie*, thése de troisième Cycle, (inédite), Paris IV, 1975, p. 199.

وسمنود، كما شيد هياكل لآتون في مدينة كوم غراب، أسيوط، والشيخ عبادة، الأشمونين، وأبيدوس، والكوم الأحمر[1].

كذلك كان له نشاط ملموس في النوبة، فقد رمم أجزاء من معبد "أمنحوتب" الثالث في صولب حيث صور "أخناتون" على جدرانه يقدم القرابين إلي صورة أبيه الإله كما أجرت تعديلات في هياكل وادي السبوع وشيد معبدا لآتون في سيسبى.

وظلت مصر في عهده تنعم بالرضاء فترة كبيرة، فمزارع العنب في الدلتا كانت ترسل نبيذها إلي تل العمارنة، كما امتلأت مخازن القصور الملكية والمعابد بكل الخيرات التي جاءت من مختلف أقاليم مصر وواحاتها مما أتاح القيام ببناء معابد آتون في جنوب وشمال مصر وأيضا في النوبة.

وهكذا نرى أن اتهام "أخناتون" بإهمال شئون مصر فيه الكثير من الإجحاف، فقد اقسم الملك فعلا أنه لن يترك حدود مدينته الجديدة " آخت آتون " مادام حيا إلا أن هذا لا يعنى أنه أهمل شئون البلد وتركها لموظفيه. ولكن بلا شك أن مبادرة آتون وتنظيم شريعتها استحوذت على الجانب الأكبر من اهتمامه ولكن هذا لم يمنع اهتمامه بالبناء وترميم وإصلاح ما تهدم من مباني الأجداد.

أما آسيا فقد كانت عن عناية الملك بأمورها شبه معدومة وأصبحت السيطرة المصرية على بلاد الشرق الأدنى في خطر شديد، هذا إلي جانب ظهور أعداء أقوياء لمصر. فرسائل تل العمارنة نقلت خوف وهلع أمراء آسيا واستغاثتهم بفرعون مصر الذي ظل ساكنا لا يتحرك فقد كان الوضع في هذه المناطق حرجا فأصبحت مملكة خيتا تغير على سوريا وتستولي عليها ولاية بعد أخرى. كما أخذت بعض المدن الفينيقية تستقل عن مصر أو تغير إحداها على الأخرى. وانتهزت أيضا قبائل العابيرو الفرصة وما آل إليه الوضع في هذه المناطق فأخذت في الإغارة على القوافل ونهب التجارة وأحدثت بهذا اضطرابا كبيرا في المنطقة.

ورغم هذا الوضع الشائك ظل بعض الأمراء الآسيويين على ولائهم الشديد لمصر وفرعونها فبعثوا – كما سبق أن ذكرنا – يستنجدون بـ"أخناتون" طالبين منه في تضرع شديد معونتهم على ردع الطامعين، إلا أن "أخناتون" لم يحرك ساكنا، فلجؤا إلي طلب معونة الملكة " تيي" التي هرعت إلي ابنها في " آخت آتون " (تل العمارنة) تمده بالنصح وتحثه على

---

[1] Zakeya Topozada, *op. cit.*,p.414 – 439.

التحرك، وإيجاد حل وإنقاذ إمبراطوريته من الضياع. إلا أن "أخناتون" نفسه كان في موقف لا يحسد عليه ففي نفس الوقت كانت الأمور أيضا متحرجة داخل مصر خاصة أن كهنة آمون بدؤا في التحرك ضد الملك، فما كان منه إلا أنه استمع إلي نصح الملكة "تي" له وأبدى استعدادا لمهادنتهم حتى تستقر الأمور ويستطيع الاهتمام بشئون آسيا وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. أما عن موقف "نفرتيتي" من هذا كله فهو غير واضح. هذا الوضع الغامض أدى في الماضي القريب إلي الاعتقاد أن ثمة شقاقا بدء يدب بين "أخناتون" وزوجته الملكة "نفرتيتي" وقيل أنها التي رفضت مبدأ مهادنة كهنة آمون وانفصلت عنه وذهبت لتعيش في قصر مستقل يسمى بـ " حوت – آتون" أي " قصر آتون " جنوبي " آخت آتون ".ولكن تطور الأمور وظهور الملكة "كيا" إلي جوار "أخناتون" في القليل من المناظر ثم إحلال ابنته الكبرى " مريت آتون " مكانها يدعو إلي الحيرة ويجعلنا نظن أن هناك ثمة خلافا واضطرابا دب أيضا بين أفراد العائلة.

أما عن "أخناتون" فقد عز عليه هو أن يمد يده لكهنوت آمون فاتخذ من أخيه " سمنخ كا رع " شريكا في الملك وزوجه من ابنته الكبرى "مريت آتون" وكلفه بمحاولة للوصول إلي حل مع كهنة آمون. فذهب " سمنخ كا رع " مع زوجته ليقيما في طيبة وتدل الشواهد على نجاح هذا الأمير في مهمته. وبعد ثلاثة سنوات يختفي " سمنخ كا رع " وزوجته " مريت آتون " ويتركنا التاريخ حيارى أمام هذا الاختفاء المفاجئ.

وبعد عام من هذا الحدث يموت "أخناتون" نفسه تاركا مصر أمانة في عنق ابنه من الملكة "كيا"، الملك " توت عنخ آتون " الذي يتزوج وهو في التاسعة من عمره من الابنة الثالثة لـ"نفرتيتي" و"أخناتون" الأميرة " عنخس إن با آتون ".

ولا شك أن "أخناتون" كان رجلا مثاليا، بعيدا عن الواقع، فقد آمن بإلهه الواحد، ورأى في هذا أخيرا خيرا لأمته وشعبه، ولكنه لم يحسب حساب الطامعين، والمنافقين من طبقة النبلاء القديمة ومن كهنة آمون وبعض العامة. لقد هزه سوء الحال وما آلت إليه الأمور في مصر وممتلكاتها. وتحت ضغط الظروف قبل على مضض مهادنة كهنة آمون خصمه القوى، فعل هذا لإنقاذ بلده، فضحى بما كان يعتقد أنه الصواب. وهكذا شاء لمصر أن يولد على أرضها أول الملوك الموحدين، المتصوف الفيلسوف، ومهما آل إليه أمره فسيظل "أخناتون"، أرائه وديانته نجوما ساطعة في تاريخ الفكر الإنساني.

ديانة آتون

يقول جان يويوت أن " الديانة الرسمية قبل "أخناتون" وبعده عبارة عن تصنيف وتجميع هائل يوحد صفات الآلهة الكبار مثل آمون في طيبة ورع في هليوبوليس، وبتاح في منف، حيث الأفضلية للسلطة دون قوة العقيدة، وحيث تؤخذ بعض الديانات المحلية في الاعتبار. أما عقيدة "أخناتون" الجديدة فقد أنكرت هذا التوفيق وسلمت بشريعة توحيدية على النهج الهليوبوليتانى، فاتخذت إلها واحدا هو: " رع حور آختي " الذي يتألق في الأفق بمظهره شو (النور) ويمكن في قرص الشمس" (آتون)[١]. ويذكر جون ولسون أن "أخناتون" لم يخترع قرص الشمس الذي يمد الناس بالحياة كرأي فلسفي بل أنه وجد هذا الرأي جاهزا بين يديه[٢].

احتفظ "أخناتون" بالكثير من مظاهر العبادة الهليوبوليتانية، فمثلا معابد آتون في الكرنك والمداموד والعمارنة ومنف وهليوبوليس ... الخ، كانت عبارة عن أبهاء واسعة تقدم فيها القرابين على مذبح في الهواء الطلق، كما اتخذ رئيس كهنة آتون نفس لقب كبير كهنوت رع وهو لقب" كبير الرائين "، كذلك كان يشكل الثور " منيفس " جانبا من ملحقات ديانة آتون. أما أوزيريس أهم إله للموتى قبل "أخناتون" يبدو أنه قد حرم ذكره منذ بداية الآتونية كذلك دوره كإله لمملكة الموتى، مملكة الظلام تم تجاهله تماما ولكن تم الاحتفاظ بوضع القرابين في المقبرة وتحنيط الجثمان ولكن أرواح الموتى لا تصعد إلي السماء أو إلي "الغرب الجميل" ولكنها تتواجد بين الأحياء، وفي المساء تنام مثلها ومثل آتون نفسه وكذلك الأحياء، ليعودوا جميعا إلي الحياة مع شروق آتون. كذلك اختفت عبادة أوزيريس ولم يعد الأوشابتي يحمل نصوص من كتاب الموتى كما لم يعد المتوفى يحاكم أمام عرش أوزيريس ليكتسب صفة "المعتيو" ولكنه يكتسبها بإتباع تعاليم "أخناتون" أثناء حياته. ومع تغير المفاهيم الدينية في عصر العمارنة فقد مُثل المتوفى مرتديا زيي الاحتفالات الكتاني ذو الثنايا سواء كان واقفا على هيئة آدمية أو راقدا على هيئة مومياء كما يتضح لنا من مناظر تابوت محفوظ في متحف استراسبوج، بفرنسا[٣].

أما النشيد الطويل لـ"أخناتون" والذي كان يتغنى بقرص الشمس (آتون) ذو الآلف ذراع، والذي نقل عنه المزمار ١٠٤ من مزامير داود[٤]، وكذلك الدعوات والابتهالات الخاصة بآتون، كانت مستوحاة ومنتقاة من أوصاف إله الشمس رع. ولعبت أيضا الإلهة " ماعت " ابنة رع دورا كبيرا في ديانة "أخناتون"، وهي تمثل الصدق والعدل والحق بل أكثر من هذا فهي المنظومة أو النظام الكوني المتكامل[٥]. ولما كان "أخناتون" وإلهه آتون " يعيشون على "الماعت" لأن "ماعت "

---

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، مصر الفرعونية، ١٩٦٦، ص ١٢٨– ١٢٩. (مجموعة الألف كتاب ٦٠١)

[٢] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، ١٩٥١، ص ٣٤٢.

[٣] Van Dijk, J., "The Amarna period and the late New Kingdom" in, *Oxford History of Ancient Egypt*, Oxford 2000, p. 284 - 286 (photo).

[٤] محمد بيومي مهران، إخناتون عصره ودعوته، الإسكندرية ١٩٧٩، ص ٤٥٩ – ٤٦٢.

[٥] يان أسمان ترجمة زكية طبوزادة وعلية شريف، ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية، القاهرة ١٩٨٤.

رمزت أيضا إلي الصراحة بمعناها الواسع والذي يعنينا هنا هو الحرية التي كانت أبرز صفات الديانة الجديدة. ويجدر بنا أن ننوه هنا بأن لـ"“أمنحوتب”" الثالث كانت له صلة غير عادية بالـ “ماعت " فاثنان من أسمائه وهما " نب ماعت رع " أي " رع هو سيد الماعت " و " خع إم ماعت " أي " الذي يشرق في الماعت"[١] .

رأينا في دراستنا لعصر ‘‘أمنحوتب’’ الثالث أن التمهيد لعبادة آتون بدأ في عصره، وأن “أخناتون” نفسه اعتمد دون شك على كهنة هليوبوليس في القيام بثورته الدينية، فعاونوه عن طيب خاطر في عمله الإصلاحي.

شجعت الديانة الجديدة حب الطبيعة وعناصرها، فرسمت المناظر الطبيعية على جدران القصور الملكية، كما لم يعد معبد آتون مكانا مظلما خفيا بل بهوا مكشوفا للسماء يأتي الإله بنفسه لزيارته ويغمره بنوره وأشعته.

وتتميز ديانة آتون بأن “أخناتون” كان هو نفسه المشرع والكاهن الأعظم للإله، إلا أن هذا الوضع لم يمنع أن يكن هناك كهنة آخرون يشاركون في الطقوس الدينية. ولم يكن لآتون تماثيل بل اكتفي المصريون برسمه على هيئة قرص الشمس يخرج منه الإشعاع الذي ينتهي بأيدي آدمية ممسكة بعلامة "عنخ" مما يعني أن الشمس هي واهبة الحياة. كما لم يكن لآتون زوجة أو ثالوث مثل الآلهة الأخرى.

ومن أهم مظاهر ديانة آتون أنها كانت ديانة عالمية، فلم تكن عبادته قاصرة على مصر وحدها دون باقي الأقطار، بل كانت للعالم كله فبفضله هو تستمر حياة جميع الكائنات من إنسان، حيوان ونبات، وهو المجدد للخليقة كل يوم فالليل يشهد موت جميع الكائنات ثم يأتي قرص الشمس كل صباح ليعيد الحياة للعالم، ويهب الحياة الجديدة للملك الكاهن الأعظم الذي يمثل الإله على الأرض. وكان لـ”أخناتون” من وراء هذا فلسفة وهدف سياسي فأراد أن يوحد رعايا الإمبراطورية حول عقيدة مقبولة من الجميع تستند إلي قوة الشمس نفسها. فقد ورد في النشيد الطويل:[٢] " قرص الشمس خلق بلاد سوريا وكوش وأرض مصر " وأنه " فجر فيضانا من الأعماق من أجل المصريين وفيضانا في السماء من أجل الأجانب “. ولكن عملية خلق الأجناس المختلفة قد نسبت من قبل إلي رع. إلا أن محاولة “أخناتون” لأن تكون عبادة آتون عالمية لم تجعله يرفض فكرة الإمبريالية القديمة ومراسيمها كما ذكر جان يويوت أن احتفالات

---

[١] Von Beckerath, J., *Handbuch der ägyptischen Königsnamen*, 1984, p. 85 – 86, 229 -230.

[٢] ورد النشيد الكبير في مقبرة "آي"رقم ٢٥ بتل العمارنة أنظر: PM IV, p. 228 -230.

تسليم الجزية فظلت تقام في " آخت آتون "، وأن نائب الملك في بلاد النوبة ظل يقوم بمهام منصبه، و"أخناتون" ظل أيضا يصور وهو يطأ بقدميه رؤوس الأعداء من الأفريقيين والآسيويين كما كان يفعل من قبل أسلافه[١].

ولم تهتم الديانة الجديدة بالأخلاق فقد كان آتون إلها خالقا فقط إلا أن الملك أعطى بتصويره يتعبد إلي الإله بمصاحبة عائلته مثالا للترابط الأسرى يحتذي به عامة الشعب.وأخيرا إذا كان آتون الإله الأوحد لم يكن له زوجة ولا حريم كما لم يكن بين أفراد كهنوته نساء مما ينقيه من الإرهاصات للعبادات غير السماوية.

نفرتيتي

"نفرتيتي"[٢]هي أميرة مصرية على قدر كبير من الجمال والرقة تزوجها "أخناتون" في بداية عهده وأنجب منها ست بنات: "مريت آتون تاشريت"، "عنخ إس إن با آتون تاشريت"، "مكت آتون"، "نفرنفرو آتون تاشريت"، "نفرنفرورع"، "ستب إن رع". و"نفرتيتي" هي الشخصية النسائية الرئيسية في عصر العمارنة، فهي " الزوجة الملكية الأولي" دون منازع، ولكنها لم توصف أبدا في النصوص بألقاب " ابنة ملك" أو "أخت ملك". تزوجت بدون شك، من "أمنحوتب" الرابع قبل اعتلائه العرش، ولكن من الغريب أنه لم يذكر أبدا أسماء أبويها. كانت لها أخت هي "موت نجمت" زوجة "حور إم حب" التي أصبحت بدورها ملكة على مصر. كانت السيدة "تتي" زوجة "أي" "الأب الإلهي" والملك فيما بعد، مرضعتها ومربيتها بل وظن في وقت ما أنهما أبويها، وإن كانت نصوص تابوت تويا" أم الملكة "تيي" تصف "أي" بـ أبنها"[٣].

لازمت "نفرتيتي" زوجها في بداية كفاحه، وأصبحت من المخلصين لعبادة آتون. وعاشت في حياة هادئة مع عائلتها. كثيرا ما نقلت لنا لوحات تل العمارنة جو السعادة والألفة التي كانت تتمتع بها "نفرتيتي" وزوجها بل مثلتهما وهما يبكيان أبنتهما "مكت آتون".

كان لـ"نفرتيتي" – دون شك – دور في مساندة انطلاقة عبادة آتون إلا أنها لم تحمل أبدا أي لقب كهنوتي.

---

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، نفس المرجع، ص ١٣٠.

[٢] جوليا سامسون ترجمة مختار السويفي، نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، القاهرة ١٩٩٢.

[٣] Vandersleyen, C. *L'Egypte et la vallée du Nil* II, 1995, p. 442 and n. 1.

تمتعت الملكة "نفرتيتي" بحب وتقدير زوجها لها فأغدق عليها من الميزات الملكية والفنية الكثيرة فقد أفرد لها أحد هياكل معبد آتون بالكرنك تحلت جدرانه بصورها ورسمها وهي تتعبد إلي آتون وتقدم له الهبات والقرابين[١]. كما عثرنا على أعداد كبيرة من رؤوس تماثيلها في تل العمارنة وأجملهم على الإطلاق رأس التمثال الملون والمحفوظ حاليا بمتحف برلين. اختفت "نفرتيتي" بعد العام الثاني عشر وبعد أن توفيت عدة أميرات من بناتها، ولعل حزنها على بناتها والمشاكل التي انهالت على الأسرة سبب اكتئابها وبعدها عن الحياة العامة لتحل محلها ابنتها الكبرى "مريت آتون" ثم تظهر الملكة "كيا" الغامضة. ومهما كان من أمر "نفرتيتي" إلا أنها دون شك كانت من أهم الشخصيات في الأسرة الثامنة عشرة.



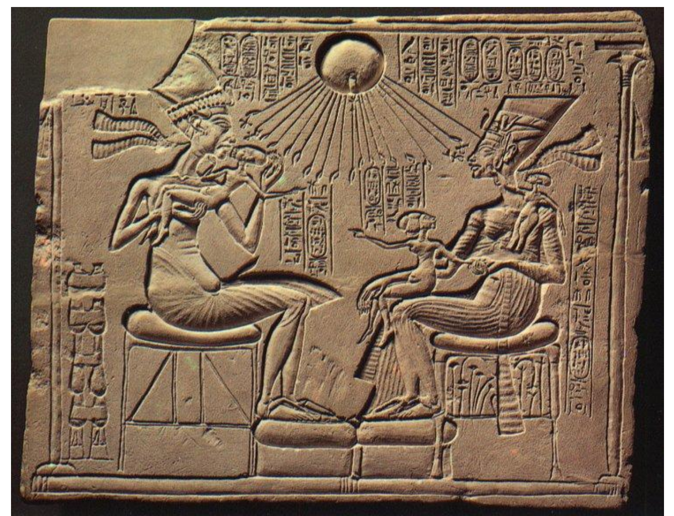
تمثال نفرتيتي الشهير بمتحف برلين

فن العمارنة

أثرت مبادئ ديانة آتون على فن هذا العهد، فخلق فنا متميزا أطلق عليه تسمية " فن العمارنة " نسبة إلي عاصمة مصر في تلك الفترة، المكان الذي انطلق منه الإشعاع الديني والحضاري طوال فترة حكم "أخناتون" ثم اختفي تدريجيا من بعده وإن لم يختفي تماما تأثيره في عبادة وفن المصريين. في عصر "أخناتون" انطلق الفن متحررا من كافة القيود والتقاليد التي تحكمت فيه قبل "أخناتون"، فمال إلي تصوير الحقيقة ولجا إلي التعبير عن الواقعية دون أي محاولة من الفنان لتجميل شكل الإنسان فلم يهتم بتصوير الملك ولا العائلة المالكة في أجمل الأشكال بل صورهم في طابع أقرب إلي التشويه الخلقي، ولكن بهدف التعبير عن فكرة بعينها. وعلى ما يبدو أن حب الطبيعة والواقعية وكذلك الرمزية التي اتسم بها عصر العمارنة كانت أيضا سمة أخرى من سمات هذا العصر، وقد امتدت حتى أثرت على الشكل الذي يبدو عليه جسم الإنسان، ولما كان الملك نفسه أكبر مثال على ذلك، فضلا عن أن الرعية كانوا يميلون إلي أن يصوروا أنفسهم على النمط الملكي بقدر المستطاع، فكان من الطبيعي أن يصبح شكل جسد الملك نموذجا لهم.

---

[١] Smith, R. and Redford, D., *Akhnaten Tempel Project* I, 1976, p. 79 - 82; Tawfik, S., "Aton Studies" in *MDAK* 29, 1973, p. 82 – 86 and pls. 28 – 29; Tawfik, S., "Aton Studies" in *MDAK* 35, 1979, p. 337-338.



احدي لوحات التعبد في المنازل من عصر إخناتون (المتحف المصري، القاهرة)

مال فن العمارنة إلي تصوير العائلة المالكة في أوضاع متحررة وطبيعية إمعانا في إبراز الحقيقة التي كانت من سمات هذا العهد فصور الملك وهو يداعب زوجته ويحتضنها وهو يقبل ابنته وأيضا وهو يأكل بشراهة. مال الفن أيضا في هذا العصر، متأثرا بمبادئ ديانة آتون، إلي كثرة تصوير المناظر الطبيعية، التي زينت جدران القصور والمنازل الخاصة، بإتقان شديد حتى في أدق تفصيلها.

مات "أخناتون" في ظروف لا نعلم عنها شيئا ودفن علي الأرجح في المقبرة الملكية بتل العمارنة[١] التي عثر عليها خاوية، لأنه تم نقله، على ما يبدو، إلي المقبرة رقم KV 55 الملوك[٢] حيث تم دفنه في عصر خليفته "توت عنخ آمون".

---

[١] وهي المقبرة ٢٥أ التي إكتشفها بارزنتي عام ١٨٩٢.

[٢] نجد تلخيص مهم لتحديد هوية من دفنوا بالمقبرة رقم ٥٥ بوادي الملوك في أنييس كابرول ترجمة ماهر جويجاتي، أمنحوتب الثالث الملك العظيم، المجلس الأعلى للثقافة رقم ٥٨٨، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٥٥ – ١٧٢ مع ذكر لقائمة صغيرة لأهم المراجع ص ١٨٦ - ١٨٧ هامش ١٠٥.

عـودة آمـون

أو

خلفـاء "أخناتون"

توت عنخ آمون، نب خبرو رع أي، خبر خبرو رع حور – إم – حب، جسر خبرو رع	١٣٣٦ – ١٢٩٥ ق.م

توت عنخ آمون، نب خبرو رع
١٣٣٦ – ١٣٢٧ ق.م

تولى "توت عنخ آمون" عرش مصر خلفا لأبيه؟ "أخناتون" ولما كان لا يزال طفلا صغيرا، لا يزيد عمره على الأرجح، عن تسع سنوات.

بدأ الملك حكمه باسم " توت عنخ آتون " وتزوج في بداية عهده من الابنة الثالثة لـ"أخناتون" و"نفرتيتي"، الأميرة " عنخس إن با آتون ".



"توت عنخ آمون" وزجته "عنخس إن با آتون" (منظر لكرسي العرش، المتحف المصري بالقاهرة)

واستمر " توت عنخ آتون " يحكم مصر من " آخت آتون " مدة ثلاث سنوات، أنتقل بعدها إلي طيبة[١] وغير اسمه إلي "توت عنخ آمون"، أي " صورة آمون الحية " بدلا من " صورة آتون الحية"، كما غيرت الملكة أيضا اسمها إلي " عنخس إن با آمون ". وكان هذا بمثابة الارتداد الرسمي عن آتون والعودة إلي عبادة آمون وبذلك انتصارات الرجعية

ولصغر سن الملك كان الكاهن والرجل "أي"، الذي ظهر في "آخيت آتون" وكان أحد رجاله المقربين الأقوياء، بمثابة الوصي على العرش، ويرجح هذا الرأي المنظر الذي يحلى أحد جدران قبر "توت عنخ آمون"، بوادي الملوك، حيث يقوم "أي"، ملكا، بالمراسم الجنائزية وطقس فتح الفم للملك الشاب المتوفى. ومما لا شك فيه أن "توت عنخ آمون" لم يكن قادرا وحده على

[١] لوحة الكرنك التي اعتصبها "حور إم حب" Helck, W., *Urk* IV, p.2025-2032, l. 18 (772) = JE 34183

مواجهة الأمور بل عاونه في هذا " أي " الكاهن الكهل، والقائد " حور إم حب " اللذان سيتوليان الحكم تباعا بعد وفاته المبكرة، وكانا القوة المحركة لسياسة مصر أثناء حكمه.

ومهما كان من أمر الحاكم الحقيقي في هذه الفترة إلا أن عصر هذا الملك الشاب كان يتميز بميله الخفي لعبادة آتون. أما الارتداد الرسمي عن عبادة الإله الواحد آتون والعودة إلي آمون إنما يرجع إلي العام الرابع من حكمه[١]. ورغم هذا رفض "توت عنخ آمون" الإقامة في طيبة وبني لنفسه قصرا في مدينة منف حيث أقام فيه هو وزوجته، وبذلك جعل من تلك المدينة الشمالية القديمة، مقرا له.

اهتم "توت عنخ آمون" بإظهار رعايته لآمون، وأمر بإصلاح ما أهمل من معابد، كما بني بعض الإضافات المعمارية باسمه في معبدي الأقصر والكرنك. ولكن آتون لم يهمل في عهده، فبني له في النوبة العليا في منطقة قاوي معبدا أطلق عليه اسم "جم پا آتون" كانت تقام فيه الشعائر الدينية[٢]. كما استمرت مزارع العنب في الدلتا تحمل اسم " بهاء آتون " دون أي تغيير فيه. أما "أون" مدينة الشمس القديمة وهليوبوليس الإغريق، فقد عثر في أطلالها على ما يثبت لنا بالدليل القاطع أن الملك شيد فيها عدد من الأبنية. كما كان يحلو له التريض في ربوعها فعلى مروحة الاحتفالات التي عثر عليها في مقبرته وضمن أثاثه الجنائزي، رسم يوضح قيامه بصيد النعام، على الأرجح، في المنطقة المعروفة الآن باسم أرض النعام بالمطرية[٣]. كما أن معابد آتون لم تغلق في عهده ولا في عهد من تلوه على العرش واستمرت مفتوحة للعبادة حتى عصر الملك ""سيتي"" الأول كما تنص عليه بردية رولان[٤]. وبناء عليه، نستطيع أن نقول أن "توت عنخ آمون" الذي كان قد أعلن عودته إلي آمون لم يرتد، في داخله، عن عقيدة آتون. وإذا كان قد حدث تغير في عهده فهو أن آتون أصبح إلها ضمن مجموعة الآلهة المصرية، ولم يعد الإله الأوحد.

---

١ لوحة الملك بالكرنك المعروفة اصطلاحا باسم "لوحة الإصلاحات" التي اغتصبها "حور إم حب" Helck, W., *Urk* IV, p.2025-2032, l. 18 (772) = JE 34183

٢ PM VII, 1951 , p. 181 -183.

٣ Edwards, I.E.S., *Tutankhamon, his tomb and its Treasures*, 1978, p. 108 – 113 (photo).

٤ Pap. Rolllin (Paris BN 213 recto 4 – 5 = Bibliography cf. Jankuhn, D., « Bibliographie der Hieratischen und Hieroglyphischen Papyri », *GOF* 2, 1974, p. 88.

أما عما إذا كان تدمير آخت آتون حدث مباشرة بعد عودة " توت عنخ آتون " إلي طيبة في العام الرابع من حكمه، فعلى الأرجح لا، ولكنها لم تعد عاصمة مصر ومقر الملك. أما التدمير فقد حدث على الأرجح في عصر لاحق، ويرجح أن يكون في عهد "رمسيس" الثاني[١].

وعن عناية الملك بشئون الإمبراطورية فقد كانت محدودة لقلة سنوات حكمه، فالنوبة لم تكن تشكل أي خطر على المصالح المصرية وكانت هادئة تماما منذ عهد "أمنحوتب" الثالث إلا أنه أرسل حملة عسكرية إلي هناك ربما تكون استعراضية أكثر منها للقضاء على تمرد كما تدل عليه قطعة الحجر (RT 8.6.24.4) التي عثر عليها بالكرنك ومحفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة[٢]، هذا بالإضافة إلي مناظر مقبرة القائد "حور إم حب"، الملك فيما بعد، بسقارة وترجع إلي عصر" توت عنخ آمون"[٣].

أما فيما يخص آسيا فقد كانت الأمور مضطربة وتهدد نفوذ سلطان مصر وفرعونها الشاب، مما دعي الملك إلي إرسال حملة عسكرية إلي فلسطين بقيادة القائد "حور إم حب"، الذي روت لنا أخبارها مناظر مقبرته بسقارة وصور لنا فيها الأسرى الآسيويين الذين أتي بهم من هناك.[٤]

مات "توت عنخ آمون" بعد أن حكم مصر حوالي تسع سنوات دفن بعدها في قبر صغير أعد من أجله على عُجالة في وادي الملوك KV 62 ، وحوت المقبرة جهازا جنائزيا ذهبيا رائعا، محفوظ الآن بالمتحف المصري بالقاهرة. وقد اكتشف هذه المقبرة الإنجليزي كارتر بتمويل من اللورد كارنرفون في نوفمبر سنة ١٩٢٢.

بعد وفاة "توت عنخ آمون" وقع حادث غريب حفظه لنا أرشيف بوغازكوى[٥]، وهو يتعلق بملكة مصرية، لم يوضح النص اسمها، ولكن يرجح أنها أرملة "توت عنخ آمون"، كتبت إلي ملك الحيثيين "سوبيلوليوما" وطلبت منه أن يبعث إليها بأحد الأمراء من أبنائه ليكون زوجا لها إذ أنها أصبحت أرملة وليس لها ولدا وأنها لا يمكنها الزواج من أحد أتباعها[٦]. ولم يصدق ملك الحيثيين هذا الأمر وظن أنه ولا بد أن يكون في الأمر خدعة، فبعث برسول من عنده ليتأكد

---

[١] Topozada , Zakeya, *Les Provinces d´Egypte à la fin de la XVIII^{è} dynastie*, thése de troisième Cycle, (inédite), Paris IV, 1975, p. 418 ..

[٢] Saleh, M., and Sourouzian, H., *Musée Égyptien du Caire*, 1987, 194. (photo)

[٣] Geoffrey, T.M., *The Hiddden Tombs of Memphis*, 1991, p. 68 – 72.

[٤] Geoffrey, T.M., *op.cit.*, p.70 – 77, 81.

[٥] هي بلدة في آسيا الصغرى على نهر كيزيل أرماك جنوب شرق سينوب، وكانت عاصمة الحيثيين.

[٦] دريوتون وفانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ص ٣٨٩.

بنفسه، فكتبت الملكة خطابا آخر إلي سوبيلولوما تلومه على عدم تصديقه لها، وهنا بعث ملك الحيثيين بأحد أبنائه وفي الطريق إلي مصر قتل هذا الأمير، ربما بواسطة رجال "حور إم حب" الرجل الذي كان يلي "أي" في الأهمية وكان من الشخصيات الهامة في تلك الفترة الزمنية.

بعد اكتشاف مقبرة الملك الشاب "توت عنخ آمون" وأثاثها الذهبي الفوق الرائع، اتجهت أنظار العلماء إليه وكثرت التساؤلات حوله، من هو هذا الفرعون الذهبي؟ ولماذا دفن في قبر صغير؟ وأسباب موته في هذا السن اليافع؟ وسالت الأحبار مقدمة مئات من الكتب العلمية وأيضا الكتب الموجهة إلي جمهور هواة الآثار المصرية إلي أن آتي اليوم الذي لجأ فيه علماء الآثار إلي أحدث ما اخترع العلم من تقنيات حديثة. وأعاد فريق من علماء الطب والآثار المصريين والألمان فحص مومياء الملك الشاب بواسطة الأشعة المقطعية CT scan التي وضحت وجود كسر حاد في عظمة الفخذ الأيسر مع ملاحظة عدم وجود أي تجمع دموي، مما يوحي بعدم حدوث أي تلوث قد يؤدي إلي الوفاة. كما كشف الفحص الإشعاعي أيضا عن كسر واختفاء عدة أضلع من القفص الصدري، مما يجعلنا نفكر في أن كل هذه الكسور كانت نتيجة لسقوطه من فوق مركبة مسرعة سواء أثناء رحلة صيد أو أيضا نتيجة لحادثة مدبرة، ترك بعدها الملك الشاب ليموت ومعه سره الكبير. أما الضلوع المختفية بعد كسرها، فأن إزالتها أثناء عملية التحنيط غير مقبولة ولا تلغي نظرية المؤامرة، وأن اغتياله مازال مرجحا، ترجحه أحداث عصره وتطورها من بعده، فهو آخر سلالة الملوك التحامسة الشرعيين.

الملك أي[1]، خبر خبرو رع
١٣٢٧ - ١٣٢٣ ق.م

حكم "أي" مصر بعد "توت عنخ آمون"، وكان كاهنا كبيرا في السن، ومن أصل غير ملكي، إلا أن الظروف أرادت أن يكون أحد الشخصيات الهامة في البلاط الملكي في "آخت آتون " تولى رعية الملك الطفل بعد وفاة "أخناتون".

وكان "أي" من المؤمنين بعقيدة آتون، فكان له الفضل ربما، بالاشتراك مع القائد "حور إم حب"، في توجيه سياسة مصر الداخلية، على أن تكون في الظاهر عودة إلي آمون وفي الباطن التمسك بآتون وعبادة الشمس، لقد أحنى الكاهن الكهل برأسه حتى تمر الأزمة وتهدأ العاصفة، إنها لحكمة الشيوخ.

شغل "أي" في عصر "أخناتون" مناصب عدة إلا أنه اعتز بلقب "أب إلهي"، كما حفر لنفسه قبرا في الجبانة الجنوبية لـ " آخت آتون "، زين جدرانها بمناظر عديدة والكثير من النصوص أهمها نشيدي آتون مما يدل على مكانته الكبيرة في هذا العصر[2].

وكان "أي" متزوجا من "تيي"، " مرضعة ومربية الملكة " "نفرتيتي"، وقد ظل أمر وصول "أي" إلي مرتبة الملك يحير الكثير من العلماء إلا أنه منذ أعوام خلت تم العثور على خاتم يحمل اسم "أي" وأرملة "توت عنخ آمون"، الملكة "عنخس إن با آمون" متجاورين يحيط بهما خرطوش ملكي، مما فسر أن هذا الكاهن العجوز تلقى حقوقه في التاج من زواجه من أرملة الملك الشاب. ومهما يكن من أهمية هذا الاكتشاف فأنه لا يفسر كما ذكر دريوتون وفاندييه أن " الزوجة الملكية الكبيرة الممثلة على جدران قبر الملك "أي" بطيبة ليست هي الوريثة الشرعية للعرش "عنخس إن با آمون"، بل هي مرضعة "نفرتيتي"، " تيي " التي كتب اسمها أيضا داخل خرطوش ملكي[3].

---

[1] Gabolde, M., *Le Père divin Aÿ*, thèse inédite, 1992, (Univ : Lyon II).

[2] PM IV, p.228 -230.

[3] دريوتون وفاندييه ترجمة عباس بيومي، مصر، د. ت، ص ٣٩٠

وقام الملك "أي" أثناء فترة حكمه القصير الذي لم يتجاوز أربعة سنوات ببناء عدة إضافات بالكرنك، كما اغتصب المعبد الجنائزي الذي بناه "توت عنخ آمون"، بغرب طيبة، وحفر معبدا صخريا للإله مين بمسقط رأسه أخميم، وبنى قصرا في منف التي كان ربما يقيم فيها مثل سلفه، كما بنى معبدا في جبل الشمس بالنوبة العليا. ومات "أي" ودفن كما يدفن ملوك مصر في قبره الذي أعده في وادي الملوك KV 23 وللأسف لم يعثر على مومياء هذا الملك.

حور إم حب، جسر خبرو رع[١]

١٣٢٣ - ١٢٩٥ ق.م

بعد وفاة "أي" آل العرش إلي قائد الجيش "حور إم حب"، وربما كان بقصد إعادة الأمن بقوة السلاح. ورغم أن "حور إم حب" كان رجلا عسكريا، كما توضح مناظر قبره الذي شيده في سقارة ونرى فيه اهتمامه بسيادة مصر على غيرها من الأجانب، ولكننا مع ذلك، لا نملك ما يثبت أنه قام بقيادة الجيوش في حملات لاستعادة أمجاد مصر، بل على العكس من هذا تماما ركز الفرعون الجديد كل جهوده واتخذ من الإجراءات الجريئة لإعادة الأمن والثقة في داخل البلاد.

كان "حور إم حب" رجلا من طبقة متوسطة من بلدة "حوت نسو" بالإقليم السابع عشر من أقاليم الوجه القبلي (الكوم الأحمر سوارس جنوب شارونة)[٢]، إلا أنه قضى أغلب الوقت في منف التي كانت منذ عهد "أمنحوتب" الثاني مركزا للجيش.

بني "حور إم حب" مقبرة في تل العمارنة رقم ٢٤[٣] ، وفي عهد "توت عنخ آمون" بني أخري بسقارة عثر عليها في أواخر القرن الماضي. ولكن سرقت أحجارها وبيعت لعدة متاحف في أوروبا كما وصل إلي المتحف المصري بالقاهرة البعض منها، ثم اختفت عن الأعين، وظلت الآمال متعلقة في العثور عليه ثانية حتى تم أعيد اكتشافها عنها في يناير ١٩٧٥[٤].

---

[١] Hari, R., *Horemheb et la reine Moutnedjemet ou la fin d'une dynastie*, Genéve 1964.

[٢] Gardiner, A., *Ancient Egyptian Onomastica* II, Oxford 1968, 106 - 107*

[٣] PM IV, p.228.

[٤] Geoffrey, T.M., *The Hiddden Tombs of Memphis*, 1991, p. 35 - 100; PM III²/ 2-2, 1979, p.655-661.

وتوج "حور إم حب" في طيبة وتزوج، على الأرجح، من إحدى أميرات البيت المالك القديم وهي الأميرة "موت نجمت" وبهذا اكتسب شرعية الحكم.

وبالرغم من أن "حور إم حب" رجل عسكري وقائد له نشاطه الحربي في العصور السابقة إلا أنه وجه جهوده نحو الإصلاح الداخلي فسن القوانين الجديدة التي من شأنها تنظيم البلاد وإعادة الأمن والطمأنينة فخرج علينا بمرسوم قام بوضع نسخة منه في معبد بتاح بمنف ونسخة أخرى في الكرنك. ويهدف هذا المرسوم إلي وضع حد للفوضى التي تفشت في البلاد نتيجة لحالة عدم الاستقرار و حماية أيضا موارد الحكومة، ومن أهم بنوده[١]:

١) يحرم المرسوم على الموظف أن يستولى على القارب الذي يستخدمه أحد العامة لدفع ما عليه من ضرائب. وكان عقاب ذلك قطع الأنف والنفي إلي حصن ثارو.

٢) ينص على حماية ممتلكات الأفراد العاديين أو تسخيرهم للعمل من قبل الموظفين والعسكر، لأن ما كان يأتيه هؤلاء يحرم الدولة من حقها في السلع أو مجهود الأفراد.

٣) يحرم على الجيش أن يستولى على جلود الحيوانات التي يدفعها العامة في الضرائب المفروضة عليهم وعقاب هذا هو الضرب مئة عصا ويفتح في جسده خمسة جروح.

٤) يحرم أخذ نبات خاص يستعمل في الصباغة وبعض الأعشاب التي كان يتحتم على هؤلاء العامة أن يقدموها للحكومة.

٥) يحرم على بعض جامعي الضرائب من أن يغشوا في فرض الضريبة لفائدتهم الشخصية.

وهكذا نرى من هذه الأمثلة أن المرسوم رجعى يضع في الاعتبار الأول مصلحة الدولة على مصلحة الشعب. فلم يعنى المرسوم عناية كاملة بالرخاء الاجتماعي ولكنه كان هدفا أساسيا كما ذكر جون ولسون " أن – يحمى الضرائب بحماية مصادرها "[٢].

ويذكر المرسوم أن الملك أمر بإصلاحات إدارية والقضاء على الرشوة ونظم أمور رجال الجيش ومنحهم ما يؤمن حياتهم وحياة ذويهم من بعدهم. وعنى "حور إم حب" بتنظيم البروتوكول في القصر ودرجات – الموظفين ومن منهم يتقدم على الآخر.

---

[١] باهور لبيب وصوفي أبو طالب، تشريع حورمحب، القاهرة ١٩٧٢، ص ٣٢ – ٧٤.

[٢] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٨١.

واهتم الملك بشئون آسيا فبدلا من أن يخرج بجيوشه فضل أن يعقد معاهدات صلح مع ملك الحيثيين كما عرفنا من وثائق متأخرة، فالمعاهدة التي تمت بين "رمسيس" الثاني و الحيثيين تشير إلي معاهدات سابقة ترجع إلي عهده. وهكذا استطاع "حور إم حب" التفرغ إلي الإصلاحات الداخلية.

اهتم الملك أيضا بالبناء فشيد معبدا وصرحين في الكرنك وإضافات في معبد بتاح بمنف، وإصلاحات أخرى في هليوبوليس والدلتا عموما، كما بنى هيكلا في السلسلة تكريما للإله توت أو چحوتي الإله الراعي للكتبة، فقد كان "حور إم حب" يفخر بأنه على درجة عالية من الثقافة، كما شيد المعابد في النوبة وترك لنا العديد من التماثيل أهمهم تمثاله في هيئة "الكاتب" المحفوظ بمتحف المتروبوليتان بنيويورك (M.M.A. 23.10.1).[١]

وأخيرا يهمنا أن نزيل اتهاما ألصق بـ "حور إم حب" وهو أنه المدمر لمدينة " آخت آتون "، ومعابد "أخناتون" في أنحاء مصر، فقد أراد الباحثون أن ينسبوا إلي هذا الملك أنه هو الذي أعاد لآمون نفوذه القديم. ولكن بناءً على دراسة شارل مستر (Maistre) يتضح لنا أن "حور إم حب" برئ، لحد ما، من هذا الاتهام. فقد راعى هو الآخر أن يكون على حذر شديد في معاملته لكهنة آمون، لذا نراه في طيبة حريصا على إزالة آثار "أخناتون"، ولكنه يقوم بإصلاح معبد "توت عنخ آمون" بهليوبوليس.

أما عن تدميره لمعبد آتون بالكرنك ووضعه لأحجاره داخل الصرح الذي أقامه فهو يمثل في نظرنا شيئا آخر وهو أنه تحت إصرار كهنة آمون في إزالة معبد آتون بالكرنك أمر الملك بوضع أحجاره باحتراس شديد داخل الصرح الذي أقامه وهو المعروف باسم الصرح العاشر، وذلك لحفظها، فلو أراد الملك "حور إم حب" حقا التخلص من أي أثر لـ"أخناتون" لأمر بإزالة صور الشمس آتون ومليكه حتى يفقدوا صفة الخلود، بل وعلى العكس فقد ظلت هذه الأحجار في حالة طيبة تماما مما دعا البعثة الأمريكية لجامعة بنسلفانيا إلي التفكير في تجميع هذه الحجارة لإعادة بناء المعبد كما كان وقت "أخناتون". أما المذنب الحقيقي والذي يجب أن نرى فيه من قضى على آتون، عبادته، ومعابده بل والعاصمة " آخت آتون " هو "رمسيس" الثاني الذي عثر في الكثير من معابده على أحجار من معابد آتون أعيد استعمالها بعد أن أزيلت

---

[١] Helck, W., *Urk* IV, p. 2089-2094 (804); PM III[2] 2/3, 1981, p. 865 (bibliogr.).

النقوش والمناظر من فوقها[1]. وكما سبق أن وضحنا (ص ٩٨ هامش ٢٢٨)، وبدليل مادي ذكرته بردية رولان ٢١٣ أن معابد آتون ظلت مفتوحة للعبادة وتتلقي القرابين حتى عصر "سيتي" الأول.

وختاما نذكر أن "حور إم حب"، حكم مصر حوالي عشرين عاما وأنه لم يعرف له أسماء أطفال من صلبه، وأنه اختار "رمسيس" أحد رفقاء السلاح الذي أصبح في عهده وزيرا وقائدا للجيش، ليكون ملكا من بعده، وهكذا ينتقل الحكم عند موت "حور إم حب"، إلي أسرة جديدة ويبدأ عهد جديد.

كان لـ "حور إم حب"، عدة مقابر: في عهد "أخناتون" بني قبرا بتل العمارنة وفي عهد "توت عنخ آمون" عندما انتقل البلاط الملكي إلي منف، بني قبرا آخر في سقارة ولكنه دفن كفرعون في القبر الثالث له بوادي الملوك KV 57 وإن كان لم يعثر على موميائه إلي الآن.

---

[1] ZakeyaTopozada, *Les Provinces d´Egypte à la fin de la XVIII^{è} dynastie*, thése de Troisième Cycle, *inédite*, Paris IV, 1975, p. 418 ; Pap. Rollin (Paris BN 213 recto 4 – 5 = Bibliogr. cf. Jankuhn, D., « Bibliographie der Hieratischen und Hieroglyphischen Papyri », *GOF* 2, 1974, p. 88.

الأسـرة التاسعـة عشـرة

١٢٩٥-١١٨٦ ق.م

مات "حور إم حب" ودفن بوادي الملوك وانتقل الحكم من بعده إلي أسرة جديدة تتابع خلالها على عرش مصر سبعة ملوك وملكة واحدة.

ملوك الأسرة التاسعة عشرة

١) رمسيس الأول، من بحتي رع ، رع مس سو	١٢٩٥- ١٢٩٤ ق.م
٢) سيتي الأول، من ماعت	١٢٩٤- ١٢٧٩ ق.م
٣) رمسيس الثاني، أوسر ماعت – رع ستب إن رع	١٢٧٩- ١٢١٣ ق.م
٤) مرنبتاح، مري إن بتاح، با إن رع	١٢١٣- ١٢٠٣ ق.م
٥) آمون مسو، من مي رع	١٢٠٣- ١٢٠٠؟ ق.م
٦) سيتي الثاني، أوسر خبرو رع، ستب إن رع،	١٢٠٠- ١١٩٤ ق.م
٧) سا بتاح، رع مسو سابتاح ، ستب إن رع	١١٩٤ – ١١٨٨ ق.م
٨) الملكة تا أوسرت	١١٨٦ –١١٨٨ ق.م

رمسيس الأول، من بحتي رع[1]

١٢٩٥- ١٢٩٤ ق. م

إننا نجهل إلي الآن روابط القرابة أو طبيعة العلاقة التي جمعت بين آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة و"رمسيس" مؤسس الأسرة التاسعة عشرة أو الأسباب التي دعت إلي اختياره خليفة لـ "حور إم حب". ومهما كان الأمر فإن الانتقال إلي أسرة جديدة لم يؤد إلي اضطراب في الشئون الداخلية، بل يرجح أن هذا الانتقال حدث له تمهيد أثناء حكم "حور إم حب".

ينحدر الملك الجديد من أسرة عسكرية أصلها من شرق الدلتا ربما من قنتير بالقرب من عاصمة للهكسوس القديمة وبالتالي عبد أفرادها الإله ست. أخلص "رمسيس" وعائلته من بعده إلي مدينتهم وإلي إلهها المحلى[2].

كان "سيتي" أي المنتسب للإله ست، والد "رمسيس" الأول يحمل لقب Hrj pdt "رئيس الرماة " وفيما بعد خلفه ابنه "رمسيس" في شغل هذه الوظيفة. وتدرج "رمسيس" في الوظائف حتى وصل في عهد الملك "حور إم حب" إلي أعلى المراتب العسكرية وأصبح وزيرا. عثر له في معبد الكرنك على تمثالين نقش عليهما الكثير من ألقابه ومنها "رئيس الرماة، رئيس المركبات، رئيس القلعة، رئيس أفوه النيل، سائس الملك، الوزير[3]؟ رسول الملك، رئيس كهنة كل الآلهة ونائب الملك في الوجه القبلي وفي الوجه البحري "....[4].

يستدل من هذه الألقاب أن "رمسيس" كان يتمتع بسلطان كبير ونفوذ قوى كما كان أكثر الموظفين الكبار قربا لأخر ملوك الأسرة السابقة، ولا عجب أن "حور إم حب" اختاره ليكون خليفته. وفي الحقيقة أن في اختيار الفرعون لشخص "رمسيس" الأول، الرجل الذي كان يكن لإلهه المحلى ست، فيه إصرار من جانبه على أن يظل نفوذ كهنة آمون دون قوته القديمة.

---

[1] Zivie, A.P., *LÄ* V, p. 100 -108 (bibliogr.) ; *KRI* I, 1 - 5, and VII, p. 1- 6, 403 - 404.

[2] Dodson, A., and Hilton, D., The Complete Royal Families of Ancient Egypt, Cairo 2004, p. 158 - 160,photo in 158(JE 44861).

[3] Zivie, A.P., *LÄ* V, 105 -106; Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 495 et n. 2.

[4] Helck, W., *Urk* IV, p.2175 -2176.

كان "رمسيس" الأول كهلا طاعنا في السن عندما اختير ليكون ملكا على مصر فاستمر حكمه عامين فقط[١] حرص خلالها على إتباع سياسة سلفه العظيم، بدأ في التقرب إلي آمون فشيد له في الكرنك المباني الضخمة، واهتم أيضا بباقي أقاليم مصر حيث عثر له على آثار عديدة خاصة في إقليم منف وفي النوبة، كما بني لنفسه قبرا في وادي الملوك، KV 16، الذي لم يمهله القدر فرصة إتمامه. من الغريب إننا لم نعثر إلي الآن على قبره الذي ولا بد وأن يكون قد أتم العمل فيه في سقارة في زمن الملك "توت عنخ آمون" مثل زميل السلاح "حور إم حب".

من أهم وأكبر مفاخر الملك الجديد الذي لم يكن لديه متسع من الوقت للاهتمام بالشئون الخارجية، أنه بدأ في بناء بهو الأعمدة الذائع الصيت في الكرنك، والذي قدر له أن لا يتم إلا في عهد حفيده "رمسيس" الثاني[٢].

---

[١] هو أعلي تاريخ معروف لرمسيس الأول ورد على لوحة بوهن:.*KRI* I, 2 -3

[٢] *KRI* VII, 1 - 4.

سيتي الأول، من ماعت رع[1]

١٢٩٤-١٢٧٩ ق.م

تولى بعد "رمسيس" الأول ابنه "سيتي" الذي اعتبره الباحثون من أهم ملوك مصر في الدولة الحديثة. كان "سيتي" فيما سبق ضابطا في جيش "حور إم حب"، كما ورد في نص لوحة الربعمائة عام[2] وهي الآن من مقتنيات المتحف المصري بالقاهرة JE 60539 [3]، وعثر عليها في مدينة صان الحجر والتي ورد ذكرها أثناء معالجتنا لفترة احتلال الهكسوس. حكم "سيتي" الأول حوالي احدي عشر عاما ولا يتعدي على الإطلاق، الخمسة عشر عاما[4].

شغل "سيتي" في عهد أبيه عدة وظائف أهمها أنه كان قائدا للفرسان ورفع فيما بعد إلي أعلى مناصب الدولة مثل الوزير وقائد الشرطة. وعند وفاة أبيه كان "سيتي" رجلا في منتصف الحلقة الخامسة من العمر، له من التجارب والخبرات مما أهله لأن يكون عصره بداية جديدة في تاريخ البلاد، سميت أولى سنوات حكمه بـ "وحم مسوت" أي " تكرار الولادة "، فاستحق أن يعتبر عهده بداية لعصر البعث.

اهتم "سيتي" في بداية حكمه بإتمام ما شيده أبوه من مباني وبإصلاح ما لم يتسع له وقت "حور إم حب" و"رمسيس" الأول إصلاحه، إلا أنه فوجئ بأحداث جعلته يولى اهتمامه نحو السياسة الخارجية و بهذا انطلقت حملاته إلي آسيا ثم على غرب مصر والنوبة.

في العام الأول من حكمه انطلق بأولي حملاته إذ نشبت في آسيا ثورة امتدت إلي حدود مصر الشرقية واستيلاء بدو الشاسو على الحصون الحربية الممتدة على طول طريق حورس الحربي، من القنطرة إلي غزة، ثائرين ضد النفوذ المصري. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي حدث فيها مثل هذا الأمر فقد سبق وأن ثاروا من قبل في عصر "تحوتمس" الثالث. كانت ثورة هؤلاء البدو لا تشكل أي خطر على مصر، إلا أن "سيتي" الأول وجد فيها

---

[1] Stadelmann, R., LÄ V, p. 911 - 917 (bibliogr.) ; Brand, P. J., *The Monuments of Seti I. Epigraphic Historical and Art Historical Analysis: Epigraphic, Historical and Art Historical Analysis*, Leiden 2004.

[2] Dodson, A., Hilton, D., *TheComplete Royal Famillies of Ancient Egypt,* Cairo 2004, p.162 (photo)..

[3] *KRI* II,. 287 - 288 (71)

[4] Vandersleyen, C., *L'Égypte et la Vallée du Nil* II, 1995, p. 496 - 497.

فرصة سانحة ليثبت للجميع مدى قوة الفرعون الجديد وجيش مصر الذي طال غيابه عن آسيا. بدأ حملته باستعادة الحصون التسع[1] وواصل السير إلي كنعان حيث اجتمع الآموريون والأراميون في حلف قوي ضد مصر، مما يجعلنا نظن أن ثورة بدو الشاسو كانت مفتعلة هدفها شغل مصر عن الخطر الحقيقي الكامن في كنعان وسوريا.

خرج الملك على رأس هذه **الحملة الأولى** يرافقه على ما يبدو، ولي عهده وشريكه في الحكم فيما بعد، الملك "رمسيس" الثاني؟[2] وقضى "سيتي" على بدو الشاسو واسترد الحصون كما حفر الآبار ووضعها تحت الحراسة. وعلى الجدران الخارجية لصالة الأعمدة بمعبد الكرنك نقش "سيتي" الأول نقشا يمثل ما يشبه خريطة حربية لصحراء سيناء وضح عليها أسماء الحصون التي أعاد الأمن إليها وتقع بين حصن " ثارو " ومدينة "پا كنعان"[3].

وصل "سيتي" إلي كنعان وهناك وجد الملك نفسه أمام حلف خطير من الأمراء العاموريين (الأموريين) والآراميين مؤيدين بخيتا. وكان تصرف "سيتي" فيه ما يليق بملك مصر إذ" أرسل جلالته قوات خاصة إلي "بيت شان" (بيسان) و"رحب" وهناك هاجمهم حلف من جند "حماة" و"پلاّ" منضم إليهم عصابات من "العبيرو". أما جيش رع فاتجه إلي "بيت شان" (بيسان) و جيش آمون اتخذ طريقه إلي "حماة" وجيش ست سار إلي مدينة " ينعم " بل وفيما بعد تقدموا شمالا واستولوا على عكا وصور ثم توغلوا أكثر في لبنان، وفي طريق عودتهم استولوا على "پلاّ"[4].

ويفهم من النص أن جيوش الأعداء كانت متفرقة فلو إنها كانت مجتمعه لشكلت خطرا كبيرا على المصريين، وهو ما أدركه "سيتي" الأول لهذا عزم على محاربتهم متفرقين قبل أن يجدوا وقتا لاتصالهم وتنظيم صفوفهم. ونجحت هذه الخطة الجريئة نجاحا تاما[5].

يستثمر "سيتي" الأول انتصاراته فيقوم في العام التالي بالحملة **الثانية** على آسيا هدفها قادش[6]. وبعد أن اطمئن على الأوضاع هناك يتجه نحو الغرب من مصر في حملة **ثالثة** ظافرة،

---

[1] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، تاريخ مصر القديمة، القاهرة ١٩٨٩، ص ٣٢١.

[2] Desroche Noblecourt, C., *Ramsès II. La Véritable Histoire*, Paris 1996, p. 87. =قد يكون هذا المنظر خاص بحملة لاحقه؟

[3] K*RI* I, 6 – 8, = انظر ملاحظة كلود فاندرسلين :
Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée* du *Nil* II , Paris 1995, p. 500

[4] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ٣٢٢.

[5] اتيين دريوتون وجاك فندييه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص ٤٦٨ – ٤٦٩.

[6] عثر على لوحة لـ "سيتي " الأول على لوحة هناك. أنظر .PM VII, p. 391

أوردتها النقوش والمناظر الخارجية لصالة الأعمدة بالكرنك، ضد التحنو[1] ولكن الأوضاع حتمت حملة أخري على آسيا.

قام "سيتي" بالحملة **الرابعة** على آسيا التي نفتقر إلي تفاصيلها وإن تظهر نقوش ونصوص الكرنك الملك يحارب الحيثيين، وكان هذا أول التحام بين جيوش خيتا والمصريين. وبعد اعتراف " بنتسينا" ملك الأموريين بسيادة مصر يتم أسره بواسطة الحيثيين ليحل محله على العرش أمير يدعى " سابيلى "[2]. وتمدنا رسائل بوغازكوى بنتائج هذه الحملة الأخيرة التي يقوم بها "سيتي" الأول على آسيا ونزاع مصر والحيثيين. تذكر نصوص ونقوش جدران الكرنك أيضا أخبار هذه الحملة التي يواجه فيها "سيتي" الأول الحيثيين، وتقع هذه المعركة في مكان لم يحدده النص. وينتصر "سيتي" الأول في هذه المعركة انتصارا هزليا بعيد كل البعد عن القضاء على قوة الحيثيين، فمن المعروف أن ملك مصر لم ينجح في فتح سوريا وبقى نفوذ الحيثيين راجحا في سوريا رغم هزيمتهم في قادش، ومن المرجح أن نفوذ "سيتي" الأول أمتد إلي جنوب قادش. ولم تنتهي الاشتباكات إلا بتوقيع معاهدة صلح مع الحيثيين التي سرعان ما تنهار في عهد ابنه وخليفته الملك "رمسيس" الثاني[3].

اهتم "سيتي" الأول مثل "حور إم حب" في تنظيم الأحوال الداخلية في مصر، فأصدر مرسوما كان الهدف منه أساسا حماية مؤسسة دينية في أبيدوس ضد استغلال أو اغتصاب موظفي الحكومة لممتلكاتها، وهذا يوضح ضعف النظام بين موظفي الدولة كما وضحها مرسوم "حور إم حب" من قبل والذي يبدو أنه لم يحسم الأمور.

ولجأ "سيتي" الأول في مرسومه إلي نفس العقوبات القاسية ليعطيه الأهمية المطلوبة، كما لجأ إلي السحر لمعاونة القانون. ويذكر المرسوم أنه إذا عرف شخص عادي بوقوع جريمة ولم يبلغ عنها، وأن كانت الآلهة هي وحدها التي تعرف هذا التدليس، فسيطارده الإله أوزوريس هو وزوجته وأولاده، ليقضى على اسمه، ويحطم روحه، ويمنع مومياءه من أن تستقر في الجبانة.

وشمل مرسوم "سيتي" الأول استنزال اللعنة على الفراعنة، الذين لا يعلمون بما جاء فيه، فان هؤلاء الفراعنة سيكونون مسئولين عنه أمام الآلهة الذين " سيحمرون (غضبا) مثل شعلة

---

[1] Vandersleyen, C., *op: cit.*,p. 503 and n. 1.

[2] اتيين دريوتون وجاك فندييه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص ٤٧٠.

[3] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، نفس الرجع، ص ٣٢١ – ٣٢٢ والخريطة شكل ١١٣.

النار ويحرقون جسد الذين لا يستمعون إلي أنهم سيهلكون من يجترئ على أعمالي، وسيقدمونه لقاعة الحساب في العالم الأخر"[١].

ونستدل من هذا على ضعف كلمة الفرعون الذي يلجأ إلي النصوص السحرية وإلي الآلهة يسألهم إنزال اللعنة حتى تحترم كلمته ويحتفظ بنفوذه.

وبعد أن اطمأن الملك إلي استقرار الأحوال في آسيا انصرف إلي إصلاحاته الداخلية وإلي البناء والتشييد، ومن أهمها معبده العظيم والأوزَريون بأبيدوس. كما نذكر أعماله في الكرنك وخاصة صالة الأعمدة الكبرى ومعبده الجنائزي في غرب طيبة (معبد الشيخ عبد القرنة)، ومقبرته في وادي الملوك التي تعتبر نقوشها من أعظم ما رسم وأبدع فنان هذا العهد وهي المقبرة رقم ١٧ KV التي تعتبر أيضا من أهم مقابر هذا الوادي.

أهم ما يستلفت النظر في فن عهد "سيتي" الأول هو أنه يعتبر استمرار للمدرسة الفنية التقليدية التي وصلت إلي أروع مستوى في عصر "أمنحوتب" الثالث وأخرجت لنا في عهد "سيتي" روائع فنية هي من أجمل ما وصل إلينا في عصر الدولة الحديثة. وجدير بالاهتمام أن نذكر أنه في عصر "سيتي" الأول ظهر لأول مرة مناظر المعارك الحربية وهي تغطى جدران المعابد الضخمة وتسجل لنا حملاته في آسيا، بعد أن عرفناها من قبل حين ظهرت لأول مرة على العربة الحربية الخاصة بـ "تحوتمس" الرابع وعلى صندوق ملابس "توت عنخ آمون".

أما النوبة فقد نالت من اهتمامه الكثير سواءً بالاستغلال الاقتصادي، البناء والتشييد ولكن أيضا بقمع التمرد والثورات في "إيرم" وغيرها، قام "سيتي" بحملة واحدة إن لم تكن اثنتين.[٢] فقد قام "سيتي" في العام الثامن[٣] من حكمه بحملة عسكرية هامة على "إيرم"، أرخت لها نصوص لوحتي "العمرة الغربية" و"صاي"، إذ خرج الملك على رأس جيشه يرافقه نائب الملك في النوبة "آمون إم إيبت" وكان انتصار جيش مصر فيها ساحق[٤].

وفي سنوات الهدوء اهتم "سيتي" الأول بإرسال الحملات لاستغلال مناجم الفيروز في سيناء، وإعادة استخراج الذهب من مناجم النوبة. وترجع إلي عصره أقدم خريطة تحدد الطرق

---

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٨٨ – ٣٨٩.

[٢] Vandersleyen, C., *op. cit.*,p. 503 and n. 2, 504.

[٣] Vandersleyen, C., *op. cit.*,p. 503 and n. 3.

[٤] Vandersleyen, C., *op: cit.*,p. 504.

التي تقود إلي تلك المناجم خاصة تلك التي تقع في وادي العملاقي بالنوبة داخل حدود الجندل الأول وهي بردية تورين. كما اهتم "سيتي" الأول أيضا باستغلال محاجر الصحراء الشرقية وحفر الآبار فيها بئر وادي عباد والذي شيد إلي جانبه معبدا صغيرا معروف باسم معبد " الرديسية ". ترك "سيتي" الأول آثار أخرى في أسوان وفيله وصاي وبوهن وكوبان وسيسبى وجبل برقل ونورى، كما عثر له على آثارا في "بيت شان"، كما عثر على اسمه على صخور منجم النحاس بـ تِمنا ٢٥ كيلومترا شمال خليج العقبة، كما شيد مقر إقامة له في منف وقنتير[١].

كان "سيتي" الأول متزوجا من السيدة " تويا " رزق منها بولدين وبنت.[٢] ومات ولده الأكبر "رمسيس أ" في سن مبكرة[٣] وبعد وفاة "سيتي" آل العرش إلي ابنه الثاني "رمسيس" الذي أشركه معه في الحكم عدة سنوات. دفن "سيتي" الأول في مقبرته الفخمة بوادي الملوك KV 17، ويحتفظ المتحف المصري بمومياء هذا الملك العظيم.

رمسيس الثاني[٤]

[١] Vandersleyen, C., *op: cit.*,p. 507.

[٢] Dodson, A., Hilton, D., *The Complete Royal Famillies of Ancient Egypt*, Cairo 2004, p. 160 -161

[٣] Dodson, A., Hilton, D., *op. cit* , p.163.

[٤] Kitchen, K. A., *Pharaoh Trimumphant. The Life and Time of Ramesses II, King of Egypt*, Warminster 1983.

١٢٧٩– ١٢١٣ ق.م



تمثال الملك "رمسيس" الثاني

متحف تورين 1380[١]

نقلا عن موقع *www.sachmet.ch/*

اعتلي "رمسيس" العرش بعد أن شارك أباه في الحكم العديد من السنوات مكتسبا خبرة كبيرة في النواحي العسكرية وأمور الحكم.

وكان "رمسيس" الثاني عندما توفي أبوه الملك العظيم، أميرا شابا لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره إذ نراه ممثلا على جدران معبد بيت الوالي في النوبة حيث ذهب أثناء حكم "سيتي" الأول لتلقى الجزية أو للقيام بمهمة حربية إذ نراه على عربته الحربية يتبعه الأميران ("آمون حر ون إم إف" و"خع إم واست") وفي منظر آخر يظهر جالسا في مقصورة يتلقي الجزية وأمامه ابنه الأمير "آمون حر ون إم إف" والوزير ونائب الملك "آمون إم إيبت"[٢].

[١] تمثال من الجرانيت الأسود، ارتفاعه ١٩٤ سم . يمثل الملك جالسا يحيط به الملكة "نفرتاري" وابنهما الأمير "آمون حر خبش إف"، عثر عليه بالكرنك:

Vandier, J., *Manuel d'archéologie égyptienne III, Les grandes époques. La statuaire*, Paris 1958, pl. CXXLI 1, 3.

[٢] PM VII, p. 23 (6 – 7); Desroche Noblecourt, C., *Ramsès II. La Véritable Histoire*, p. 89 – (90 photos)

بدأ "رمسيس" حكمه بالاهتمام بشئون مصر الداخلية فأكمل ما كان قد بدأه أبوه من مباني مثل معبد أبيدوس ومعبد الشيخ عبد القرنة وأيضا بعض المباني الأخرى في الكرنك أهمها صالة الأعمدة الشهيرة التي بدأها "رمسيس" الأول.

وعنى"رمسيس" الثاني أيضا باستغلال المحاجر واستخراج المعادن المختلفة في المناجم في مصر والنوبة. ولما اطمأن إلي سير الأمور قرر القيام بجولة في آسيا وكان هذا في العام الرابع من حكمه، إلا أن حدثا ما وقع خلال هذه الرحلة مما جعله يصطدم بملك " خيتا ".

ومن المعروف أن نهاية حكم "سيتي" الأول لم تتميز بأي حرب ومن المرجح أن معاهدة صداقة قد عقدت بين مصر والحيثيين، وظل كل من الخصمين على موقفه، إلا أن فترة السلم الطويلة التي تلت هذه المعاهدة كانت في صالح بلاد " خيتا " أكثر مما كانت في صالح مصر لبعدها عن سوريا الذي حال بينها وبين تدارك حقيقة الأمور.

حملة العام الرابع، المحتملة، على آسيا

قام "رمسيس" برحلة إلي فلسطين وصعد بحزاء الشاطئ إلي قرب " چبيل " وترك لوحة مؤرخة ربما بالعام الرابع التي عثر عليها بالقرب من نهر الكلب، بين بيروت وچبيل[١]. ولكنها دمرت الآن. من الواضح أن "رمسيس" الثاني أراد أن يطمئن إلي جانب إقليم الشاطئ ليأمن جانبه كما فعل من قبل "تحوتمس" الثالث و"سيتي" الأول.

قادش[٢]

سيطرت على الشرق الأدني القديم، حوالي عام ١٢٧٤ ق.م، قوتان عظمتان: مصر في الجنوب والحيثيون (خيتا) بآسيا الصغرى في الشمال.

وفي أثناء ما كان "رمسيس" الثاني يوطد نفوذه في نواحي "چبيل"، ألف ملك الحيثيين "مواتالي" ضد مصر، حلفا قويا ضم فيه أكثر من عشرين إمارة وشعب، وعدته جزر بحر ايجه وإمارات آسيا الصغرى وسوريا الشمالية بالعتاد والرجال. وكما حدث في عهد "سيتي" الأول اتجه المتحالفون نحو **قادش،** حاليا "تل نبي مند" التي تقع في الزاوية التي تتكون من المصب الشمالي

---

[١] *KRI* II, 1; PM VII, p. 385.

[٢] انظر ملاحظات أحمد قدري حول هذه المعركة: أحمد قدري **ترجمة مختار السويفي** ومحمد العزب موسي، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية مشروع المائة كتاب القاهرة ١٩٨٥، ص ٢٤٣ – ٢٥٣.

لنهر العاصي(الأورنت) ورافد الموقادية الذي يأتي من الغرب[١]. وقادش إمارة ذات موقع حصين إلي جانب أنها كانت تعتبر بوابة سوريا الشمالية وما يليها من بلاد. ولما نمي إلي علم "رمسيس" الثاني أمر هذا التجمع أمر في العام **الخامس** من حكمه[٢] بتجهيز أربعة جيوش: جيش آمون الذي كان تحت قيادته المباشرة وجيوش رع، بتاح وست وإلي جانب هذه الجيوش النظامية، كانت هناك فرق من المرتزقة من الشردن والعاموريين (الأموريين) أنطلق بهم نحو "جاهي" في حملة أطلقت عليها النصوص اسم "الحملة الثانية" [٣]. وبعد أن مر الجيش المصري بحصن "ثارو" ووصل إلي كنعان متخذا نفس الطريق الحربي القديم، الذي اتخذه أسلافه مرارا، ومن هناك عبر سلسلة جبال الكرمل عبر أحد ممرت إلي سهل جزريل إلي جنوب الليطاني وسهل البقاع متقدما إلي جنوب قادش ومنه يتجه شمالا إلي "شابتونا"[٤]. وبينما كان الملك قريبا من "شابتونا" قبض جنوده على رجليين من بدو الشاسو أرسلهما " مواتالي " ليضللا الملك المصري برواية أخبار كاذبة له. وبعد أن استجوب المصريون الجاسوسين تظاهرا بالإعتراف وروا له كذبا أن الأعداء قد تقهقروا بجيوشهم إلي نواحي حلب[٥] خوفا من جيوش مصر، فصمم "رمسيس" الثاني على متابعة خصومه. فعبر نهر العاصي بجيش آمون الذي كان بمثابة حرسه الخاص وكان يتبعه عن قرب جيش رع أما جيش بتاح وست فقد كانا بعيدين لحد كبير عنه. وكان في عدم انتظار "رمسيس" الثاني لباقي الجيوش لحشدهم ضد العدو خطأ تكتيكيا كلفه الكثير كما سنرى فيما بعد، ولكن يلوح لنا أن "رمسيس" لم يرتاب قط في صدق كلام الجاسوسين كما أنه لم يهتم اهتماما كبيرا بتقصي أحوال العدو.

---

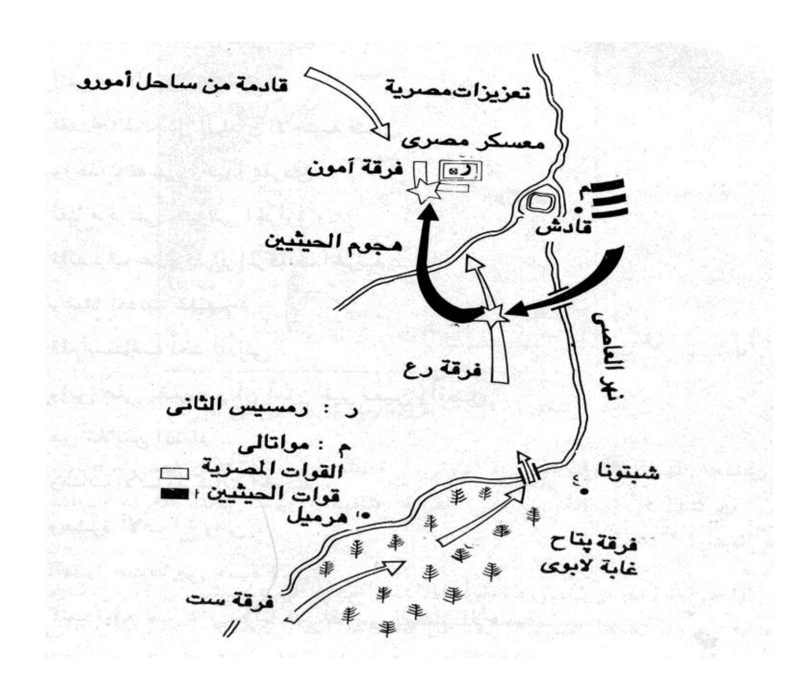
[١] رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة ٢، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب عدد ٢١، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٤٤.

[٢] معركة العام الخامس، قادش، هي أكثر أحداث التاريخ المصري القديم تأريخا. سجلها رمسيس الثاني على جدران معبده: أبيدوس، الرنك، الأقصر، الرامسيوم وأبو سمبل،و ثلاث برديات: رافيه – ساليه ٣، شستر بيتي، ظهر ٢ – ٣؛ شستر بيتي، ظهر ١. انظر K*RI* I, 2.

[٣] K*RI* II, 102 § 3.

[٤] اسم لمدينة لم يتم التأكد من مكانها وإن كان (*L Ä* V, 33 – 34) يحددها بتل مَعيان وأنظر أيضا : Vandersleyen, C., *op: cit.*,p. 526 n.4.

[٥] يوضح كلود فاندرسلين (Vandersleyen, C., *op: cit.*,p. 528.) أن حلب هذه تقع بالقرب من تونيبب وعلي هذا تكون حلب المقصودة هنا غير حلب المدينة السورية المعروفة.



معركة قادش: تحركات الجيوش

نقلا عن نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، تاريخ مصر القديمة، ص ٣٣٢.

وبعد أن عبر الملك المصري بجيش آمون نهر العاصي ووصل بالقرب من قادش، وهو غير مرتاب، وأثناء ما كان جند جيش آمون يقيمون معسكرهم في الشمال الغربي من قادش تم القبض على جاسوسين من الحيثيين وبعد أن تم تعذيبهم ضربا اعترفا بأن الجيش الحيثي قريب جدا من موقع "رمسيس" الثاني، مختبئ خلف قادش القديمة؟ ومستعد للقتال، وأثر هذه المعلومات الجديدة أرسلت الرسل في محاولة لجمع باقي الجيوش خاصة جيش بتاح الذي كان ما يزال متأخرا في الجنوب من "شابتونا". وتتوالي الأحداث بسرعة كبيرة، وكان "مواتالي" واضع خطته على الإنفراد بجيوش "رمسيس" كل على حِده وعدم لقائهم مجتمعين كما فعل من قبل "سيتي" لأول في حملته الأولي على آسيا والتي اشترك فيها "رمسيس" نفسه[١]. وقام العدو بحركة التفاف وانسحبوا وراء قادش وهجمت فرق من العربات الحربية الحيثية في هجوم مفاجئ على جيش رع مشتتة شمله ثم اتجهت نفس الفرقة إلي الغرب من قادش وهددت جيش آمون مما أحدث اضطرابا كبيرا في صفوفه خاصة وأن الجند كانوا ما زالوا يقيمون معسكرهم والملك نفسه كان مجتمعا بمستشاريه. ووجد "رمسيس" نفسه وحيدا فاندفع دون تردد بين المهاجمين وصمد في شجاعة نادرة أسهبت في وصفها النصوص. ويروى لنا هذه القصة نصا مصري معروف باسم قصيدة "بنتاؤر"[٢]، ولكن بدون شك لم يكن "رمسيس" وحده تماما بل كان هناك أيضا من قاوم أو

---

[١] ارجع إلي ص ١١٣ من الكتاب.

[٢] KRI II, 3 – 101, specially 39,13-44, 5.

دافع عن نفسه على الأقل، ولا بد أنه كان يحيط به مجموعة من حرسه الخاص ورجال آخرون من جند جيش آمون تعضدهم المجموعة التي أطلقت عليها النصوص اسم "نعارين من بلاد عامور"[١]. ويروي النص أنه عندما وقع في الكمين وجد نفسه محاطا بـ " ألفين وخمسمائة من مركبات محاربي العدو وحلفائه من بلاد: أرزاوا وميسيا وبداسيا وكشكش وأرون وكيزوودانا وحلب وأوجاريت، إرونا وقادش ولوكيا وقرقميش ونوجس وغيرهم". ابتهل الملك إلي آمون فجاء إلي معونته: " وجدت الألفين وخمسمائة مركبة التي كنت في وسطها أصبحت أكوام من الجثث أمام خيلي". ولما رأى ملك خيتا ذلك، أرسل عليه موجة أخري من المهاجمين: " الأمراء العديدون، ومع كل منهم مركباته والكل مسلحون بعتادهم الحربي(أمير) أرزاوا، (أمير) ميسيا، (أمير) أرون، (أمير) ليكيا و(أمير) دارادانيا و(أمير) كشكش و(أمير) قرقميش، (أمير) كيليكيا و(أمير) حلب وأخو ملك خيتا مجتمعين معا وكان مجموعهم ألف مركبة حربية " وهجم "رمسيس" الثاني ست مرات متتالية على العدو، وجعل سهل قادش أبيض اللون من كثرة الجثث التي غطته وذلك قبل أن يتمكن الجيش المصري المبعثر من الوصول إليه في المساء.

وفي اليوم التالي تحسن وضع المصريين بوصول جيشي بتاح وست فصد الأعداء وحول بذلك الهزيمة إلي انتصار نسبى، فبدون شك أن "رمسيس" استطاع بمهارة وشجاعة إنقاذ الموقف. وإذا كان قد استطاع أن يسد طريق الجنوب أمام ملك الحيثيين " مواتالي " وهو في حد ذاته نتيجة هامة إلا أنه لم يستطع الاستيلاء على قادش ولا التقدم نحو الفرات الذي كان ودون أدنى شك من أهدافه، إلا أنه أثبت شجاعة نادرة ونجح في جمع جيوشه مرة أخري مهددا العدو، مما دعا إلي طلب الهدنة ووقف القتال. وبعد استشارة رجاله، قبل الهدنة، وسار بجيوشه عائدا إلي مصر وهو بعيد عن تحقيق نصر حقيقي على الحيثيين[٢].

قد رأينا كيف حول "رمسيس" الثاني النجاح البسيط وبالغ فيه وعظم شأنه في النهاية نصرا شخصيا عظيما نشره على واجهات معابده بالكرنك والأقصر والبر الغربي وأبيدوس وأبو سمبل، وربما في الدلتا أيضا، وذلك ليجعل من كثرة الإعلان وسيلة لتغطية تقصيره، وتحويله إلي نصر عظيم.

وعلى العكس من هذا جاء في المصادر الخيتية أن النزاع بين مصر وخيتا كان سببه أن كلا من الطرفين أراد فرض السيطرة على بلاد العموريين. وبينما تتحدث النصوص المصرية

---

[١] Vandersleyen, C., *op: cit.*,p.528 -529 and n. 1.

[٢] *KRI* II, 92, 6 – 95, 11.

عن النصر العظيم، تتحدث نصوص خيتا عن هزيمة المصريين الذين لاحقتهم الجيوش الخيتية حتى دمشق.

وهنا وجدنا أنفسنا أمام قولين مختلفين، إلا أننا نميل إلي تصديق المصادر الخيتية وذلك لأن مملكة عامور أصبحت بعد تلك المعركة، موالية لخيتا وحل " شابيلى " محل " بنتشينا " الملك السابق وأقام في "قطنا" معترفا بسيادة ملك خيتا.

وفي الأعوام التي تلت معركة العام **الخامس**، قادش، قاد "رمسيس" الثاني حملات أخرى على سوريا وفلسطين، واحتل عسقلان وخرب عكا " حتى إذا رآها أمراء قادش يقع في قلوبهم (الخوف) منه، وهذا لإخماد الفتن التي امتدت إلي حدود مصر.

واظهر "رمسيس" الثاني في تلك المعارك شجاعة فائقة فقاد على إحدى المدن السورية استمر ساعتين دون أن يرتدى الدرع الواقي، واستمر قتاله على طول الطريق من جنوبي فلسطين حتى شمال سوريا، ويدل هذا على مدى الصعوبات التي كانت تعترض إنشاء حدود أمنه والمحافظة عليها.

وبعد هذا الوضع الجديد ونمو نفوذ الحيثيين وسيطرتهم على العاموريين (الأموريين) لذا كان على "رمسيس" الثاني العودة مرة أخري إلي فلسطين وسوريا.

وحدث هذا في حوالي في العام **السابع** من حكمه اتجه عائدا إلي سوريا، إذ كان عليه الوضع في الحسبان مملكتي "موآب"[١] و"أدوم صير" أو "أدوم"[٢] الموالتين للحيثيين، بالإضافة إلي بدو الشاسو التي استمروا يغيرون على كنعان[٣]. قسم "رمسيس" الثاني قواته إلي جيشين، يقود أحدهما الأمير "آمون حر خبش إف" الذي طارد بدو الشاسو في صحراء النقب حتي البحر الميت مستوليا على "أدوم صير" متقدما إلي "موآب" وواصل تقدمه إلي Btrt "بترت" [٤]. واتجه

---

[١] تقع شرق البحر الميت. أنظر هـ. هـ. رولي، أطلس الكتاب المقدس، بيروت ١٩٨٣، ص٢٥.

[٢] كان تخمها الشمالي وادي "زارد. المرجع السابق ص ١٠.

[٣] نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، تاريخ مصر القديمة، ١٩٩٣، ص ٣٣٣.

[٤] في رسالة دكتوراة حديثة تمت مناقشتها بهولنده عام ٢٠٠٣ بجامعة Rijksuniversiteit Groningen بعنوان:
Eveline Johanna van der Steen, *Tribes and Territories In Transition. The central east Jordan Valley and surrounding regions in the Late Bronze and Early Iron Ages: a study of the sources*, 2003, p.15.=
= استعرضت الباحثة الأراء المختلفة في تحديد مكان هذه المدينة التي اصطلح العديد اعتبارها مدينة Raba Batora أو "ربة بتورا" (نقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتي، نفس المرجع، ص ٣٣٣)إلا أنها اشارت إلي دراسة حديثة اقترحت مكان آخر هو "جبل بترا".
انظر: Worschech, U., “Egypt and Moab”. *BA* 60,1997,229-236.

الملك "رمسيس" الثاني على رأس الجيش الثاني إلي أورشليم وأريحا ويدخل "موآب" من جهة الشمال، ويستولي على "ديبون"[1]، ليلتقي في النهاية بقوات الأمير "آمون حر خبش إف" ليزحفا معا على "حشبون"[2] ودمشق عبر عامون[3]، ثم يستوليا على "كوميدو" (*Kâmid el-Lôz*)[4] وبذلك تعود من جديد لمصر، السيطرة على إقليم " أُبي ".

و في حوالي **العام الثامن** نجح "رمسيس" الثاني في إعادة السيطرة المصرية على بعض الإمارات العامورية خاصة "تونيب" و " دبور" المسجلتين بالنصوص والمناظر على جدران معبد الرامسيوم.[5] ونجح "رمسيس" في استعادة مصر لسيادتها على تلك البلاد وعلى الشاطئ الفينيقي وربما على بعض جزر البحر المتوسط، مما أعاد لمصر أمجادها القديمة وأصبح "رمسيس" الثاني بعد هذه الحملة، جدير بلقب الملك المحارب.

وعلى جدران الرامسيوم وردت في النصوص أشارت تدل على خضوع خيتا ونهرينا أو بلاد النهرين، رتنو وقطنا، وكان هذا على وجه التقريب صحيحا. وأضاف إلي هذه القائمة أسماء كريت، وقبرص وبابل وأشور، وهي بلاد لا شكك، أن الملك لم يتغلب عليها لكنها ربما كتبت أسماؤها لأنها أرسلت إليه الجزية في محاولة منها إرضاء المنتصر.

وفي نهاية الأمر أدرك المصريون والحيثيون أنه لا طائل من وراء حروبهم المتتالية، وأن الأولى بهم المحافظة على قوتهم العسكرية وتوجيهها لصد هجمات شعوب البحار. وهكذا أبرمت مصر وخيتا معاهدة صداقة وعدم اعتداء هي الأولي من نوعها في تاريخ البشرية أدى لها أيضا خوفهم المشترك من قوة أشور المتزايدة .

وفي العام **الحادي والعشرين** من حكم "رمسيس" الثاني أرسل " خاتوشيلي " الثالث إلي الملك المصري رسولين يحملين صحيفة من الفضة نقش عليها نص المعاهدة. والصورة الأصلية بالخط المسماري وقد عثر على صورة منها حديثا في بوغاز كوى. وترجم النص إلي اللغة

[1] مدينة موآبية، ذبيان حاليا: هـ. هـ. رولي، أطلس الكتاب المقدس، بيروت ١٩٨٣، ص ١٦.
[2] عاصمة سيحون وحاليا حسبان: هـ. هـ. رولي، نفس المرجع، ص١٦.
[3] هي بلاد العمونيين شرقي نهر الأردن: هـ. هـ. رولي، نفس المرجع، ص٢٠.
[4] Ahituv, Sh., *Canaanite Toponyms in Ancient Egyptian Documents*, Jérusalem-Leyden 1984, p.127 – 128.
[5] PM II, p. 154 (33 – 35); Youssef and others, *Le Ramesseum IV*. Les batailles de Tounip et de Dapour, (CEDAE), le Caire 1977 ; KRI II,172 – 174.

المصرية ولدينا منه صورتان أحداهما منقوشة على جدران معبد الكرنك والأخرى نقشت على جدران الرامسيوم[١].

وجاء في النص المصري أن الملك الحيثيي " خاتوشيلي " أرسل رسلا " يطلبون الصلح " من "رمسيس" الثاني " ثور الحكام الذي جعل حده حيثما شاء في كل بلد"، ولكن النص الحيثى يذكر أن "رمسيس" هو الذي بدأ الاتصال بـ " خاتوشيلي" واقترح عمل معاهدة صلح بين البلدين. وهكذا أراد كل من الحاكمين أن يحتفظ لنفسه بكرامته كما ذكر كل منهما أنه وافق على طلب الأخر.

ويذكر جون ولسون[٢] أن المعاهدة حررت في الأصل باللغة الأكادية المسمارية، التي كانت لغة المراسلات الدولية في ذلك الحين، وأنها حررت أولا في العاصمة الحيثية بمعاونة سفراء مصريين وأن النص وصل فيما بعد إلي مصر، حيث أدخل عليه "رمسيس" الثاني بعض التعديلات التي رآها في مصلحة بلاده. ويمكننا أن نقسم هذه المعاهدة إلي خمسة أجزاء:

١) مقدمة تاريخية تشير إلي وجود حروب ومعاهدات سابقة بين مصر وخيتا، وأن خاتوشيلي الثالث و"رمسيس" الثاني يريدان السلام، وأنه تم تبادل اللوحين الفضيين المنقوش عليهما النص.

٢) أكد كل منهما عدم اعتداء أي منهما على الآخر وعدم الاعتداء أملاك مصر في سوريا وفلسطين و يشير جون ولسون، واعتبرت مصر أن بقية فينيقيا وفلسطين حتى جبال الجليلة من أراضيها. ويعتقد المؤلف أن هذا التقسيم يعتبر فرضا من الفروض، لا أكثر ولا أقل، وذلك لأنه غير مبنى على حقائق ثابتة[٣].

٣) تحالف دفاعي ضد عدو كبير، أي ضد قوة أخري تحاول الاستيلاء على أراضى إحدى الدولتين وهو ما يطلق عليه الآن "الدفاع المشترك".

٤) تسليم اللاجئين السياسيين إلي بلادهم، مع شرط حسن المعاملة.

---

١ *KRI* II, 225 -232; PM II, p. 49 (2); 152 (14).

٢ جون ولسون ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، القاهرة ١٩٥٥، ص ٣٩٧.

٣ جون ولسون ترجمة أحمد فخري، نفس المرجع، ٣٩٩.

٥) أسماء الشهود الذين شاهدوا التوقيع على المعاهدة، والشيء الغريب هنا أن هؤلاء الشهود لم يكونوا من الأفراد بل كانوا آلهة خيتا ومصر.

وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى أيام "مرنبتاح" الذي وصل جنوبا إلي الحيثيين لإنقاذهم من مجاعة.

وفي العام **الرابع والثلاثين** من حكم الملك "رمسيس" الثاني توج هذا السلام المصري – الحييثى بزواج "رمسيس" من ابنة ملك خيتا "خاتوشيلي" الثالث، الكبري المعروفة باسمها المصري "ماعت حور نفرو رع"[١]، وكان زواجا مثل زواج التحالف الذي تم في الأسرة الثامنة عشرة بين مصر وميتان. وللأسف لا نعرف اسم هذه الأميرة الأصلي ولكن ولم تكن لها نفس حقوق الزوجات الأوليات، كما نعرف أن "رمسيس" كان له عدة زوجات أخريات تذكر منهن الملكة نفرتارى الشهيرة، الملكة " إست – نفرت"، كما تزوج من ثلاثة من بناته هن: "مريت آمون"، "بنت عنات" ونبت تاوي" بالإضافة ثمانية أخروات محتملات[٢]. ورزق "رمسيس" الثانى بالعديد من الأبناء والبنات، حاول بعض المؤرخين حصر عددهم إلا أنه لم يمكن إلا الآن تقديم قائمة كاملة باسماء الأولاد ولا الزوجات، ونعرف من بينهم أسماء ٥٠ بنتا وحوالي ٥٠ ذكرا؟[٣] وكان أولاده الذكور يتقلدون جميعا مناصب هامة في الدولة، إلا أن أهمهم جميعا كان الأمير " خع – إم – واس " الذي شارك في معركة العام الخامس وأصبح في العام الثلاثون من حكم "رمسيس" وليا للعهد. وكان يشغل منصب كبير كهنة الإله بتاح في منف. كان " خع – إم – واس " من المهتمين بترميم الآثار في جميع أنحاء مصر حيث ترك اسمه دليلا على قيامه بأعمال الترميم وإصلاح مباني الأسلاف، إلا أنه لم يعمر طويلا ومات ودفن في قبر أعد له في جبانة منف وعلى مقربة من قرية نزلة البطران القريبة من أهرامات الجيزة، وكانت وفاة هذا الأمير في العام الخامس والخمسين من حكم والده "رمسيس" الثاني[٤].

فرعون الخروج

[١] Desroche Noblecourt, C., *Ramsès II. La Véritable Histoire*, Paris 1996, p. 339.

[٢] Fisher, M. M., *The sons of Ramesses II*, vol. I, 2001, p. 11.

[٣] Id., *op. cit*., p. 12; Dodson, A./ Hilton, A., *The complete Royal Famillies*., 2004, p. 160-161, and 166.

[٤] Gomaá, F., *Chaemwese Sohn Rames' II. Und Hoherpriester von Memphis*. *ÄAT* 2, 1973.

ونحن نتناول هذه الفترة من الحكم يأتي السؤال ليطرح نفسه هل "رمسيس" الثاني هو فرعون الخروج؟ وتأتي الإجابة سريعة لا، بدون شك لا.

حكم "رمسيس" الثاني مصر حوالي ستا وستين عاما وتولي الحكم وهو في العشرينات، أي عندما مات كان تقريبا في سن التسعين! فكيف يتأتي لرجل في التسعين من عمره أن يقود مركبة حربية يجرها جيادان ويخرج على رأس جيش راكضا وراء موسي عليه السلام وقومه؟ عبر الدلتا وأحراشها ليغرق في مياه البحر الأحمر وينجيه الله سبحانه وتعالي، بعد توبته، ببدنه ليكون عبرة للآخرين:

إذ قال تعالى: وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ صدق الله العظيم. (سورة يونس عليه أفضل السلام).

وفي هذه الآيات ما يدفعنا إلي سؤال آخر: هل مات "رمسيس" الثاني غريقا؟ لا لم يمت بإسفيكسيا الغرق. لقد خضعت مومياء الملك "رمسيس" الثاني، في الثمانينات من القرن الماضي لفحص علمي استمر شهورا عديدة تمت في متحف الإنسان بباريس وكان فيه ما ينفي وفاته غريقا، فقد مات من أمراض الشيخوخة[١]. وهكذا تنفي هذه الحقائق العلمية أنه "فرعون الخروج"، الفرعون الذي صبت عليه نصوص التوراة لعناتها، وصوره القرآن بالقسوة والجبروت تجاه موسي عليه السلام وقومه.

كان "رمسيس" الثاني ملك محارب وسياسي ماهر رأي في وجود نفوذ حيثيي متزايد في بلاد كنعان ما يهدد آمن مصر نفسها، فخرج لمواجهته بتصميم وقوة، وردع من بلاد كنعان من تمرد منهم على نفوذ مصر فقتل وأسر الآلاف كم قتل من المصريين أعداد كبيرة. هذه هي الحرب، ووجوده في بلاد كنعان وسوريا لم يكن إطلاقا للنزهة وهذا شئ لم يدعيه أبدا، فالحرب لها قوانينها التي لم تكن يوما رحيمة، فأنت فيها قاتل أو مقتول. ويكفي "رمسيس" الثاني فخرا أنه في الوقت المناسب، ترك السلاح ووقع اتفاقية سلام كانت الأولي من نوعها في تاريخ البشر.

[١] *La momie de Ramsès*II. Contribution scientifique à l'Egyptologie. Sous la direction de Lionel Balout et C. Roubet, avec la participation de Ch. Desroches-Noblecourt, etc., Paris, Editions Recherche sur les Civilisations (A.D.P.F.), 1985.

وقبل أن نترك هذا الملك يجب أن نشير إلي أنه مثل "أمنحوتب" الثالث، معروف بكثرة ما شيده من مباني وأقامه من تماثيل في جميع أنحاء مصر. نذكر منها أعماله في الكرنك، ومعبد الأقصر، وبنائه للرامسيوم، ومعبده في أبيدوس وما شيده أيضا في أسيوط والأشمونين والشيخ عبادة وأيضا في النوبة وأشهرها بيت الوالي ومعبدي أبو سنبل، وأيضا نالت االدلتا من اهتمامه الكثير فبني في: منف وهليوبوليس، وبنائه لمدينة أطلق عليها اسم " بر – رمسيس مري آمون " أي " مقر – رمسيس، المحبوب من آمون" ومكانها الآن تل الضبعة – قنتير[١] التي اتخذ منها مقرا له. وعرف "رمسيس" الثاني عن باقي أسلافه أنه استولي لنفسه على الكثير من آثار من سبقوه فأزال أسمائهم ووضع بدلا منها اسمه كما أعاد استخدام أحجار معابد أخناتون.

ومات "رمسيس" الثاني بعد أن حكم مصر عددا كبيرا من السنين يصل لحوالي ٦٦ عاما، مات فيهم أكثر أبنائه الكبار فتولي العرش من بعده ابنه الثالث عشر مرنبتاح من زوجته الملكية، "إست نفرت".

دفن "رمسيس" في قبر أعده لنفسه في وادي الملوك يحمل رقم KV 7، ويحتفظ المتحف المصري بمومياء هذا الملك العظيم الذي مازال اسمه يملأ الدنيا ويتردد في مسامع الناس.

مرنبتاح

١٢٣٤-١٢٢٤ ق.م

[١] Bietak, M., *LÄ* V, p.128-129.

في نهاية حكم "رمسيس" الثاني حدثت في منطقة البلقان والبحر الأسود حركة هائلة من الشعوب بدت آثارها بعنف في الشرق الأدنى حيث تدفق منها مجموعات كبيرة وانتشرت في آسيا الصغرى وجزر بحر أيجه وفي بلاد الإغريق وحتى في ليبيا. فما من دولة في العالم استطاعت وقف هذه التحركات، وكان الغزاة يصلون أفواجا مسافرين برا وبحرا على حد سواء، في صحبتهم نساؤهم وأطفالهم ومعهم أمتعتهم رغبة منهم الإقامة في بلد خصيب، وكانوا يتجهون جنوبا منتقلين من بلد إلي أخر هدفهم مصر.

وكانت خيتا أول بلد أصيبت في آسيا، خاصة وأنها كانت تمر بأزمة داخلية تلت موت "خاتوشيلي" الثالث، وهي التي سببت كل هذا التدهور السريع الذي أصاب البلد وأدي إلي وقوعه بسهولة، في يد القادمين الجدد ومن المحتمل أن خيتا حاولت في البداية أن تقاوم غزو شعوب البحر بل يبدو أنها نجحت نجاحا جزئيا. ومن المؤكد أن جماعات الهندوآرية تمكنت من الحاجز الذي أقامه الحيثيين أو الدوران حوله ووصلوا إلي سوريا أو فلسطين، وأنه كان في الإمكان إبعاد هذا السيل الجارف عن حدود مصر، لو أن "رمسيس" الثاني تدخل في آسيا متضامنا مع دولة خيتا في القضاء على هذا الخطر الجديد، ولكن الملك المصري كان في ذلك الوقت كهلا يبلغ أكثر من الثمانين عاما فلم يجد في نفسه القدرة على مواجهة مثل هذا الموقف وكان على خليفته "مرنبتاح" إنقاذ مصر من خطر محدق.

ولد الملك الجديد في هليوبوليس، وهو الابن الرابع للملكة "إست نفرت " والثالث عشر للملك "رمسيس" الثاني[١]. كان يبلغ الستين من عمره عندما آل إليه الحكم وأصبح فرعون مصر، عمل جاهدا على صد تيار شعوب البحر المتدفق على حدوده الغربية واستقرار أحوال آسيا والنوبة.

تناولت هذه الحروب عدة آثارعثرعليها في أماكن امتدت من شمال مصر(الدلتا) حتي أقصي جنوبها: لوحة أتريب (التي عثر عليها فعلا في الكوم الأحمر بالقرب من منوف)[٢]، كوم الحيتان والكرنك[٣]، عمودان أحدهما من هليبوليس [٤]، نقش مفقود الآن بمعبد ست سيد أمبوس / نوبت (نقادة)[٥]، وادي السبوع، لوحة عمدا ونقشي عَكشه والعامره غرب[٦].

---

[١] Vandersleyen, C., *L'Egypte et la Vallée du Nil*, Paris 1995, p. 557.

[٢] *KRI* IV, 19 -22.

[٣] PM II^2, p. 447 – 448; *KRI* IV, 12 -19.

[٤] *KRI* II, 23, 38 – 39.

[٥] Sourouzian, H., *Les monuments du roi Merenptah*, DAIK s 22, 1989, p.140 n° 79.

[٦] كل النصوص السابقة مؤرخة من العام الخامس ما عدا لوحة عمده التي تحمل تاريخ العام السادس. أنظر ملحوظة:
Vandersleyen, C., *L'Egypte et la vallée du Nil*, 1995, p. 560.

في العام **الخامس** من حكمه تحالفت بعض الشعوب الهندوارية مع بدو الصحراء الغربية على غزو حدود مصر من الغرب والاستقرار في الدلتا. وقاد هذا التحالف ضد مصر أمير يدعى " مريبى " ومع أفراد من خمس شعوب هندوآرية هم الأقوش، التورشا، اللوكى، الشرادنة، الشكلش وآخرون[1]، نفذوا إلي الدلتا مصطحبين النساء والأطفال واتجهوا نحو منف. ووصلوا إلي بقعة تدعى " بريرو" التي يرجح أنها كانت واقعة على حافة وادي النطرون إلي الشمال الغربي قريبا من منف. وكان الموقف خطيرا، ولما انذر "مرنبتاح" جمع جيشه وسار لملاقاة العدو واستمرت المعركة الحاسمة التي نشبت في " بريرو " حوالي ست ساعات وانتهت بنصر عظيم لمصر وفر التحنو بغير نظام تاركين في أيدي المصريين تسعة آلاف أسير وغنائم ثمينة. ووصفت النصوص المصرية أن زعيمهم اللبو والمشواش " مريى بن ددي" فر هاربا تحت جنح الظلام وحيدا بعد أن فقد ريشته وأضاع حليه[2]، وخلد مرنبتاح هذا الانتصار الباهر على عدة لوحات أحدهم، كما ذكرنا من قبل، ولكن أشهرهم أقامها في معبده الجنائزي، المدمر، بغرب طيبة، المعروفة باسم "لوحة إسرائيل" ومحفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة CGC 34025) (vso.

وربما في بداية حكمه خرج إلي آسيا لإخماد بعض الثورات هناك، فعلى لوحته الشهيرة باسم " لوحة إسرائيل " ذكر إلي جانب حملته على ليبيا ذكر أيضا انتصاره في آسيا على "ينعم" أصبحت كأن لم تكن، وإسرائيل أبيدت ولن يكون لها بذر وأصبحت "خارو" (أي فلسطين وما جاورها) أرملة لمصر[3].

وكانت هذه هي المرة الوحيدة الذي ذكر فيها اسم إسرائيل على الآثار المصرية، ومن المرجح أن تكون حروبه في آسيا تمت بعد الانتهاء من حملة العام **الخامس** على ليبيا.

ومات "مرنبتاح" بعد أن حكم مصر عددا قليلا من السنين لا يزيد عن عشرة أعوام، ودفن في قبره الذي أعده لنفسه في وادي الملوك وهو القبر رقم ٨ من ترقيم الآثار.

---

[1] Vandersleyen, C., *op. cit., p.* 569 - 571.

[2] *KRI* IV, 2, 12; 3, 16; 7, 4; 16, 6; 17, 6.

[3] Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature* II, 1976, p.77.

وقبل أن ننتقل في دراستنا إلي ملك آخر يجب أن ننوه هنا بكلمة عن ما تردد وكتبه مختلف الباحثين كتعليق على اسم " إسرائيل " [١] الذي ورد في نص لوحة المتحف المصريCGC 34025 vso الذي بناءً عليه حاول البعض منهم تأريخ خروج اليهود من مصر في عصر "مرنبتاح" أو قبله. ولكننا هنا نتفق مع جون ولسون[٢] حين يقول: " وظهور كلمة "إسرائيل " في سياق نص يتحدث عن آسيا أمر له أهميته، ولكن لا قيمة له كحقيقة تنبئ عن نزاع حربي ضد مصر، ولا تدل على شئ أكثر من أن أحد الكتبة المصريين كان يعلم بوجود شعب يسمى " إسرائيل " في مكان ما في فلسطين أو شرق الأردن". وهذا يعطينا مؤشرا هاما للتاريخ المحتمل لخروج بنى إسرائيل من مصر، والذي يجب أن يكون قبل عصري "مرنبتاح" وأبيه "رمسيس" الثاني، ويؤيد هذا الاحتمال بردية "سنوهي" التي تروي حدثا وقع في بداية الأسرة الثانية عشرة[٣].

تتفق قصة "سنوهي" في نواح كثيرة فهو أيضا من أفراد الحاشية الملكية لملك مصر، ويصف "سنوهي" نفسه بأنه كان من علية القوم فهو يحمل ألقاب: "ربعت حاتي عا"،[٤] مدير أملاك الملك في أراضي الأسيويين، المعروف حقا لدي الملك والرفيق المحبوب، "سا نهت"[٥] (سنوهي).

وتنتهي سلسلة ألقابه بكونه كان يشغل منصبا لصيق الصلة بابنة الملك "أمنمحات" الأول وزوجة الملك "سنوسرت" الأول، الملكة "نفرو"[٦]. وتتلخص قصة "سنوهي" بأنه كان يرافق ولي العهد "سنوسرت" وجيشه في مهمة لطرد التحنو من غرب الدلتا عندما سمع حديثا يدور خلسة عن وفاة الملك "أمنمحات" الأول وأن هناك شبه مؤامرة تحاك ليتم تأخير وصول النبأ لولي العهد حتى يتثني لأحد أخوته الاستيلاء على الحكم، وبدلا من أن يتصرف ويواجه الأمر بإبلاغ ولي العهد يهرب تاركا كل شيء وراءه دون سبب مفهوم. ويعبر "سنوهي" سيناء وجزءا من بلاد كنعان حيث ينزل ضيفا على أحد زعماء القبائل الذي يزوجه من إحدى ابنتيه ويليه قيادة جنده، وتحكي القصة كيف صارع أحد رجال رتنو الأشداء وقتله، وأنه تولي زعامة القبيلة بعد وفاة شيخها.وتمر الأيام بـ "سنوهي" الذي يشتد شوقه للعودة إلي مصر ليدفن في ترابها، فأخذ يرسل إلي الملك "سنوسرت" الأول طالبا العفو والمغفرة والإذن بالعودة إلي مصر حتى استجاب الملك

---

[١] يقترح الدكتور رمضان السيد(تاريخ مصر القديمة ج٢، مشروع المائة كتاب ٢١، هيئة الأثار القاهرة ١٩٩٣، ص ٣٦١ هامش ١٢٨) قرأة اسم "إسرائيل" بـ "يسيرارو" أو " يسيرالو".

[٢] جون ولسون، ترجمة أحمد فخري، الحضارة المصرية، القاهرة ١٩٥٥، ص ٤٠٧.

[٣] Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature* I, Univer. of California Press 1975, p. 222 – 235.

[٤] لا توجد ترجمة دقيقة لهذين اللقبين إلا أنه يمكن ترجمتهما بمعني "الأمير والنبيل ...".

[٥] معني الاسم ابن شجرة الجميز.

[٦] Dodson, A., Hilton, D., *The Complete Royal Famillies of ancient Egypt*, London 2004, p. 92 – 93.

وعفا عنه. ويعود "سنوهي" ويلقاه الملك والملكة وأولادهما مؤنبين سوء تصرفه. وهنا نري اتفاقا كبيرا في الخطوط العريضة للروايتين وإن اختلفتا في الزمن، فـ "سنوهي" عاش في أوائل الأسرة الثانية عشرة وكان معاصرا للملكين "أمنمحات" الأول و"سنوسرت" الأول، بينما موسي عليه السلام عاش، ربما ابان الدول الدولة الحديثة، أي تفصلهما عن بعض مئات السنين. وإذا صدق حدس العلماء وما لحظناه في نصوص القرآن الكريم من دقة في الإشارة إلي حاكم مصر في سورة يوسف عليه السلام بلقب "الملك" (آيات ٤٣، ٥٠، ٥٤، ٧٢ و٧٦)، أما الآيات التي تعرضت إلي قصة موسي عليه السلام فكانت الإشارة إلي حاكم مصر بلقب "فرعون" (سورة يونس آية ٩٠؛ سورة التحريم آية ١١؛ سورة غافر آية ٢٨؛ سورة طه آية ٤٣، ٦٠، ٧٧، ٧٨، ٧٩؛ سورة الفجر آية ١٠؛ سورة ص آية ١٢). هذا الإختلاف يطابق الحقيقة التاريخية إذ أن يوسف أتي إلي مصر في عصر يسبق عصر موسي عليهما السلام، عصر لم يكن يشار فيه إلي حاكم مصر بلقب "فرعون" وهو لقب ظهر في عصر لاحق يبعد عنه مئات السنين الذي توضح الحقيقة التاريخية ظهره خلال الأسرة الثامنة عشرة وبالتحديد في عهد الملك إخناتون من الأسرة الثامنة عشرة[١].

وقد ذكر من قبل أن المؤرخ اليهودي السكندري الإقامة يوسيفيوس، أراد أن يثبت أن الهكسوس هم بنو إسرائيل وبالتالي طبقا لروايته يكون هذا الخروج قد تم في عهد "أحمس". وعلى أية حال أن خروج هؤلاء القوم من مصر يجب أن يؤرخ في عصر الأسرة الثامنة عشرة، فيروي بعض الباحثين أنه تم في عهد "تحوتمس" الثالث أو في عهد ابنه "أمنحوتب" الثاني وقال البعض الأخر أنه حدث في عهد "أمنحوتب" الثالث ووصل الأمر ببعضهم بأنه اعتقد أن خروجهم تم بعد موت "أخناتون"، وهكذا أرادوا الربط بين خروجهم وثورة العمارنة الدينية. ولكن تحديد العصر الذي خرج فيه بنى إسرائيل من مصر مازال تحت البحث وحتى الآن لم يجد في الأمر شيء ولازالت المشكلة إلي الآن بغير حل.

لوحة عمدا هي الوحيدة التي أرخت لأنشطة "مرنبتاح" في الجنوب وذكرت دون تفصيل تدخل الملك في النوبة كرد فعل لما أخبره به أعوانه عن تحرك زعيم "واوات"[٢] التعس ضد مصر. ففي **العام الخامس** من حكمه، وبينما كان الملك في معارك طاحنة ضد التحنو جنوب منف، إلا أن أول شيء قام به عندما انتهي من معاركه في آسيا وضد التحنو، اتجه جنوبا إلي "واوات"

[١] Gardiner, A., *Egyptian Grammer.*, Oxford 1982, p. 75.

[٢] تقع واوات" بين الجندل الأول والثاني .

مكتسحا أهلها و أيضا قبائل "المدجاو"[١] ، وكان عقابهم شديدا وقاسيا، ربما كان أقسي ما عرفه سكان المنطقة مما أدي إلي هدوء تام في النوبة[٢].

وفي كلمة أخيرة عن "مرنبتاح" نذكر أن هذا الملك اهتم بتشييد كثير من المباني في مختلف أنحاء مصر. ولكنه أيضا ورث عن أبيه ميله إلي اغتصاب آثار غيره من الملوك، بل واغتصب أيضا الكثير من تماثيل أبيه "رمسيس" الثاني، ولكن هذا لا يمنعنا بأن نشهد أن "مرنبتاح" كان من الفراعنة الشجعان الذين لم يدخروا وسعهم في المحافظة على سلامة أراضى مصر رغم كبر سنه.

ومات "مرنبتاح" ودفن في قبر أعده لنفسه في وادي الملوك يحمل رقم KV ٨، ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بمومياء هذا الملك العظيم بل وآخر العظماء من ملوك أسرته.

خلفاء مرنبتاح

أو

[١] المدجاو، المدجا أو المدجاي سكنوا شرق النيل النوبي.

[٢] *KRI* IV, 34 – 36; Vanderseyen, C., *op. cit*., p. 568.

نهاية الأسرة التاسعة عشرة

مات "مرنبتاح" ودفن في قبره في وادي الملوك وترك مصر تمر بأزمة عائلية أدت إليها كثرة أخوة الملك الراحل الذين كانوا منذ عصر أبيهم "رمسيس" الثاني يحتلون مناصب هامة في الدولة مما أدى إلي التنازع على السلطة ومرور مصر بفترة من عدم الاستقرار والضعف.

تجلت هذه الأزمة العائلية في الغموض الذي يكتنف ترتيب الملوك الذين تولوا العرش بعد "مرنبتاح"، فالنصوص المصرية نفسها غير واضحة في هذا الصدد. ولكن علماء التاريخ المصري حاولوا باجتهادهم أن يقدموا ما قد يسد فراغا في دراستنا لتاريخ الرعامسة ويظهر ما يساعدنا على التوصل للترتيب الأقرب للصحيح لهؤلاء الملوك.

١- سيتي الثاني

٢- آمون مس

٣- سا بتاح

٤- الملكة تا أوسرت

سيتي الثاني

و

آمون مس

١٢٠٣ – ١١٩٤ ؟ ق.م

حكم عددا قليلا من السنوات إلا أنه منذ العام الثاني من حكمه ظهر في طيبة[١]، مغتصبا للعرش يدعى "آمون مس". امتد حكمه إلي بداية العام الخامس لـ "سيتي" الثاني، عادت بعده الآثار تؤرخ، مرة أخري، في طيبة باسمه. وكان هذا بمثابة انتهاء الحرب الأهلية ولكن الأزمات الداخلية استمرت حتى نهاية الأسرة[٢].

أما عن صلة القرابة التي ربطت بين "آمون مس" وأسرة "سيتي" الثاني فهي غير مؤكدة ولم يصل فيها المتخصصون إلي رأي وهذا لقلة الآثار واغتصاب الملوك لآثار بعضهم البعض. وقد عثر لـ "آمون مس" على القليل منها اغتصب بعضها من "مرنبتاح" و"آمون مس"، وكانت له إضافات بالأشمونين، الكرنك وصرح بدأه في معبد موت واستخراج أحجار من محاجر وادي الحمامات، كما عثر له على جعارين باسمه وجزء من خاتم أزرق[٣]. وحفر "سيتي" الثاني لنفسه المقبرة رقم KV 15 التي وقد يكون دفن بها وهو أمر غير مؤكد إلي الآن، إلا أنه يرجح دفنه لسبب نجهله في مقبرة الملكة "تا أوسرت" ولسبب غير معلوم لنا عثر عليه بالمقبرة KV 35 من نفس الوادي[٤].

سا بتاح

١١٩٤ – ١١٨٨ ق.م

---

[١] Van Dijk, J.in *The Oxford History of Ancient History*, Oxford 2000, p. 303

[٢] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 580.

[٣] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 581.

[٤] Reeves, N., and Wilkinson, R., *The Complete Valley of the Kings*, Cairo 1996, p. 152 – 153.

يتولي "سا بتاح" العرش بعد وفاة "سيتي" الثاني، وكان صغير السن، في العاشرة من عمره ومصابا بإعاقة كبيرة في قدمه فهو مصاب بشلل الأطفال. ولكن توليته للعرش صاحبها بعض المشاكل، فقد وصف المستشار "باي" نفسه، مرتين، بأنه هو الذي "وضع الملك على عرش أبيه". لكن من هو هذا "الأب"؟ وعلى ما يبدو أنه لم يكن "سيتي" الثاني، وكان على الأرجح، "آمون مس"، وأن "سيتي" الثاني و"تا وسرت " لم يبقي لهما أبناء على قيد الحياة ليرثوا العرش من بعده وعلى هذا يكون "سا بتاح" حفيدا لـ "سيتي" الثاني من أبنه المتمرد "آمون مس" الذي رزق به من زوجته الأخري "تا خوت" وعلى هذا يكون "سا بتاح" ملكا شرعيا من حقه وراثة العرش[١]. ولكن وجوده وضع حد لطموح الزوجة الملكية الكبري "تا وسرت " التي ادعت في نصوص مقبرتها إنها الوريثة الشرعية لعرش مصر. ولكن، على ما يبدو، أن المستشار "باي " الأسيوي الأصل، قد أقصاها ثم عادت هذه الطموحة بعد وفاة "سا بتاح" وحكمت مصر.

في الأعوام الأولي من حكمه تولي الملك باسم الملكي "رمسيس سا بتاح " ثم غيره، لأسباب لا نعلمها، إلي "مرنبتاح سا بتاح" وكان هذا في العام الثالث من حكمه. ومن الغريب أن أغلب آثار الملك عثر عليها في النوبة، ما عدا مقبرته في وادي الملوك رقم ٤٧ KV ومعبده الجنائزي بغرب طيبة والذي عثر منه فقط على ودائع الأساس الموقعة باسم المستشار "باي".

ومن الموظفين الكبار في عهد سا بتاح الذين لعبوا دورا هاما في هذه الفترة المستشار، حامل خاتم الملك " باي " الذي حافظ لـ "سا بتاح" على العرش كما جاء في أحد نقوشه: "حامل الخاتم الأكبر لكل البلاد بأكملها ومثبت الملك على عرش والده ". وضع " باي " اسمه على قطعة من الحجر ,على ألواح من الذهب وخواتم في ودائع الأساس التي وجدت للملك "مرنبتاح سا بتاح" مما يدل على أنه استمر في إدارة شئون البلاد فهو من" ثبت سيده على العرش " ويعتبر " باي " الموظف الوحيد الذي نال شرف الدفن مع الملوك في واديهم في المقبرة رقم ١٣.[٢]

ترك "سا بتاح" القليل من الآثار ولعل أهمها نقش بوابة في معبد عمدا حيث نقش على الكتف الأيسر "باي" راكعا أمام اسم "سا بتاح" وعلى الكتف الأيمن صورت الملكة "تا وسرت"

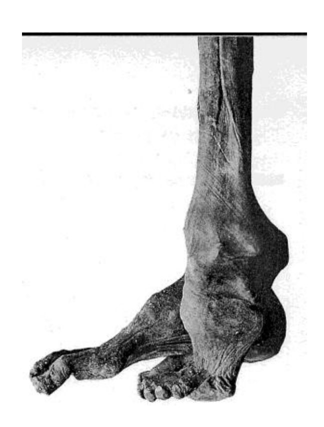
---

[١] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 582.

[٢] Reeves, N., and Wilkinson, R., *op.cit*, p. 154.

حاملة الصلاصل وكل من المنظرين مذيلين باسم قائد الجيوش في كوش، "بياي"[١]. ودلالة هذا المنظر أن الملكة "تا وسرت" احتفظت في عهده بألقابها ووضعها كزوجة ملكية.

وللأسف الشديد أننا لم نعثر إلا على القليل من النصوص الخاصة بهذا العهد لذا فإننا نجهل الكثير عنه وعما حدث فيه، وأهم ما عندنا من نصوص هو النص الخاص بالبعثة التي أرسلها إلي بوهن بقيادة "حوري" في العام السادس من حكمه.



قدم الملك "سا بتاح" المصابة

نقلا عن

Reeves, N., and Wilkinson, R., *The Complete Valley of the Kings*, p. 155.

مات "سا بتاح" شابا معاقا، عاش وحكم في حماية المستشار الغامض، الأسيوي الأصل؟ "باي" ودفن في القبر رقم KV 47 ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة بمومياء الملك.

الملكة تا وسرت

١١٨٨ – ١١٨٦ ق.م

---

[١] PM VII, p. 69 (28 -29); Dodson, A., Hilton, D., *The Complete Royal Famillies of ancient Egypt*, London 2004, p., p. 183 (photo)

ويقول مانيتون أن الملكة " تا وسرت " حكمت مصر سبع سنوات ولكن الأرجح إنها حكمت أقل من هذا لا تتعدي العامين.

ويرجح أن "سا بتاح" مات بعد ستة أعوام من الحكم وحكمت من بعده الملكة " تا وسرت " التي حملت لقب " سيدة الأرضيين ".

حكم جديد، مشاكل جديدة، فبمجرد استلامها الحكم لم تعترف بسنوات حكم "سا بتاح" وبدأت سنوات حكمها كما لو كانت تولت بعد وفاة "سيتي" الثاني مباشرة. كما أمرت بحفر مقبرة لها بوادي الملوك رقم KV 14 كانت بدأتها أثناء حكم "سيتي" الثاني وتوقف العمل فيها عندما هيمن "آمون مس"، ولكن مخربش نقش أعلي مدخل المقبرة يذكر أنه تم دفن "سيتي" الثاني فيها في العام الأول من حكم "سا بتاح" الذي استبدل اسمه فيما بعد، باسم "سيتي" الثاني.[١]

وشيدت واستولت" تا وسرت " على العديد من المباني شمال طيبة بل وأيضا بالدلتا في: أبيدوس، الأشمونين، منف، هليوبوليس، قنتير وتل باسطة، كما عثر على اسمها في سيناء.[٢]

لم تحكم " تا وسرت " عددا كبيرا من السنوات فأعلي تاريخ لحكمها لا يتعدي العام الثامن[٣] الذي يكاد أن يتفق مع مانيتون الذي يقدر لها سبع سنوات حكم. ولم تعاني ذكري الملكة من أي اضطهاد بل جاء ذكرها في عصر الملك "رمسيس" السادس[٤].

الأسـرة العشـرون

١١٨٦-١٠٦٩ ق.م

١) ست نخت 1186 -1184 ق.م

٢) وسر ماعت رع، مري آمون

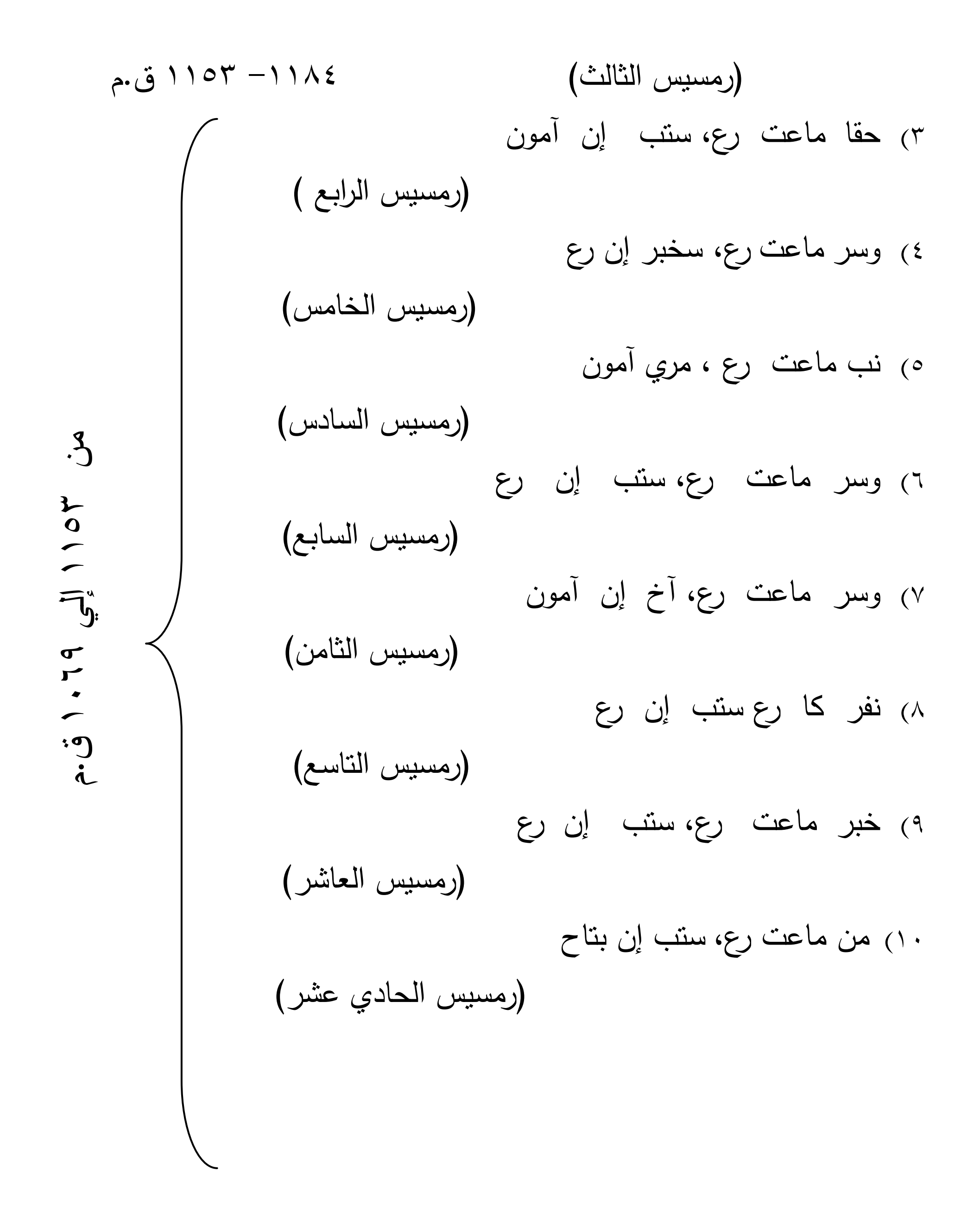
---

١. Reeves, N., and Wilkinson, R., *The Complete Valley of the Kings*, Cairo 1996, p. 157.

٢. Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 586.

٣. *KRI* IV, 407, 16; 408, 12.

٤. Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 586.



ست – نخت

1186 - 1184 ق.م

هو مؤسس الأسرة العشرين، وأننا لا نعرف شيئا عن أصله ويبدو من اسمه، الذي يدخل في تكوينه اسم الإله ست، أنه يمت بصلة القرابة إلي البيت الملكي السابق. ومن المرجح أن "ست نخت" كان اسم الملك قبل توليته، وانه احتفظ به بعد ارتقائه العرش.

وكانت فترة حكم ست نخت قصيرة جدا فهي لم تتعد العامين على أية حال، ولا نعرف عنه إلا ما روته " بردية هاريس الكبري"[١] بالمتحف البريطاني والتي ترجع إلي عصر "رمسيس" الثالث والرابع ولوحة إلفنتين[٢]، وهي في حالة ممتازة من الحفظ.

وتروى " بردية هاريس الكبري"[٣] عن حالة مصر في نهاية الأسرة التاسعة عشرة فتقول: " ... لقد غزت مصر من الخارج وأقصى كل رجل من حقه، وظل الناس بدون رئيس سنين عديدة من قبل حتى أتي عليهم حين من الدهر كانت مصر في أيدي أمراء وحكام مدن، وذبح الرجل جاره، عظيما كان أو حقيرا. وقد توالي على طيبة وقت فيه سنون عجاف، وكان معهم "إير سو" وهو آسيوي الأصل، الذي نصب نفسه رئيسا (على البلاد)، وقد جعل كل البلاد تابعة له، وجمع كل رفاقه، ونهب ممتلكاتهم (أي ممتلكات المصريين) وقد ساوى بين الناس والإله فلم يقدموا قربانا للمعابد"[٤]. و أذاق "إير سو" الشعب المصري ألوانا عديدة من الظلم حتى أن رأفت الآلهة بأحوال البلاد وأهلها فأرسلت لهم " ست نخت " الذي صار ملكا برغبتهم. ويضيف نص البردية أن "ست نخت" أقام النظام في البلاد وعاقب المذنبين وأصلح بين الخصوم وأعاد للمعابد الموارد التي حرمت منها. والواقع أن ما وصل إلينا من آثار لا يحدثنا بأي شيء عن هذا السوري أو الأسيوي " إير سو " الذي ذكرت بردية هاريس، أنه حكم مصر، كما أن نص البردية لم يرو بإسهاب عن الدور الذي لعبه مؤسس هذه الأسرة في تخليصها إعادة الطمأنينة وسلام إليها.

وكما ذكرنا من قبل أن الفرعون "ست نخت"، حكم مصر مدة عامين من الزمن ترك خلالها آثارا ضئيلة بعضها اغتصبه ممن سبقوه من ملوك.

حفر "ست نخت" قبره بوادي الملوك وهو القبر KV 11 ولكن لعدم استكماله ترك ودفن الملك في المقبرة KV 14 الخاصة بالملكة " تاوسرت " وتم إضافة طبقة من الجص على المناظر والنقوش القديمة كما وسع بعض أجزاء المقبرة وفيما بعد سقط البعض من طبقات الجص المضافة، وظهرت صور الملكة " تاوسرت " برفقه زوجها "سيتي" الثاني.

---

[١] عثر عليها، ضمن برديات أخري، سكان الغرب في المقابر بالقرب من مدينة هابو في عام ١٨٥٥ وتم بيعها لمستر A. C. Harris من الأسكندرية الذي أهداها بدوره إلي المتحف البريطاني.

[٢] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 591 (bibliographie).

[٣] Jankuhn, D., *Bibliographie der Hieratishen und Hieroglyphischn Papyri*, Wiesbaden 1974, p. 48 – 49 (bibliographie).

[٤] *BAR* IV, § 157 - § 412.

ومات "ست نخت"، وتولي من بعده ابنه "رمسيس" الثالث الذي كان قد شارك أبيه بعض الوقت في حكم البلاد.

رمسيس الثالث

١١٨٤- ١١٥٣ ق. م

"رمسيس" الثالث هو آخر الملوك العظام في الدولة الحديثة، أتم عمل أبيه في تأمين البلاد وإقامة العبادة وتنظيم الإدارة. وقام "رمسيس" بتقسيم البلاد إلي عدد من الطبقات: موظفي القصر، الأمراء العظام، أو موظفي الأقاليم، الجيش وكان يشمل المشاة والمركبات، المرتزقة من الشرادنة والكهك، الكهنة المساعدين، وأخيرا الفلاحين، أي بالأحرى تكوين هيكل الدولة. وبفضل هذه الإجراءات استطاعت مصر لفترة من الزمن أن تقوم بدور مشرف في الخارج، وأن تستعيد

في الداخل التقاليد المجيدة لملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، العظام. وعادت الأقاليم السورية والنوبية ترسل الجزية بانتظام. وبفضل هذا الرخاء استطاع الملك إنشاء عدد من الأبنية العظيمة وأعاد استغلال المناجم والمحاجر، ونظم البعثات التجارية خاصة إلي بلاد بونت، فجلب منها المنتجات الثمينة وكل ما كانت مصر في حاجة إليه[1].

جمع "رمسيس" الثالث في شخصيته بين الصرامة العسكرية والمقدرة السياسية التي امتاز بها كل من "سيتي" الأول وولده "رمسيس" الثاني.

وأوجه الشبه بين أعمال الملوك الأوائل للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين كبيرة جدا، فالأولى أنقذت البلاد وأعادت إليها مجدها السليب، والثانية خلصت البلاد من بين أيدي أعداء هددوها. دافعت عن حدودها وأوقفت التحنو والتمحو ومعهم قبائل شعوب البحر من الغرب ومن الشمال الشرقي، وكان خطرهم عظيم، فلولا شجاعة "رمسيس" الثالث لتعرضت مصر لكارثة الاحتلال الأجنبي مرة أخرى.

وعهد "رمسيس" الثالث حافل بالأعمال العظيمة، ولكن في نهاية عهده حدثت بعض الاضطرابات الداخلية عرضت حياته نفسها للخطر وهذا ما سنتكلم عنه فيما بعد. ومن الملاحظ أن "رمسيس" الثالث لم يترك لنا أي أثر أو مستند مؤرخ من العام الأول من حكمه وإن كان ولا بد فيكون شرع في بناء "معبد مدينة هابو" في العام الأول من حكمه؟

وأرخت لنا حروب "رمسيس" الثالث مستندات ثلاثة معاصرة، تأتي في المقام الأول منهم نصوص معبده الجنائزي: "معبد مدينة هابو"، والآخر هو " بردية هاريس" التي دونت في عصره أو استكمل تدوينها في عصر لاحق له والتي سجلت لنا أعماله السياسية والدينية وفي المرتبة الأخيرة تأتي نصوص معبده بالكرنك. ومن خلال نصوص هذه المستندات سنتناول أحداث حروب هذا الملك الدفاعية وأعماله.

اهتم "رمسيس" الثالث في بداية حكمه بإصلاح الإدارة وإعادة تنظيم الجيش، وهذا كان في الواقع ضروريا لما اعتزم الملك القيام به ليعيد إلي مصر دورها المؤثر الذي سبق وأن قامت به فيما مضي في بلاد الشرق الأدنى.

---

[1] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر ، القاهرة د. ت، ص ٣٩٧.

ترك لنا الملك بنفسه تقريرا عن حالة المنطقة عند توليته الحكم فقال في نصوص "معبد مدينة هابو" أن موجة من شعوب البحر غمرت بلاد الحيثيين فانهارت معها آخر حاجز كان يحمى سوريا وفلسطين. وسرعان ما انتشر الغزاة الجدد في بلاد النهرين وفي أمور أيضا كما أصبحت قبرص وقيليقية في قبضتهم، كانت فلسطين أخر الولايات المصرية في آسيا مهددة تهديدا حقيقيا، وبالتالي مصر نفسها. ولم يكن الموقف أقل خطورة في الغرب حيث أعاد التحنو تنظيم أنفسهم منذ انتصار مرنبتاح عليهم، فكانت مصر في خطر من انطباق فكي الكماشة عليها، وزاد من فداحة الخطر أن عددا كبيرا من الأجانب قد تسرب من قبل إلي الدلتا. وبمجرد استقرارهم وإقامتهم امتنع هؤلاء الوافدون الجدد من احترام التعهدات التي ارتبطوا بها لكي يقيموا بمصر ورفضوا دفع الضرائب والخدمة في الجيش وبهذا أصبحت الدلتا ضحية لفوضى تكاد تكون عامة. وكانت مصر في حاجة إلي ملك قوى يستطيع السيطرة على الأمور وحمايتها في هذا الخطر العظيم[١].

هناك ثلاثة تواريخ تتعلق بحروب "رمسيس" الثالث أرخت لها النصوص وصورتها في المقام الأول جدران "معبد مدينة هابو" وبردية هاريس: العام الخامس، العام الثامن والعام الحادي عشر، كل منها يحدد أسماء الأعداء الذين واجهتهم جيوش مصر برا وبحرا. معارك **العام الخامس والحادي عشر** تتعلق بحروبه ضد التحنو والتمحو ومن أتي معهم أو عن طريقهم من شعوب البحر، أما معارك **العام الثامن** فتتعلق بحربه ضد "شعوب البحر" وبدو الصحراء. ورغم هذا فهناك حروب أخري خاضها الملك ضد النوبيين والسوريين أشارت إليهم نصوص المعبد الكبير[٢].

وقد حالفنا الحظ عندما وصلت إلي أيدينا نصوص "معبد مدينة هابو" سليمة فقد نقلت إلينا بأسلوب أدبي يميل إلي الفخامة أحداث هامة، وإلي الآن تظل نصوص هذا المعبد مصدرنا الوحيد تقريبا عن تاريخ هذه الفترة الحربي، إلي جانب إشارات عابرة من نصوص معبده بالكرنك.

ولكن قبل الحملة الليبية (اصطلاحا) التي جرت حوادثها في **العام الخامس** من حكم "رمسيس" الثالث، وجد الملك نفسه مضطرا لإخماد ثورة في آسيا فنراه يقول: " لم يعد رئيس أمور إلا رفات ولم يبق له بذر، وكل قومه أخذوا أسري وتضيف نصوص "معبد مدينة هابو " أحضر

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٤٨١ – ٤٨٢.
[٢] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 597 and n. 4

(الملك) الأعداء الآسيويين والليبيون (أسرى)، هؤلاء الذين خربوا مصر فيما مضى بحيث تركت البلاد في حالة خراب تام ..."[١].

الحملة الليبية الأولى

في العام الخامس أي حوالي عام 1179 ق.م، أتي من الغرب، من بلاد "التمحو"[٢] حلف يتألف أساسا من قبائل "الربو " (الليبو)[٣]، معهم "المشواش" بالإضافة إلي اسمين لم يظهرا من قبل من أسماء "شعوب الشمال: الفلست والثكر[٤]. أما سبب هذا الهجوم فكان محاولة الملك التدخل في شئون التمحو الداخلية وذلك بفرض ملك شاب عليهم من جنسهم ورباه في مصر وكان الرفض هو رد الليبو، فنفذ الحلفاء إلي مصر وتجمعوا في مكان لم يتضح موقعه على وجه الدقة ولكنه لابد أن يكون قريبا من الفرع الكانوبي (نسبة إلي بلدة كانوب وهي أبو قير الحالية) أو عند مدينة كوم أبوبلو بالقرب من منوف، ويستدل على هذا من بردية هاريس وقد عقدوا النية على أن يهجموا مجتمعين على منف، كما حدث في عهد "مرنبتاح"، لكن "رمسيس" الثالث لم يترك لهم الفرصة فهاجمهم وانتصر عليهم وذبح الكثير منهم وترك جثثهم أكواما كالأهرامات، وقبض على كثير من الأسرى وزعهم فيما بعد على الحصون المصرية. وتباهي الملك في نشيد نصره بأنه أباد شعوب البحر إلي الأبد، ولكنه كلام فيه الكثير من المبالغة كما سنرى فيما بعد.

الحملة الآسيوية

في **العام الثامن** أي حوالي ١١٧٦ ق.م حصل "رمسيس" الثالث على نصر عظيم فقد أبعد شعوب البحر عن آسيا إبعادا يكاد يكون نهائيا إذ يخبرنا "رمسيس" في نصوص "معبد مدينة هابو" أن شعوب البحر بعد أن هزمت بلاد خيتا، قدى، كركميش، قبرص وقليقية، عسكرت في بلاد أمرو، وكان الحلف مكون من قبائل البلست (الفلست)، الثاكورا، الشاكلش، الدانو،

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر ، القاهرة د. ت، ص ٤٨٢.

[٢] حدث هجوم مماثل في عهد "مرنبتاح" أنظر Vandersleyen, C., *op. cit.*, p . 565.

[٣] ذكر نص معركة العام الخامس من نصوص "معبد مدينة هابو"، مصدرنا الأساسي لهذه المعركة، أولا اسماء "الربو" (اللبو):
KRI V, 18, 8 – 11; 24, 14; Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 598.

[٤] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 599.

الواشاش والشرادنة[١] جاء بعضهم بطريق البحر والبعض الآخر جاء بطريق البر، فكان لابد إذا من تحصين الحدود الفلسطينية وشاطئ شرق الدلتا فأمر الملك بحماية مدخل مصر عن طريق مصاب النيل بواسطة سفن عديدة بحيث كونت سورا واقيا كما حمت حدود فينقيا مركبات ومشاة مصريون ومن المستحيل أن المعركة البحرية وقعت بالقرب من مصاب النيل حيث قُوبل العدو أولا بسيل من سهام ثم دخلت السفن في معركة دمرت فيها سفن الأعداء عن آخرها ومعها جنودها. تتبعهم الملك بجيوشه إلي بلاد "چاهي"، التي يعتقد إنها إشارة إلي بلاد كنعان، للقضاء عليهم[٢].

وغادر الباقون على الحياة بلاد الشرق الأدنى ماعدا الفليست الذين أقاموا في منطقة الشاطئ الممتدة بين غزة وجبل الكرمل والجدير بالذكر أيضا أن هذه الشعوب التي أعطت لفلسطين اسمها الحالي، وبقى أيضا قوم الثاكورا وهم من الأمم البحرية التي أخذت تزاول بعد ذلك القرصنة في شرق البحر المتوسط[٣].

وتصدرت هذه المعركة البحرية نقوش "معبد مدينة هابو" بطريقة تعبيرية صورت لنا هذه المأساة التي تعتبر دون شك أقدم تصوير، بالحجم الكبير، لمعركة بحرية.

وهكذا تم لـ"رمسيس" الثالث أكبر انتصار عرفته مصر، فقد أنقذها هذا الجسور من غزو أخطر بكثير من غزو الهكسوس فكما يروى دريوتون وفاندييه: فلو أن أمم البحر استطاعت أن تتوغل في مصر لكان المحتمل أن البلاد ما كانت تستطيع أن تنهض وأنه كانت تختفي من التاريخ كما اختفت دولة الحيثيين قبل ذلك ببعض سنوات.[٤]

الحملة الليبية الثانية

لم يكن الموقف مستقرا في غرب مصر مثلما كان في آسيا فبالرغم من هزيمة شعوب البحر إلا أنها لم تتراجع عن رغبتها في الاستقرار في مصر، فأعادوا تنظيم أنفسهم مرة أخرى وخاصة قبيلة المشواش التي لعبت هذه المرة دورا بارزا في جمع الصفوف. إذ توصل زعيمها " كابور" إلي تحقيق هذا الاتفاق مع "التحنو" وأرسل إلي مصر بجيوش مكونة من " التحنو" ومن

---

[١] هناك عنا صر من الشرادنة منضمين إلي الجيش المصري كمرتزقة لذا يشير النص إلي الشرادنة الأعداء بتعبير "پا يم" :
Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 599-600 =*KRI* V, 104, 13.

[٢] *KRI* V, 40, 5; 41, 3.

[٣] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي، مصر ، القاهرة د. ت، ص ٤٨٤.

[٤] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٤٨٤.

أفراد قبيلته برئاسة ابنه " مششر" وكان هذا في **العام الحادي عشر** من حكم "رمسيس" الثالث، أي حوالي عام ١١٧٣ ق.م. تقدم جيش الأعداء نحو منف وهناك التحم مع الجيش المصري بقيادة الفرعون الذي أذاقهم الهزيمة هذه المرة وتتبع الفارين منهم فيما يزيد من عشرين كليو مترا وقبض على عدد كبير من الأسري بينهم الأمير " مششر" نفسه. وروت لنا نصوص "معبد مدينة هابو" في قصة مؤثرة: جاء إلي مصر متوسلا للفرعون الأمير الأب " كابور" يطلب منه العفو عن ابنه وأن يكون رحيما به. ولكن طلب " كابور" لم يجد الإيجاب عند "رمسيس" الثالث الذي أمر بالقبض عليه، وأخذه أسيرا وقتل ابنه " مششر" كما أرسل الأسري من "التحنو" والمشواش كعبيد ليخدموا في الحصون أو المعابد ونجد الآلاف منهم بين رعاة قطعان آمون[١].

وكان انتصار "رمسيس" الثالث على شعوب البحر حاسما إذ أن "التحنو" والقبائل الأخري لم يحاولوا لمدة طويلة التحرش بمصر أو التسلل والاستقرار في أراضيها.

الحملة الثانية على آسيا

أمدت شعوب البحر بمغادرتها آسيا "رمسيس" الثالث بفرصة ذهبيه أغرته باستئناف سياسة أسلافه العظام بتثبيت أركان إمبراطوريته الآسيوية وإعادة غزو ما فقد في الماضي من ولايات بهذا يسترد ولو جزءا من إمبراطورية مصر في سوريا وكنعان.

أمدتنا نصوص بردية هاريس (٧٦، ٩ – ١١) بمعلومات عن هذه الحملة ضد بدو الشاسو بدو أدوم. للأسف الشديد معلوماتنا عن هذه الحملة الآسيوية مقتضبة جدا إذ أن نصوص معبد هابو والكرنك تعطينا لمحه بسيطة جدا عما كانت عليه هذه الحملة التي لم تؤرخ ولم تعرض في نص منفصل[٢]. وبناءً على مناظر معبدي الكرنك ومدينة هابو المرتبة ترتيبا زمنيا مما يسمح بإثبات أن هذه الحملة جرت وقائعها بعد حملة العام الحادي عشر بعد أن أمن حدوده الغربية واطمأن إلي استقرار الأمور في مصر.

وكما ذكرنا من قبل أن معلوماتنا عن هذه الحملة قليلة فإننا نعرف أن "رمسيس" الثالث قام بمحاصرة خمس مدن واستولى عليها. أحداهما في بلاد أمور والأربعة الأخرى في سوريا ولم يمكن إلي الآن التعرف إلا على اثنين منهم وهما " تونيب الحيثيين" و"أرزاوا ". أما عن أسماء

---

[١] *KRI* V, 47, 2; 56, 8 and 12. ورمضان السيد، تاريخ مصر القديمة الجزء الثاني، مشروع المائة كتاب ٢٢، ١٩٩٣، ص ١٩٥ – ١٩٦.

[٢] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 602

الشعوب التي واجهها "رمسيس" الثالث فهم أساسا الـ "ستيو"، كما جاء في النصوص ذكر اسم "نهرنيا"[1].

وإذا وثقنا بقوائم "رمسيس" الثالث الجغرافية فلابد وأن جيوش مصر وصلت حتى نهر الفرات، ولكن يجب علينا أن نتخذ جانب الحيطة في أخذنا بما جاء في هذه القوائم لأنها تذكر في بعض الأحيان أسماء شعوب وقبائل اختفت منذ زمن بعيد. ولكن أكثر نتائج هذه الحملة أهمية هو أن المصريين استطاعوا حماية الولايات المصرية ببلاد كنعان من هجمات الأموريين والسوريين المحتملة[2].

أما عن نشاط "رمسيس" الثالث في النوبة فكان نادرا ما عدا ظهور اسمها منقوشا على مبانيه أو على لوحات نائب الملك في النوبة حوري الذي يكاد أن يكون مسؤلا عن أي أثر للملك عثر عليه في النوبة مثل عتب باب وجد في العَمره وكوبان[3].

أرسل "رمسيس" الثالث بعثة رسمية إلي بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر وعادت السفن محملة بالخيرات واحتياجات المعابد من أشجار الكندر والصمغ وغيرها من المنتجات لهذه البلاد وما استوردته من غيرها[4]، كما اهتم الملك باستغلال مناجم النحاس بسيناء.

لقد رأينا فيما سبق كيف اهتم "رمسيس" الثالث بتنظيم أمور البلاد الداخلية قبل أن يركز جهوده لحماية مصر من شعوب البحر وسكان شمال إفريقيا من تمحو وتحنو ومن حلوا عليهم من اللبو والمشواش. أمن "رمسيس" الثالث مصر ونظم الحياة في ربوعها و"أنقذ من الناس من التعاسة وجعل نساء تا مري (مصر) يسرن في أمان وأعاد الحقوق"[5].

اهتم ببناء وتشييد المعابد والأبنية المختلفة لآمون وغيره من الآلهة ونذكر على وجه الخصوص معبده الضخم المعروف باسم " مدينة هابو " والذي بني أمامه مدخلا على هيئة قلعة آسيوية وشيد إلي جواره قصرا لسكناه. كما أغدق عليه وعلى معابد أخرى ثروات عديدة من أرقاء وأراضى ومال، وردت تفصيلها من بردية هاريس التي كتبت على الأرجح في مصر خليفته "رمسيس" الرابع.

---

[1] نفس المرجع السابق.

[2] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٤٨٧.

[3] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 605 = PM VII, p. 83.

[4] عن بلاد بونت وموقعها انظر هامش ١٢٠.

[5] *BAR* IV, p. 204 205 § 410.

بردية هاريس

تعتبر بردية هاريس من أهم الوثائق المكتبية التي تركها لنا فراعنة مصر العظام على الإطلاق وتعد أيضا أهم مصدر تاريخي في الأسرة العشرين. عثر على هذه البردية في عام ١٨٥٥ مع أربع برديات أخرى في مكان ما بالقرب من معبد الدير البحري، وصلت إلي يد أحد تجار الآثار الذي باعها إلي مستر" هاريس" الإنجليزي والمعروفة باسمه.

وردت أول إشارة عن هذه البردية في عام ١٨٥٨، ومنذ ذلك الحين تناولتها أيدي علماء الآثار بالبحث والدراسة، إذ أنها تعتبر منجما (منجما) من المعلومات الهامة والخاصة بهذه الفترة التاريخية. يبلغ طول هذه البردية حوالي أربعون مترا وقسمها الباحثون إلي تسعة وسبعين ورقة[١].

تحتوى هذه البردية على معلومات دينية وتاريخية وأسماء معابد، وأيضا معلومات اقتصادية وضرائبية. وتتألف " بردية هاريس" من سبعة أقسام:

١- مقدمة.
٢- جزء عن طيبة ومعابدها الخاصة بالإله آمون.
٣- جزء عن هليوبوليس ومعابدها الخاصة: رع آتون، رع حور آختي، والإلهة إو اس عا اس، سيدة حتبت وكل آلهة هليوبوليس.
٤- جزء عن منف ومعابدها الخاصة بالإله بتاح.
٥- جزء خاص عن المعابد الصغيرة المختلفة.
٦- ملخص.
٧- جزء تاريخي خاص بالأحداث التي وقعت في عهد "رمسيس" الثالث.

وكما ذكرنا من قبل أن هذه البردية كتبت دون شك في عصر لاحق لـ "رمسيس" الثالث وربما في عهد ابنه "رمسيس" الرابع، إلا أن التاريخ المؤرخ به نص البردية فهو: السنة الثانية والثلاثون، الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم السادس في عهد جلاله ملك الوجه القبلي

---

[١] Jankuhn, J., Jankuhn, D., *Bibliographie der Hieratishen und Hieroglyphischn Papyri*, Wiesbaden 1974, p. 48 – 49 (bibliographie).

والوجه البحري "رمسيس" الثالث. وعلق على هذه النقطة الكثير من الباحثين، فقيل أن البردية كتبت في عصور متعددة وبواسطة عدد من الكتبة، ولكن الأرجح كما ذكرنا أنها كتبت بعد وفاة الفرعون ففي الجزء الأخير منها يدعو "رمسيس" الثالث الآلهة من أجل خليفته "رمسيس" الرابع، مما يوحي أن تاريخ البردية هو نفسه تاريخ وفاة "رمسيس" الثالث؟

ومن بردية هاريس عرفنا مدى ثراء كهنة المعابد الكبرى وما كانوا يتمتعون به من سلطان، أموال وأعداد وفيرة من العبيد الذين كانوا يقومون بخدمتهم وبالعمل بالأراضي الخاصة بالمعابد.

وكان آمون رع هو أكثر الإله الذين تمتعت معابدهم وكهنوتهم بالثراء الفاحش والثروة الطائلة، فكان مقدار أراضى آمون رع يبلغ نحو ١٠ % من أراضى البلاد المنزرعة، أما الآلهة الأخرى مجتمعين فكانوا يمتلكون حوالي ٥ % فقط. هذا إلي جانب ما كان يملكه معبد آمون رع من عبيد يعملون في أراضيه الشاسعة، يبلغ عددهم حوالي ٨٦,٥٠٠ عبدا. كما كان له أيضا خمسة قطعان من الماشية لا يقل عددها عن ٤٢١,٠٠٠ رأسا، هذا إلي جانب الحدائق ومناجم الذهب في(النوبة)، بالإضافة إلي تسعه مدن في سوريا، كانت تمد معابده بالمحاصيل والخيرات إلي جانب ما كانت تدفعه من ضرائب بانتظام. وكان أفراد الشعب يدفعون أيضا ضرائب وأموال كثيرة تذهب كلها إلي خزائن المعابد وخاصة معابد آمون. لقد أغدق "رمسيس" الثالث بإسراف شديد على المعابد وكما قلنا كان نصيب آمون رع هو نصيب الأسد فأدى هذا إلي ازدياد ثروة الكهنة وتقلص شديد في قوت الشعب مما تسبب عنه قيام ثورة واضرب عمال جبانة طيبة (دير المدينة) عن العمل في العام التاسع والعشرون من حكم "رمسيس" الثالث،[١] وذلك لأن مرتباتهم لم تصرف إليهم لمدة شهرين ونقص المياه والغلال. ولما مر هذا الحادث دون أن يتحرك المسئولون تجمع العمال في اليوم التالي وهاجموا مخازن معبد الرامسيوم وهم يصيحون بأنهم جائعون، وحاول كبار الموظفين تهدئتهم، ولكن الإضراب تكرر بعد ذلك عدة مرات حتى رضخوا في النهاية وأمروا بإعطائهم ما يستحقون. هذا هو الحدث الذي نقلته لنا بردية " إضراب العمال"ولكنه تكرر في العام التالي وبعدها في العام الأول من حكم "رمسيس" الرابع.

اتسمت نهاية حكم "رمسيس" الثالث بتصاعد درامي قوي، فربما قضي الملك على أعداء مصر في الخارج ولكنه فشل على ما يبدو في السيطرة على الأمور في الداخل، ولم

١ Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 613 – 614.

تنجح هباته الملكية السخية للكهنة والمعابد في الحصول على دعمهم فاشتعل غضب العمال البؤساء، عمال المقابر، وتلتها ثورة محدودة لأحد الوزراء لكنها مؤشرات لاضطراب عاصف قادم لا محالة فيه ولا في إيقافه.

تذكر " بردية هاريس " ثورة " عصيان قام بها أحد الوزراء " في أتريب، ففي نهاية ص ٥٩ من بردية هاريس يقول الملك: وخلعت الوزير الذي تدخل في وسطهم، واستوليت على كل أتباعه الذين كانوا معه ... "[١].

وتضيف نفس البردية إلي معلوماتنا أن "رمسيس" الثالث كان يستغل الشرادنة كجنود مرتزقة ضمن أفراد جيشه فأدى هذا إلي استيطان مجموعات كبيرة منهم، ومن غيرهم من شعوب البحر، وأصبحت مصر تضم من الأجانب أعدادا كبيرة مما أدى هذا إلي الانهيار[٢].

ومن نصوص " بردية هاريس " نفهم كيف بدأ الانهيار في الأسرة العشرين وما آلت إليه الحالة الاقتصادية للبلاد من سوء . بينما كدست الثروات في المعابد وبين أيدي الكهنة، وكيف تسرب الأجانب بكميات كبيرة فكون الملك منهم فرقا من المرتزقة ضمت إلي باقي القوات. ولكن الحالة لم تستمر على هذا المنوال.

فكما ذكرنا من قبل قامت ثورة في الدلتا بقيادة أحد وزرائه وكان مركزها أتريب إلا أن الملك أو أعوانه استطاعوا القضاء عليها وقبض على المتآمرين. ولكن "رمسيس" الثالث تعرض مرة أخرى لمؤامرة ترويها لنا بردية تورين القضائية تكملها ببردية رولان وبردية لي، مؤامرة هدفها القضاء عليه شخصيا[٣]. ودبرت إحدى زوجاته، الملكة "تيي" اغتياله وهذا ربما أنه رفض من أن يجعل من ابنها منه الأمير بنتاؤر وليا للعهد وملكا من بعده، اشترك معها اثنان من موظفي القصر الملكي وجندوا معهم بعض الأعوان وعددهم عشرة بالإضافة إلي قائد عسكري ومسئول كبير في كوش وآخرون كانوا أيضا يعملون في القصر والحريم واحتلوا مراكز مختلفة وهذا بالإضافة إلي ست من نساء ضباط القصر، بلغ عدد المتهمين ٣٦ شخصا. وتمت المحاكمة وأدين الأمير "بنتؤر" وحكم عليه بالموت انتحارا كما أدين أربعة أشخاص من الهيئة القضائية لأنهم سمحوا بحدوث اتصال بين النساء الحريم وأحد المتهمين.[٤] ويبدو أن المؤامرة كانت على درجة كبيرة من الخطورة، فكان هدف المتآمرين أن تقوم ثورة خارج القصر، في نفس

[١] *BAR* IV, p. 181 § 361.

[٢] *BAR* IV, p. 204 -205 § 410

[٣] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 614.= *KRI* V, 350 -363.

[٤] Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 616.

الوقت الذي يتم فيه القضاء على الملك، إلا أنه تم اكتشاف هذه المؤامرة بطريقة ما وقدم المتآمرون إلي المحكمة التي أمرت بإعدام الكثير منهم بالإضافة إلي الأمير المجرم بنتاؤر، ولكن قبل أن تنتهي هذه المحاكمات مات "رمسيس" الثالث ولم يشهد نهايتها فيقودنا هذا إلي التفكير ربما أن المتآمرين نجحوا في إصابة الملك بجروح أدت فيما بعد إلي موته ؟ وعلى العموم ومهما يكن من أمر مدى نجاح المؤامرة إلا أنها تدل على الضعف الذي أصاب نهاية حكم "رمسيس" الثالث منذرا بعصر انهيار لمرحلة عظيمة، مرحلة الدولة الحديثة.

ترك "رمسيس" الثالث العديد من الآثار التي شيدها في أنحاء متفرقة من مصر نذكر منها: مقصورة العجل منيفس في هليوبوليس وتماثيله الكبيرة التي عثر عليها هناك أيضا. كما عثر له على آثار في تانيس (صان الحجر)، وسيناء والعرابة المدفونة (أبيدوس)، قوص ومدادمود ومعبده الكبير في الأقصر معبد مدينة هابو إلي جانب إضافاته في الكرنك والشروع في بناء معبد خنسو.

وفي مقارنة سريعة نجد أن "رمسيس" الثالث ارتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه من قبل، رغم اختلاف الظروف والأسباب، جد أعلى هو منكاورع عندما أغدق بالامتيازات على فئة رجال الدين فسعوا سعيا حسيسا إلي السلطة وحصلوا عليها بعدها بسنوات، في كلتا الحالتين.

ولما مات "رمسيس" الثالث دفن في قبر والده "ست – نخت" بوادي الملوك المقبرة رقم ١١ ولم يدفن في القبر الذي بدأ في إعداده لنفسه وهي المقبرة رقم KV ٣ التي دفن فيها، على الأرجح أحد أبنائه.[١]

ويحتفظ المتحف المصري بمومياء هذا الفرعون والتي تعتبر في حالة جيدة، ويتولى الحكم من بعده ابنه "رمسيس" الرابع.

خلفاء رمسيس الثالث

١١٥٣ – ١٠٦٩ ق.م

[١] http://www.*thebanmappingproject.com/sites/browse*_tomb_817.html

مات "رمسيس" الثالث تاركا ٣١ ابنا و ١٤ ابنة نقشت صورهم، دون تحديد أسماء، على جدران "معبد مدينة هابو"[١]، المعروف منهم أسماء عشر من الأبناء واسم ابنة واحدة[٢].

يعتبر "رمسيس" الثالث أخر ملوك الدولة الحديثة العظام الذين حافظوا على الإمبراطورية ولم يفرطوا فيها، ولكن مات الفرعون تركا البلاد في حالة سيئة.

بعد انتهاء حالة الحرب بدأ الأجانب في الاستيطان في مصر بل ووصلوا في بعض الأحيان إلي وظائف هامة، فالمحاكمات التي جرت وعاقبت المتآمرين على حياة الفرعون رمسيس" الثالث كان بين القضاة أربعة من الأجانب. هكذا كان حال مصر عند تولى خليفته "رمسيس" الرابع في حوالي عام ١١٥٣ ق.م ومنذ ذلك التاريخ وحتى نهاية الأسرة العشرين، يتولى حكم مصر ثمانية من الملوك الرعامسة الضعاف، ومعهم تعيش مصر فترة من الانحطاط لم يسبق لها مثيل، فخلال هذه الأعوام أي من حكم "رمسيس" الرابع إلي "رمسيس" الحادي عشر، لم نعثر على الكثير من المصادر لذا (فإن) معلوماتنا ضئيلة عن هذه الفترة الزمنية وليس باستطاعتنا التكلم عن الكثير من النواحي أهمها الشئون الخارجية للإمبراطورية في ذلك العهد.

إذا كانت النوبة التي تمصرت تماما منذ عهود بعيدة بقيت مخلصة للوطن الأم مصر فأن الأقاليم الآسيوية كانت قد انفصلت في واقع الأمر عنها، وربما كانت الحماية المصرية مازالت معترفا بها في فلسطين لكن الإقليم في الواقع كان يعتبر نفسه مستقلا، ومن المؤكد أن الجزية لم تكن تأتي إلي مصر بانتظام. ولما نضب المورد الرئيسي للإيرادات أصبحت الخزائن خاوية تقريبا، وكانت الظروف غير ملائمة للإنشاءات المعمارية الكبيرة فحول فراعنة النصف الأخير من هذه الأسرة هممهم إلي بناء مقابر لهم فعثر على ستة منهم في وادي الملوك.

ولكن هناك مستند هام عثر عليه وهو المعروف باسم " بردية ولبور"[٣]وهي البردية الخاصة بإدارات المعابد وجباية الضرائب وتعتبر هذه البردية، التي ترجع إلي العام الرابع من حكم "رمسيس" الخامس، من أهم المصادر الخاصة بالضرائب. وإن كانت الشواهد التاريخية نادرة للغاية حتى عصر "رمسيس" الثامن إلا أنه ابتداء من عصر خليفته "رمسيس" التاسع تصبح أكثر عددا ومعظمها عثر عليه في قرية دير المدينة فهناك في منتصف الطريق تقريبا بين محلى عملهم كان يسكن العمال الذين قاموا بالعمل في المقابر الملكية بوادي الملوك ووادي

---

[١] PM II, p. 502 (1044 – 107).

[٢] Dodson, A., Hilton, D., *The Complete Royal Famillies of Ancient Egypt*, Cairo 2004, p. 186 -187.

[٣] Jankuhn, J., *op. cit*., p. 109.

الملكات ومن هذه القرية خرج منذ حوالي مائة عام أعداد كبيرة من البرديات وقطع اللخاف (الأوستراكا)، كما عثر في دير المدينة أيضا على الوثائق القضائية المتعلقة بسرقات المقابر التي سنتكلم عنها فيما بعد.

ينتسب الملوك الرعامسة الآخرون أيضا إلي أسرة "رمسيس" الثالث، ولكن تنازعا مستمرا كان قائما في ذلك الوقت بين الفرع الكبير والفرع الصغير من الأسرة، وبالطبع لم تكن هذه المنازعات تساعد على الازدهار ونمو اقتصاد البلاد ولهذا عرفت مصر في النصف الأخير من الأسرة العشرين فترة من البؤس والفقر. فكان ضعف المحاصيل في عهد "رمسيس" السابع ومن خلفوه من ملوك سببا في غلاء عظيم في الغلة انتهي بحدوث مجاعة اخذوا يتحدثون عنها في مختلف النصوص عدة سنوات، وأطلقوا عليها " سنة الضباع عندما كانت المجاعة ".

وأدت هذه الظروف إلي إضراب آخر للعمال (بردية تورين ١٨٨٠)[١]، ففي العام الثالث من حكم "رمسيس" العاشر أي بعد مرور حوالي نصف قرن على الإضراب الأول، توقف العمال عن العمل، وعبروا النهر ليقدموا شكواهم إلي كبار الموظفين، ولكن كبير كهنة آمون رد قائلا أنه ليس اختصاصه أن يصرف لهم مؤنا وأنه يجب عليهم اللجؤ إلي رؤسائهم المباشرين. ولكن العمال رفضوا ترك مكتب كبير الكهنة وظلوا إلي صباح اليوم التالي ليكرروا شكواهم. ودعا كبار الموظفين سكرتير ونائب مدير الشئون الملكية وأمروهما بالذهاب إلي مخزن غلال الوزير وإعطاء عمال الجبانة مئونتهم منها. وعلى سبيل العرفان والشكر قام العمال بإهداء اثنين من كبار الموظفين بعض الهدايا مكونة من صندوقين وأدوات كتابية[٢].

وكان الإسراف في الهبات الملكية للمعابد سببا مباشرا لسوء الحالة الاقتصادية وهناك أيضا سبب أخر هام وهو انتهاء عصر البرونز وبدء عصر الحديد. وكانت المناجم المصرية تمد البلاد بالنحاس الذي هو الأساس في صناعة البرونز ولكن لم يكن هناك استغلال للحديد. ومما يستلفت النظر أن استغلال مناجم النحاس في سيناء توقف تماما في ذلك الوقت. وأصبح موقف مصر المالي عسيرا إذ كان عليها أن تتخلى عن معدن تملكه ليحل محله معدن كان عليها في ذلك الوقت، أن تستورده أو تشتريه من الخارج مما تسبب في إضعاف مركزية الدولة وانتشار الفساد[٣].

---

[١] Jankuhn, J., *op. cit.*, p. 99.

[٢] جون ولسون ترجمة أحد فخري، الحضارة المصرية ، القاهرة د.ت، ص ٤٤١– ٤٤٢.

[٣] جون ولسون ترجمة أحد فخري، نفس المرجع، ص ٤٤٢.

ففي عهد "رمسيس" الحادي عشر كان هناك شخص يسمى "تحوتمس" كان يشغل وظيفة كاتب الجبانة وكان من بين وجباته التنقل في الوجه القبلي لجمع الضرائب المستحقة من الغلال التي كان جزء منها يخصص لدفع استحقاقات عمال الجبانة ومن خطاب كتبه "تحوتمس" هذا يطلب فيه الإسراع في إحضار الغلال حتى لا يجوع الرجال. وفعلا يسافر كاتب الجبانة "تحوتمس" ومساعده إلي إسنا ليجمعوا المستحق لهم، فكان مجموع ما تسلموه عن طريق المعبد هو ٣٤٣،٢٥ غرارة، أخذوا منها في إسنا ٦،٢٥ غرارة وذلك "لأجل المصروفات"، ولما وصلت السفن إلي طيبة سلموا ٣١٤ غراره فقط إلي عمدة المدينة، أما الفارق فصرف واختفي تحت بند " المصروفات " و" التعيينات " لأعضاء الرحلة. ويدل هذا على عدم اكتراث الموظفين لعلمهم أنهم لن يلاقوا عقابا، فادى هذا إلي الإهمال في تأدية الواجب وربما إلي انتشار الرشوة[١].

كان أكثر الأمثلة وضوحا لانتشار الفساد يرجع إلي منتصف الأسرة العشرين هو ما حدث في معبد خنوم عند الجندل الأول. (أسوان الإقليم الأول للوجه القبلي). في جزء من بردية ترجع إلي عصر "رمسيس" الرابع، نقرأ عند الدخل السنوي لذلك المعبد، ونعرف انه كان يتلقى ٧٠٠ غرارة من الغلال سنويا، من حقول في الدلتا وأنهم تعاقدوا مع ربان إحدى السفن لنقل هذه الغلال سنويا، وقبيل انتهاء حكم "رمسيس" الثالث مات هذا الربان، فعين الكهنة ربانا آخر، وفي السنوات الأربعة الأولى كان الربان الجديد ويدعى " خنوم نخت " يقوم بتسليم السبعمائة غرارة كاملة، ولكن منذ العام الأول لحكم "رمسيس" الرابع حدث تلاعب وتزوير في أعداد الغلال التي تسلم لمعبد خنوم وفيما بيان بالتلاعب الذي قام به ربان " خنوم نخت " خلال تسع أعوام حسب الجدول الذي قدمه جون ولسون[٢]:

العام	المـلك	عدد الغرائر التي وصلت	العجز
١	من حكم رمسيس الرابع	١٠٠	٦٠٠
٢	"	١٣٠	٥٧٠
٣	"	لا شيء	٧٠٠
٤	"	٢٠	٦٨٠
٥	"	٢٠	٦٨٠
٦	"	لا شيء	٧٠٠

[١] نفس المرجع ص ٤٤٣.

[٢] جون ولسون ترجمة أحد فخري، الحضارة المصرية، القاهرة د.ت، ص ٤٤٢.

١	من حكم رمسيس الخامس	لا شيء	٧٠٠
٢	"	١٨٦	٥١٤
٣	"	١٢٠	٥٨٠

نقلا عن جون ولسون ترجمة أحد فخري،
الحضارة المصرية، القاهرة د.ت، ص ٤٤٤.

وبعبارة أخرى لم يصل إلي شونة المعبد خلال تسع سنوات إلا ٥٦٧ غرارة من أصل ٦٣٠٠ غراره أي ما يزيد قليلا عن ٩% من الكمية. وبالطبع لا يمكن أن نصدق إن الربان وحده قام بسرقة هذه الأعداد الضخمة من أجوال الغلال، على المدي الطويل، دون أن يشاركه بعض من الموظفين في معبد خنوم في إلفنتين وأيضا بعض المزارعين في الدلتا تقاسموا جميعا أجوال الغلال بينهم، وفي النهاية يقبض على ربان السفينة اللص وكل من اشتراك معه. وتدل هذه الحادثة هي على مدي انتشار الفساد وسوء الحالة التي وصلت إليها مصر والنظام في نهاية الدولة الحديثة[١].

وبالإضافة إلي انتشار الفساد وسرقة أموال المعابد وسوء الإدارة، كان هناك أيضا عصابات من الأجانب تكونت من الجنود المرتزقة، وأخذت تنقل ناشرة الرعب والفزع وكانت مكونه من الليبو والمشواش، فهؤلاء الجنود المرتزقة آتي بهم "رمسيس" الثالث كأسرى ثم انضموا لجيش الفرعون ولكن في السنوات التي تلت حكم هذا الملك لم يكن هناك حروب فأصبحوا دون مورد فاتجهوا إلي نهب سكان مصر نفسها. وللحد من جشع هؤلاء الأجانب المرتزقة احتاج إلي أجيال طويلة[٢].

وفي العام السادس عشر من حكم "رمسيس" التاسع (١١٢٦ – ١١٠٨ ق.م) حاول اللصوص أن ينتهكوا حرمة المقابر الملكية وهذه القضية التي حقق فيها ضد اللصوص المذنبون توضح لنا مدي الإنحطاط الذي وصلت إليه الإدارة المصرية في هذا العهد، ولكن السرقات تتكرر في عصر "رمسيس" الحادي عشر وحريحور.

---

[١] جون ولسون ترجمة أحد فخري، الحضارة المصرية ، القاهرة د.ت، ص ٤٤٥.

[٢] جون ولسون ترجمة أحد فخري، نفس المرجع، ص ٤٤٥؛ Vandersleyen, C., *op. cit.*, p. 637 – 638.

وروت لنا عن سرقات المقابر الملكية وغيرها بطيبة برديات[1] أهمهم " بردية أبوت " المحفوظة بالمتحف البريطاني (BM 10221)[2] وتاليها " بردية أمهرست رقم ٧" المحفوظة أيضا بالمتحف البريطاني (BM 10054)[3] وتكملها " بردية ليوبولد الثاني " المحفوظة في بروكسيل[4]. من خلال هذه البرديات الثلاثة تصل إلينا قصة سرقات المقابر بوادي الملوك والملكات وأيضا بمقابر النبلاء وفيما يلي ملخصا لها: "اكتشف هذه السرقات مأمور طيبة المسمى " با سر" والذي حرك يقظته هو شهوة الإضرار بزميله ومنافسة الضابط " با ورعا" الذي كانت وظيفته هي إدارة ومراقبة شاطئ النيل الغربي، منطقة الجبانات و المقابر فبمجرد أن علم " با سر" بمحاولة اللصوص النفاذ إلي القبور الملكية قام فورا بأخطار الوزير "خع إم واست"[5]. وكان الأمر خطيرا فأسرع الوزير بتعيين لجنة كلفها بأجراء التحقيقات اللازمة وتقديم المتهمين. وسافر المحققون في اليوم التالي إلي مكان الجريمة وزاروا الجبانة الملكية في ذراع أبو النجا وزاروا المقابر التي قيل أن اللصوص نهبوا ما فيها من ذهب وفضه وأثاث جنائزي ثمين في وادي الملكات والنبلاء. ومما يستلفت النظر أن اللجنة التي كانت للتحقيق في هذه السرقات كانت برئاسة " با ورعا" نفسه أما عن نتيجة التحقيقات فقد وجدت أن تسعة قبور بين عشرة ادعى " با سر" أنهم نهبوها كانت سليمة. ولم يثبت سوي سرقة مقبرة الملك " سوبك إم ساف" وزوجته "نوب خاس " من الأسرة السابعة عشرة وأيضا مقبرة الملكة إيزيس زوجة "رمسيس" الثالث.

وانتقلت اللجنة بعد ذلك للتحقيق في الاتهامات الخاصة بسرقة المقابر وادي الملكات، وفي مقابر الأشراف ووضعوا تقريرا: " مجموع المقابر الهرمية الخاصة بالملوك الراحلين التي تم فحصها اليوم بمعرفة المحققين:

عدد ٩ مقابر هرمية وجدت سليمة.

عدد مقبرة ١ سرقت

المجموع: عشرة مقابر

---

١ أضف أيضا بردية ماير وتورين: Jankuhn, D., *Bibliographie der Hieratishen und Hieroglyphischn Papyri*, Wiesbaden 1974, p. 76 (Mayer A+B); *BAR* IV, p. 267 § 542 and n° d.

٢ Jankuhn, D., *op. cit.*, p. 1 .

٣ Jankuhn, D., *op. cit.*,p. 4.

٤ Jankuhn, D., *op. cit.*,p. 69.

٥ Helck, W., *LÄ* I, p. 898- 899; *KRI* VI, 523 – 524 (monuments).

" مقابر مغنيات بيت الزوجة الإلهية لآمون رع ملك الآلهة ":

٢ وجدت سليمة

٢ مسروقة

المجموع: أربع مقابر

" أما المقابر وحجرات الدفن التي دفن فيها الموتى منذ سالف الأيام من مواطنات ومواطنين في غرب طيبه: وجدت اللجنة أن اللصوص دخلوها كلها واخرجوا من كانوا فيها من توابيتهم الخشبية والحجرية، والقوا بهم في الصحراء وسرقوا أثاثهم الجنائزي الذي كان معهم، وكذلك (سرقوا) الذهب والفضة والأشياء الثمينة التي كانت معهم في توابيتهم ".[١]

إذا لقد أخطأ " با سر" في الحساب، فلم تسرق سوى مقبرة واحدة من مقابر الملوك العشرة، ولم تسرق غير مقبرتين من مقابر الملكات الأربعة. ولم يكن بالشرط الهام أن جميع مقابر النبلاء وجدت مسروقة. لقد شعر " با ور عا" أنه برر موقفه بوجه عام ولكنه اضطر أن يقدم بعض المتهمين فضحى ببعض الناس من البسطاء: " أعطى عمدة الغرب ورئيس شرطة الجبانة، "با – ورا"، تقريرا مكتويا به أسماء اللصوص إلي الوزير، وإلي النبلاء وإلي سقاة الملك. فقبض عليهم وتم سجنهم، وعندما سئلوا اعترفوا بما حدث.

وفي اليوم التالي تألفت محكمة يرأسها الوزير وذهب إلي البر الغربي مصطحبا أحد المتهمين، " ليذكر ما حدث " وكان المتهم التعس النحاس " باي خارو" الذي اعترف بسرقته لمقابر الملكات منذ عامين. كانوا قد غموا عينيه، وأخذ رجال الشرطة يقودونه وكان يسأله كبار رجال الدولة، فلما أزاحوا الأربطة عن عينيه في وادي الملكات لم تسعفه ذاكرته إلا على تحديد مكانين غير هامين قال أنه قام بسرقتهما: مقبرة غير مستعملة تركت مفتوحة، وكوخ أحد عمال الجبانة وطلبوا من النحاس أن يحلف اليمين " وحققوا معه تحقيقا دقيقا ويبدو أنهم استعملوا معه العنف لأنهم ضربوه بالعصا على يديه وقدميه كما هدد بجدع الأنف وصلم الآذنين ووضع على وتد، إلا أن المتهم التعس أصر على أقواله، فقام الموظفون بعد ذلك بفحص الأختام الموضوعة على الأبواب الخارجية للمقابر فوجدوها سليمة. وبعد أن اطمأنت هيئة المحكمة إلي أن اتهام الموظفين بالإهمال كان اتهاما باطلا وعبروا النهر عائدين إلي البر الشرقي.

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري ، نفس المرجع ، ص ٤٥٠. وأيضا عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، القاهرة ١٩٦٦، ص ٧٧٩ – ٧٨٢.

و في مساء نفس اليوم، وقع حادث فيه استفزاز لـ" با سر " إذ بإيعاز من " با ور عا" سمح الموظفون لسكان البر الغربي أن ينظموا مظاهرة ابتهاج بتبرئة عمدتهم فعبروا النهر إلي البر الشرقي من طيبة. وكان من الطبيعي تكون أعداد من عبروا النهر كبيرة إرضاءً " با ور عا" للتعبير عن سعادتهم بانتصاره على " با سر ". ثم ذهبوا إلي منزل " با سر" ليعبروا عن فرحتهم، إلا أنه اتهمهم بالحقد والضغينة مذكرا أن المحققين وجدوا قبر الفرعون "سوبك إم ساف" الثاني قد تمت سرقته، فرد عليه أحد المتظاهرين أن حماية فرعون تظلل الجبانة وسيظل جميع الملوك والملكات والأمراء والأميرات لا يمسهم سوء إلي الأبد ، إلا أن " با سر" وصف المتكلم بالكذب. ولكن " با سر" لم يقبل الهزيمة ووعد بأن يقدم خمس اتهامات بشأن سرقة المقابر، فأسرع " " با ور عا" إلي الوزير مطالبا بالتحقيق معه بتهمة إخفاء المعلومات عن السلطات.

وحقق الوزير في بلاغ " با ور عا" وكون في اليوم التالي محكمة جديدة للتحقيق، عقدت اجتماعها في معبد آمون، وكان يرأسها الوزير نفسه. وشرفها كبير كهنة آمون بحضوره. وجلس " با – سر" بين الموظفين يستمع إلي الاتهامات الموجه إليه. واحضروا ثلاثة من المتهمين التعساء، ولكن قبل أن يستمع أحد إلي أي شهادة، افتتح الوزير الجلسة بأقوال مليئة بالغضب، كانت سببا في إيقاف أي مناقشة. وقدم عمدة شرق طيبة " با– سر" بعض اتهامات ضد الرؤساء العمال وضد العمال الذين في الجبانة (قبل أمس) أمام الساقي الملكي وسكرتير الملك " نس آمون"، وأدلي ببعض الوقائع عن المقابر العظيمة التي في الجبانة وبالرغم من إنني كنت هناك بنفسي أنا وزير البلاد، مع الساقي الملكي وسكرتير الملك " نس – آمون " وفتشنا على المقابر ... ووجدنا أنها لم تصب بسوء، وثبت أن كل ما قاله كان كذبا . والآن انظروا ها هم النحاسون واقفون أمامكم، فاستدعوهم يقصون عليكم ما حدث. وبعد هذه التمثيلية المغرضة، كان من الطبيعي أن يشعر النحاسون أنهم غير ملزمين بتأييد اتهامات "با سر" وسألوهم، فقال هؤلاء الأشخاص أنهم لم يعرفوا مقبرة واحدة في مكان فرعون مما تحدث عنه العمدة وعلى ذلك ثبت خطأه في ذلك وتم الإفراج كبار الموظفين عن النحاس ... وكتب تقرير بذلك ووضع في ملفات الوزير.

بعد انتهاء المحاكمة لم نعد نسمع شيئا عن عمدة شرق طيبة "با سر" فقد سقط اسمه من الوثائق بينما ظل منافسه الخبيث " با ورعا" في وظيفته كعمدة لغرب طيبة ورئيس لشرطتها مدة سبعة عشر عاما بعد ذلك، كانت فيها سرقات المقابر تزداد يوما بعد يوما.

وبعد خمسة عشر شهرا من تلك المحاكمة، وجدوا أن اللصوص حطموا مقبرة في وادي الملكات إلي قطع صغيرة، ولسنا نجد في جميع أوراق التحقيقات في فرد واحد من بين المتهمين من ذوى المراكز الكبيرة بل نرى أشخاصا تافهين، مثل الحجارين والنحاسين والفلاحين هم الذين قبض عليهم. ويقودنا هذا إلي التساؤل؟ إلا أن الجواب يأتينا من اعتراف الحجار " آمون با نفر " لقد اعترف أنه قام هو ورجاله بسرقة مقبرة الملك المتوفى " سبك إم ساف" ووصف كيف حفروا ممرا إلي المقبرة، ووصف المنظر المثير عندما وقعت عيونهم على الإله الراقد في آخر حجرة بالمقبرة مغطي بالحلي. ولما انتهي اللصوص من تجريد الملك والملكة مما كان معهما من حلى أحرقوا التابوت الخشبي " وقسمنا الذهب الذي وجدناه مع هذين الإلهين – مع موميائهما – ومن تمائم وحلى وتوابيت إلي ثمانية أقسام، ونال كل منا عشرون دبنا من الذهب، فكان المجموع مائة وستين دبنا من الذهب ولم نقتسم باقي الأثاث ". وكان مجموع الذهب في هذه المقبرة أربعين رطلا تقريبا خص كل واحد منهم خمسة أرطال، وهي ليست بالكمية الضئيلة في يد رجل بسيط.

واستمر الحجار " آمون با نفر " يقول ثم عبرنا النهر إلي الضفة الشرقية إلي طيبة، وبعد مرور بضعة أيام، وسمع شرطة طيبة بأننا كنا نسرق في الغرب، فاعتقلوني وسجنت في قصر عمدة طيبة (وهناك) أخذت العشرين دبنا التي خصصت لي كنصيب، وأعطيتها إلي كاتب ميناء طيبة " خع إم أوبت " الذي أفرج عنى وانضممت إلي زملائي وبعدها عوضني عن نصيبي بنصيب آخر. واستمرت أنا واللصوص الآخرون، الذين كانوا معي، نزاول حتى هذا اليوم، سرقة مقابر النبلاء وأعيان البلاد المدفونين في غرب طيبة. وهناك عدد كبير من السكان يسرقونهم أيضا ".

كانت العشرون دبنا من الذهب، أي كيلو جرامين تقريبا، أو خمسة أرطال دون شك رشوة كبيرة جدا. لهذا لم يطلق سراح ذلك الحجار اللص من السجن فحسب، ولكنهم سمحوا له باستئناف رقاته. فما الذي حدث لأوراق القبض عليه ؟ من المحتمل أن كاتب ميناء طيبه لم يأخذ العشرين دبنا كلها لنفسه، بل أن تلك الرشوة أخذت تتغلغل وتجد طريقها حتى كتمت أنفاس أي متسائل عن السبب في عدم اتخاذ الإجراءات القانونية.

أن القصة الطويلة المحزنة لسرقة المقابر في الأسرة العشرين ليست إلا قصة كبار الموظفين الذين كانوا يهملون في تأدية واجبهم. لقد كان ابتعادا سافرا عن "الماعت" مع الاحتفاظ بقدر من صورتها لتكون مظهرا فقط يبهر الناس عند الإطلاع عليه وأن هؤلاء

اللصوص أو الأشخاص التافهين الذين هددهم وضربهم وعذبهم القضاة المحققون لم يكونوا سوى ضحايا المسئولين الذين تولوا التحقيق معهم ودليلا على انحدار الروح المصرية.

وبعد أن مضى على انتشار سرقة المقابر حوالي قرن من الزمان، اتخذت الدولة خطوة لحماية هؤلاء الآلهة الذين كانوا في يوم ما ملوكا على مصر. فنقلوا المومياوات الملكية خلسة إلي مدفن خفي في الجبانة معروف باسم خبيئة الدير البحري، وكدسوا كأنهم حزم من الخشب إذ وضعوا ثلاثين مومياء في حجرة واحدة بعد أن جردوهم مما كان معهم من كنوز، فرقدوا آمنين حتى تم العثور عليهم في بداية القرن الماضي، وعلى أية حال أن تكديسهم على هذا النحو لا يتفق بأي صورة من الصور مع ما كان عليه من هيبة وكرامة[١].

وأبرزت هذه القضية خطة كبار موظفي ذلك العهد بروزا كافيا. ولم يكن الملك أقل جرما بمشاهدته حكومته دون أن يبدى حراكا. وفي منتصف حكم "رمسيس" الحادي عشر انفجرت الأزمة الداخلية الأولى.

في ذلك الوقت ارتكب "أمنحوتب" كاهن آمون الأكبر جريمة لم توضح لكنها حتما من النوع السياسي، ومن الجائز أنه انتهز فرصة ضعف الملك ليحاول اغتصاب السلطة وعلى كل حال فإن المسألة كانت من الخطورة بحيث انتزعت "رمسيس" الحادي عشر من سباته فأوقف الكاهن الأعظم عن عمله فلم يكن في الكرنك كاهن أعظم لآمون لمدة تسعة شهور على الأقل.

وفي نفس الوقت انفجرت فتن خطيرة في مصر الوسطي في إقليم أسيوط ، الإقليم الثالث عشر من الوجه القبلي ، استغاث الملك بنائبه في بلاد النوبة " با نحسي " لإعادة النظام وانتهت الحرب بالاستيلاء على " حر دي " عاصمة الإقليم السابع عشر وتخريبها. ولا سبيل للتعرف على الأعداء الذين حاربهم " با نحسي" تعرفا أكيدا لكن من المحتمل كل الاحتمال أنهم أصلا من "الليبو" إذ كثيرا ما تتكلم النصوص المعاصرة لليبيين ولكن بدرجة من الإبهام يصعب معها في اغلب الأحيان أن نقرر ما إذا كانت جيوش مرتزقة أم عصابات مشاغبة وعلى كل حال فمن المؤكد أن مصر كان يغير عليها الليبو في ذلك العصر وأن الأهالي كانوا عموما يخشونهم وغزو مصر الوسطي على يد "الليبو" نظرية تستهوى الفكر خصوصا وأن غزوا كهذا سيتحقق عما قريب في نهاية عهد الأسرة الحادية والعشرين.

---

[١] جون ولسون ترجمة أحمد فخري ، نفس المرجع ، ص ٤٤٧ – ٤٥٥.

أصبح " با نحسي " بعد انتصاره أهم شخصية في الدولة وقد كان "رمسيس" الحادي عشر يشعر ككل الضعفاء بالحاجة إلي التواري وراء موظف كبير يكل إليه إدارة الأعمال لذلك شغل كل من " "أمنحوتب" " و" با نحسي " المكان الأول في الدولة على التوالي كما قدر لهذا المكان أن يكون من نصيب "حريحور" بعد الحوادث التي رويناها الآن ببضع سنوات. أما عن أصل "حر يحور" فإننا لا ندرى شيئا على الإطلاق عن أصل "حريحور" وعلى ما يبدو أنه لا ينتمي إلي الأسرة الحاكمة كما يميل بعض الباحثون إلي ذلك. ومن المحتمل جدا أن يكون " حريحور" قد خلف " أمنحوتب" في رئاسة كهنوت آمون بيد أنه ما من شيء كان يؤهله لهذه الوظيفة إذ من المؤكد أنه لم يكن ينتسب إلي كهنة آمون بل بالأحرى إلي الجيش. نمى نفوذ "حريحور" بسرعة، ففي أقل من سنتين بعد ارتقائه وظيفة الكاهن الأكبر لآمون، عينه الملك نائبا عنه في بلاد النوبة ووزيرا. وقد حدث هذا في السنة التاسعة عشرة من حكم "رمسيس" الحادي عشر، وابتدءا من تلك اللحظة يظهر على بعض الوثائق تاريخ مزدوج: السنة التاسعة عشر تقابل السنة الأولى من " تكرار الولادة " وقد ظن البعض، وظنهم لا يخلو من شبهة حق، أن هاتين الكلمتين تشيران إلي تقويم جديد أو نهضة تبتدئ من استيلاء " حريحور" على السلطة استيلاء فعليا ومن هذا نرى كم كانت مطامع الكاهن الأكبر عظيمة، فضلا عن أنه لم لبث أن باشر سلطته مستقلا استقلالا مطلقا في كل الوجه القبلي على الأقل حيث أن " حريحور" مع إعلانه عن طيب خاطر أنه "القائد الأعلى للوجه القبلي والوجه البحري"، إلا أنه لم يكن له أية سلطة على الدلتا التي كان يحكمها منذ تلك الفترة وزير قديم للشمال يدعى "نسو با نب جد" ("سمندس") زوج " تنت آمون".

وسرعان ما تولي "حريحور" وظيفة الوزير، وكان هذا في حوالي العام الثالث والعشرين من حكم "رمسيس" الحادي عشر (السنة الخامس من تكرار الولادة) بعد أن كان " نب ماعت رع – نخت" يباشر الوزارة. واحتفظ "حريحور" بوظيفة نائب الملك في النوبة ومنصب قائد الجيش، وبهذا جمع في قبضة يده الدين والثروة والقوة. وكان في هذا ما يكفي لكي يحقق مخططاته، وليس هناك شك في أن حريحور كان راغبا، منذ ابتداء تكرار الولادة على الأقل، في أن يستولي على الحكم وأن محل "رمسيس" الحادي عشر على عرش مصر ولكن الحكمة والتأني كانا هما منهجه. وتقدم مناظر جدران معبد خنسو بالكرنك، المعبد الذي يمكن اعتباره عملا مشتركا بين "حريحور" والملك، ومراحل تطور سلطانه، ففي أقدم الأجزاء يظهر الكاهن الأكبر والملك على التوالي في مناظر تقدمه القرابين. وبعد ذلك بقليل، أصبح دور الملك أكثر تواريا ففي إحدى كتابات الإهداء يظهر "حريحور" بمظهر المشيد الرئيسي للمعبد ولم يذكر اسم الملك إلا في النهاية بل أن هذا الأخير لا يظهر بتاتا في النصين الأخيريين من كتابات إهداء

المعبد، ولم تلبث المرحلة الأخيرة أن قطعت، فلا تكتفي النصوص التي في صحن المعبد بإهمال "رمسيس" الحادي عشر فحسب، بل نلاحظ أن مركز "حريحور" قد تبدل إذ تمثله النقوش واضعا التاج المزدوج وتنعته الكتابات بألقاب ملوك مصر كاملة. ولسنا ندرى شيئا عن نهاية أو مصير "رمسيس" الحادي عشر. وهكذا اختفي آخر ملوك الدولة الحديثة وانتهي كهنة آمون بعد نضال طويل دام عدة قرون بالإنتصار على الملكية الطيبية العريقة انتصارا ظاهريا على الأقل.

أواخر عهد الإمبراطورية
وما تلاها من أسرات[١]

عندما كان أخر ملوك الرعامسة يقضى أيامه الأخيرة في الحكم لا يكاد يشعر بوجوده أحد، وكانت في نفس الوقت سلطة الحكم مقسمة بين " حريحور" كبير كهنة آمون و" نسو با نب جد"، "سمندس" حاكم تانيس. وفي ربيع سنة من السنوات في تلك الفترة غادر " ون آمون" وكان موظفا في معبد آمون رع، مدينة طيبة قاصدا جبيل في فينيقيا ليشترى خشب الأرز اللازم لبناء سفينة آمون رع المقدسة وسلمه كهنة المعبد مبلغ ٥ دبنا من الذهب و ٣١ دبنا من الفضة لأجل نفقاته. وذهب " ون آمون " حاملا معه هذا المبلغ الضئيل من المال ، وحيدا واخذ يبحث لنفسه عن أحد السفن الساحلية ليسافر عليها إلي الشمال. أراد " ون آمون " من باب الشعور بالأمان أن يأخذ معه تمثال " آمون الطريق " وهو المبعوث المعترف به من قبل الإله العظيم آمون رع ملك الآلهة وقص علينا "ون آمون" رحلته بأسلوب ساذج والساخر. كتبت البردية بالخط

[١] الهام حسين يونس محمد، الأسرة العشرين والفترة الانتقالية إلي عهد الأسرة الحادية والعشرينفي (والعشرين في) مصر القديمة، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ٢٠٠٠.

الهيراطيقي، عثر عليها ببلدة الحيبة في محافظة المنيا عام ١٨٩١، اشتراها العالم الروسي الراحل جلونيشيف وهي محفوظة الآن بمتحف موسكو (Moskau 120) [١].

ترك " ون آمون" [٢] طيبة واتجه شمالا إلي تانيس ولما وصل ذهب لمقابلة " نسو با نب جد"، "سمندس" وسلمه ما يثبت شخصيته ومهمته فساعده على السفر فوق ظهر سفينة يملكها بحار سوري في خدمة مصر. ولما رست تلك السفينة في ميناء دور (ميناء مدينة في شمال فلسطين) سرق جماعة من قوم الـ. "الثاكورا" ما معه من ذهب وبعض الأواني الفضية التي كان يريد أن يقدمها كهدية إلي أمير جبيل. وذهب " ون آمون " إلي أمير "دور" طلبا منه إعادة ما سرق منه، ولكن الأمير رفض بأدب تحمل أي مسئولية عن سرقة تمت على ظهر سفينة أجنبية في مينائه. ولما يئس " ون آمون " من استعادة ما سرق منه، سافر إلي جبيل بطريق البحر وأثناء سفره وجد " ون آمون " ٣٠ دبنا من الفضة مع جماعة من الـ. " الثاكورا " فقام بسرقتهم حتى يعيدوا إليه ما أخذوه عنوه منه. وأخيرا وصل إلي حيث يريد ولكنه لم يكن يحمل أوراق تثبت شخصيته، فلما أراد مقابلة " ذكر بعل" أمير جبيل ليشكو إليه، رفض مقابلته، وكان يوميا يكلف حاكم الميناء بالذهاب إليه ليقول له: غادر مينائي لقد مر على مصر عهد طويل منذ عصر "من خبر رع"، "تحوتمس" الثالث، عندما كان الإله آمون مغرما بخشب الأرز. ونصب الرسول اليأس خيمته على الشاطئ، وأخفي تمثاله الصغير" آمون الطريق"، وجلس ينتظر.

وبعد مرور تسعة وعشرين يوما، حدثت المعجزة، فبينما كان " ذكر بعل" أمير جبيل يحضر أحد الاحتفالات بالمعبد، وقع أحد أتباعه في غيبوبة تنبوئية، وحلت فيه روح إلهية، وصاح الشاب " إحضروا الإله، إحضروا الرسول الذي يحمله، أنه آمون هو الذي أرسله" ولم يستطع الأمير عصيانه ودعا " ون آمون " ليحضر إليه في الصباح.

ويصف لنا " ون آمون " الأمير الفينيقي، جالسا أمام نافذته وقد أدار ظهره لها، وكانت أمواج البحر السوري الكبير تتلاطم من خلفه.

ودخل "ون آمون" الغرفة وألقي على الأمير التحية الذي لاتهمه سوي المنفعة التجارية لجأ إلي الرسميات، وبدأ "ون آمون" بسلسلة من الأسئلة، ليفهم "ون آمون" فشل مهمته. فلما أشار

---

[١] Jankuhn, J., Jankuhn, D., *Bibliographie der Hieratishen und Hieroglyphischn Papyri*, Wiesbaden 1974, p. 77 – 78 (bibliographie).

[٢] جوستاف لوفيفر ترجمة على حافظ، روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني، الألف كتاب ٦٦، القاهرة د. ت، ص ٢٧١ – ٢٩٢.
Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature II*, 1976, p. 224 – 230.

" ذكر بعل" إلي " نسو با نب جد"، "سمندس" قد تلاعب به عندما أرسله على سفينة أجنبية، بينما يملك حاكم تانيس "سمندس" ما لا يقل عن عشرين سفينة تعمل بانتظام في التجارة مع جبيل. وظل المبعوث المسكين صامتا ولكن في النهاية استجمع أطراف شجاعته عندما سأله الأمير عن تفاصيل مهمته فقال له: " لقد جئت في طلب الخشب اللازم لإصلاح السفينة العظيمة سفينة آمون رع ملك الآلهة، وأضاف، لقد فعل أبوك ذلك، كما فعله من قبل جدك، وستفعله أنت أيضا، ولكن " ذكر بعل " أخذ يتهكم ورد قائلا "أن مصر كانت ترسل في الماضي حوالي ست سفن من البضائع ثمنا لخشب الأرز، وأمر بإحضار ملفات يوميات أبيه وأمر بقراءتها أمامي (أمام "ون آمون") ووجدوا مذكورا بها ١٠٠٠ دبنا من الفضة، وجميع الأشياء الأخرى مكتوبة في ملفات. وقال الأمير الفينيقي "أنه ليس تابعا لملك مصر، وليس هناك ما يضطره لإرسال أي أخشاب أرز دون ثمن، فهو مستقل في سلطنه وأضاف "إذا ناديت على جبال لبنان تفتحت السماء وتصبح الكتل الخشب على شاطئ البحر".

ووافق "ذكر بعل" على قول "ون آمون" أن آمون هو سيد الكون وخالق الحضارات، وأن الحضارة أتت في الأصل إلي فينيقيا من مصر، وأن آمون هو خالق البلاد كلها، ولكن بعد أن خلق أرض مصر أولا، وأن مصر التي آتيت منها وخرجت المهارة والعلم منها ليصل إلي المكان الذي أتيت فيه، ولكن عاد "ذكر بعل" وتساءل ما هي إذا تلك الرحلة الساذجة التي كلفوك بالقيام بها؟

وتقدم "ون آمون" بثلاث حجج قوية مستجمعا ذكاءه فهو لم يأت في "رحلة ساذجة" لأن آمون رع ملك الآلهة وسيد الكون أرسله كما أرسل معه " آمون الطريق " فيجب على "ذكر بعل" ألا يطالب بذهب أو بفضة لأن آمون رع يستطيع أن يكافئه بالحياة والصحة، ومع ذلك يستطيع "ذكر بعل" أن يرسل كاتم سره إلي مصر فيدفعون له الدين. وكانت نتيجة تلك المناقشة الفذة أن الأمير العنيد لم يكتفي بإرسال كاتم سره فقط ليحصل على الثمن بل أرسل سبع كتل من خشب الأرز مقدما قبل الدفع.

عاد كاتم السر بعد بضع أسابيع ومعه بعض السلع التي تمثل صادرات مصر في ذلك الوقت أواني من الذهب والفضة وكتان دقيق الصنع وخمسمائة ملف من البردي المعد للتجارة، وجلود ثيران، حبال، غرار من العدس وسلال من السمك، وعند ذلك قطعوا الأشجار وتركوها أربعة أشهر على الأرز لتجف. ولما جاء وقت رحيله وصلت بعض سفن "الثاكورا" أعداء " ون آمون " القدامي الذين جاءوا لينتقموا منه عندما يغادر الميناء، فأخذ " ون آمون "يبكى حظه التعس ولكن "ذكر بعل" أرسل له الطعام مع ساقيه الخاص "بن آمون" ترافقه مغنية مصرية لترفه عنه بأغاني وموسيقى بلاده. و تمكن "ون آمون" في اليوم التالي من الهرب ومغادرة ميناء جبيل

، ولكن ربما اضطرت سفينته اللجوء إلي قبرص ، وهناك تعرض لمحاولة قتل: " إلا أنه نجي منها واستطاع العثور على من يتفاهم معه باللغة المصرية واصطحبه معه إلي مقابلة حاكمة الجزيرة ليقوم بالترجمة بينهما. ولما عرفت الأميرة ما حدث له منذ أنه غادر وطنه مصر، عطفت عليه. وهنا تقف البردية وللأسف أن آخر قصة " ون آمون " مفقود لذا لم نعرف تطور الأحداث إلي حين عودته إلي وطنه.

يعتبر تقرير "ون آمون" من المستندات البالغة الأهمية فهو يقدم صورة واضحة عن الوضع الداخلي في مصر، وما بلغته هيبتها من تدهور خارج حدودها، فقد كنا نتوقع أن تكون جبيل أكثر من أي مكان أخر، يحسن استقبال مبعوث آمون رع القادم من طيبة. كانت السلطة في مصر مقسمة بين كبير كهنة آمون "حريحور" وعائلته الذين كانوا يحكمون في طيبة ويمتد سلطانهم شمالا حتى الحيبة و"سمندس" الذي كان يحكم في تانيس ويمتد سلطانه جنوبا حتى حدود نفس المدينة، الحيبة، وكانت السلطة الدينية لطيبة، أما السلطة الاقتصادية فكانت لـ تانيس.

عصر الانتقال الثـالث
١٠٦٩ – ٦٦٤ ق.م

الأسرة الحادية والعشرون

١٠٦٩– ٩٤٥ ق. م

من الواضح أن سياسة هذه الأسرة ارتبطت بما سبق وأن جرى من أحداث في أواخر الأسرة السابقة. ويبدو أن السلطة كانت موزعة بين كبار كهنة آمون خلفاء "حريحور" وعاصمتهم طيبة وبين تانيس بشرق الدلتا حيث أقام " نسو با نب چد"، "سمندس" وخلفاؤه الذين حكموا شمال ووسط مصر.

ومهما يكن من الأمر فإن " حريحور"[١] عندما أصبح حاكما ووضع التاج المزدوج على رأسه، اتخذ من نعوت الفراعنة أوصافا له، كما تشهد بذلك نقوش ومناظر معبد خنسو بالكرنك التي تمثله متقدما في السن[٢].

---

[١] Bonhême, M-A., « Les Noms Royaux dans l'Egypte de la Troisième Période Intermédiare», *B d E* 98, Le Caire 1987, p. 26 – 33.

[٢] Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt*, Warminster 1973, p. 16 and n. 69 § 14 -20

بعد وفاة " حريحور" خلفه في وظيفتي كبير كهنة آمون والقائد الحربي ابنه "پي عنخ "[١] الذي لم يكن له نفس تطلعات أبيه فلم يتخذ لنفسه ألقاب الفراعنة وكان في هذا اعترافا منه بأحقية بيت تانيس في الملك. وكان "سمندس" الأول[٢] يعتقد تماما بأنه الملك الشرعي فاتخذ فعلا ألقاب الفراعنة كاملة ونعت نفسه بأوصافهم، وظللنا أعواما طويلة نعتقد أن العرش آل إليه بسبب زوجته "تنت آمون" التي كان يعتقد إنها سليلة الرعامسة، ولكن نص بردية جنائزية من الدير البحري[٣] وردت فيه ألقاب ابنتها "حنوت تاوي" التي وصفت بكونها ابنة الملكة "تنت آمون" التي هي بدورها ابنة النبيل "نب سني"[٤].

ووقع في هذا الوقت حدث له دلالته التاريخية وفيه ما يؤيد النظرية السابقة ، ففي محاجر الضبابية بالقرب من الجبلين عثر على نقش صخري يفيد أن الملك "سمندس" المقيم إذ ذاك في منف[٥] أن مياه الفيضان جرفت رصيفا كان قد أقامه الملك "تحوتمس" الثالث في معبد الأقصر وأنها هددت بإغراقه، فأرسل الملك رئيس أعماله ومعه ثلاثة ألاف رجل ليستخرجوا من محاجر الضبابية الكتل اللازمة لإصلاح الرصيف. وللأسف أن هذا النقش لم يؤرخ واكتفي من قام بنقشه بتأريخه باسم الملك فقط، ومن المرجح أنه حدث في الوقت الذي كان فيه " پي عنخ " كبيرا لكهنة آمون. وبهذا يتضح لنا أنه بعد وفاة "حريحور" عادت مصر ظاهريا على الأقل، إلي وحدة الحكم[٦].

وفي الشمال: تولى بعد "سمندس" الملك " آمون نسو" الذي استمرت فترة حكمه أربعة سنوات (١٠٤٣ – ١٠٣٩ ق.م)[٧] وتلاه في الحكم "بسوسنس" الأول (١٠٣٩–٩٩١ ق.م)، الذي عصرهما " پا نچم " الأول ابن "پي عنخ، ككبير لكهنة لآمون في طيبة.

پا نچم الأول[٨]

[١] El-Sayed, Ramadan, "Piankhi, filsde Hérihor", *BIFAO* 87 , Le Caire 1978, p. 197 -218; Kitchen, K.A., *op. cit*., p.17 – 21 § 15 -18.

[٢] Kitchen, K.A., *op. cit*., p. 255 -256 § 213 214.

[٣] Kitchen, K. A., *op. cit*., p. 49 n. 225.

[٤] يختلف دودسون وهيلتون (*The Complete Royal Families*., p. 186 -187, table) مع كيتشن (*op. cit*, p. 49§ 42) اللذان يعتقدا في وجود ملكتيين باسم "تنت آمون"، الأولي هي ابنة "نب سني" وزوجة "رمسيس" الحادي عشر، أما الثانية فيحتمل أنها ابنتها وزوجة "نسو با نب چد".

[٥] Daressy, G., *RT* 10, 1888, p. 135 – 136.

[٦] Kitchen, K.A., *op. cit*., p. 255 - 256§ 213- 214.

[٧] Id., *op. cit*., p. 261 § 218.

[٨] جاب الله علي جاب الله، تاريخ مصر القديم، العصر المتأخر، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٤ - ٢٦ ؛ كذا:

يسهل الإدراك إن " يا نجم " كبير كهنة آمون، هو صاحب السلطة المستقلة في طيبة: كان باعتباره الكاهن الأكبر وحاكما لطيبة ووزيرا ورئيسا للجيش، يجمع بين يديه السلطة الروحية والسلطة الدنيوية في الجنوب حتى الحيبة إلي جانب علاقة النسب التي جمعته بملوك تانيس مما أهله لحمل ألقاب الفراعنة. اهتم " يا نجم " بأعمال الترميم، ترميم آثار الملوك العظام في معابد الكرنك ومدينة هابو، واستمر في زخرفة معبد خنسو بالكرنك الذي شيده في الأصل "رمسيس" الثالث، وقام بزخرفته كل من "رمسيس" التاسع والحادي عشر و"حريحور"، كما اهتم اهتماما خاص بالمومياوات الملكية إذ من المؤكد أن المحاولات الإجرامية لتدنيسها والتي أشرنا إليها مرارا، استمرت خلال السنوات الأولى من حكم الأسرة الحادية والعشرين. ويبدو أن اللصوص خشوا أن يمدوا أيديهم إلي مومياوات ملوكهم، بعد أن نهبوا مقابرهم فتركوها في حالة استدعت إحاطتها بلفائف جديدة ووضعها في توابيت جديدة. و سجلت هذه الإجراءات في نصوص قصيرة كتبت بطريقة سريعة إما على اللفائف أو على التوابيت نفسها (أنظر خبيئة الدير البحري).

كما رمم " يا نجم " خلال كهنوته مومياوات "تحوتمس" الأول، "أمنحوتب" الأول، و"سيتي" الأول، "رمسيس" الثاني و"رمسيس" الثالث. واستمر في منصبه الديني الكبير إلي أن شارك في الحكم ابتداءً من العام الخامس عشر؟ من حكم "سمندس" الأول واستمر ملكا مشاركا إلي الأعوام الأولي من حكم "بسوسنس" الأول متخذا ألقاب الملوك ونعوتهم تاركا منصبه الكهنوتي إلي ابنه البكر "ماساهرتا" ومن بعده آل المنصب إلي أخيه الأصغر "من خبر رع"[١].

حكم يا نجم الأول وكهنوت ماساهرتا ومن خبر رع

من المشكوك فيه أن يكون "يا نجم" هجر طيبة عندما صار ملكا وحل محله في وظيفته الكهنوتية ابنه " ماساهرتا " وليس من المؤكد أيضا أن الملك المشارك الجديد قد أقام في تانيس (صان الحجر) مثل من سبقه من ملوك إلا أن اسمه لم يعثر عليه، ما عدا ما كتبه بيير مونتيه عن عثوره على قطعة حجر تحمل اسم "يا نجم" الأول إلي جوار اسم "بسوسنس" الأول، على أثر كشف عنه التنقيب في تانيس[٢]. والمعلومات الوحيدة التي لدينا عن حكمه أتت كلها من مصر

Bonhême, M-A., *op. cit.*, p. 34 – 51 ; Kitchen, K.A., *op. cit.*, p. 257 – 261 § 215 -217.

[١] Kitchen, K.A., *op. cit.*, p.27 § 24.

[٢] Id., *op.cit.*, p. 8 § 5 and n. 29.

العليا. لم يستطع " پا نچم" الأول إتمام زخرفة معبد خنسو إلا بعد المشاركه في الحكم، ونقش نص الإهداء باسم زوجته " حنت تاوي "[1].

ولم تكف الاحتياطات التي اتخذها "پا نچم" أثناء فترة كهنوته لوضع المومياوات الملكية في مكان أمين، وكان على " ماساهرتا" أنه يرمم مومياوات الملك "أحمس" والملكة "سات كامس" و"سا آمون" وكذلك مومياء "أمنحوتب" الأول للمرة الثانية، وهكذا نرى أنه المجرمين قد ضاعفوا من نشاطهم وشجعهم على ذلك عدم العقاب.

مات "ماساهرتا" في الحيبة[2]، دون وريث[3]، بعد توليته الكهنوت من ثماني إلي عشر سنوات[4] فحدثت فتن خطيرة في طيبة عند موته أو بعده مباشرة. ولو أنه سبب هذه الفتن لم يتم توضحه أبدا إلا أنه يلوح ما يقرب من أن حزبا من أهالي طيبة أراد، بتحريض من شخصية كبيرة في المدينة، أن يتحرر من سلطة ملوك تانيس. وكانت هذه الفتنة بسيطة تمت السيطرة عليها سريعاً. وقد ظن الثوار أن موت الكاهن الأكبر "ماساهرتا "مناسب لمحاولة القيام بانقلاب، ولكن الحزب الموالي للسلطة تغلب على المتمردين وأصدر مرسوما ادعى فيه موافقة آمون على نفي قائمة طويلة من الأشخاص إلي الواحة الخارجة. ومع ذلك بقى الموقف مهددا مما دعي "پا نچم" الأول إلي تعيين ابن ثان له كبير كهنة لآمون هو" چد خنسو إف عنخ" ولكنه سرعان ما يختفي بعد عام واحد، يرسل بعده ابنه الأصغر "من خبر رع" في منصب الكاهن الأكبر لآمون والقائد الأعظم للجيش في طيبة ليعيد النظام في الوجه القبلي. واستقبله أهالي طيبة بحماس، وهذه النقطة التفصيلية لابد أن تكون غير مطابقة للواقع، إذ أنه من المؤكد أن الحزب المعارض للملك بقى قويا جدا في طيبة وأن أول عمل قام به الكاهن الأكبر الجديد أنه حصل على أمر يسمح له بأن يعيد من الواحة الخارجة أولئك الذين نفوا إليها. ويجدر بنا أن نضيف أنه عرف كيف يصحح الأمر إلي حد ما، وأن يخفف من أثر هذه الرأفة المبالغ فيها بتوقيع عقوبة الإعدام متسترا دائما وراء الوحي الإلهي، على نفر من العصاه كانوا قد ارتكبوا جرائم القتل[5].

كانت مدة كهنوت " من خبر رع" طويلة إذ استمرت ٤٩ سنة على الأقل، وأن نفوذه يمتد من بني سويف إلي أسوان ومن البحر الأحمر إلي الواحات. وكما سنرى أن مصر كانت مقسمة إلي مملكتين متساويتين في الأهمية تقريبا، وقد استخدمنا هنا كلمة " مملكة " عن قصد إذ

---

[1] PM II², 1994, p. 228 – 229 (12).

[2] Kitchen, K.A., *op. cit.*, p. 259 § 217.

[3] Id., *op. cit.*, p.4 § 2.

[4] Kitchen, K.A., *op. cit.*, p.27 § 24 and 259- 261§ 217.

[5] Id., *op. cit.*, p. 260-261 § 217 - 218

أن "من خبر رع" ادعى الملك، لأن اسمه واسم زوجته قد ذكرا مرارا يحيط بهما الخرطوش الملكي.

بيد أنه يجب ألا نغالي في أهمية هذه المملكة الصغيرة إذ أن سلطة " من خبر رع " كانت تعتمد على وسائل ضعيفة، فقد افتقر بيت مال آمون بدرجة كبيرة وأصبحت خزائنه خاوية، ولم تعد البعثات الباهظة التكاليف إلي المحاجر في استطاعة كهنة الأسرة الحادية والعشرين، ولا حتى في استطاعة كبيرهم " من خبر رع ". فلا عجب إذا لم يعثر على أثر هام باسم هذا الملك الكاهن الذي اكتفي علي ما يبدو بالحفاظ وصيانة المعابد بالجولات التفتيشية، وترميم ما يتداعى منها. واهتم " من خبر رع " كأسلافه بمومياوات الملوك وكهنة آمون العظام أيضا، كما رمم مومياء "سيتي" الأول للمرة الثانية، مما يدل على أن أعمال التخريب والتدمير لم تنقطع بل استمرت إلي عهده.

نهاية الأسرة

مات " من خبر رع "، بعد ٤٩ عاما أمضاها ككبير لكهنة آمون بينما كان الملك "آمنمؤبي" حاكما في صان الحجر (تانيس)، ونحن لا ندرى شيئا عن صلات القرابة التي كانت تربط الملك الجديد بأسرة " پا نچم" ولا نكاد ندرى شيئا أيضا عن هذا الملك ولا عن خليفته " بسوسنس" الثاني. أما في طيبة فإن عرش الكهنوت كان يشغله اثنان من أولاد "من خبر رع" الواحد تلو الأخر وهما " سمندس" الثاني ثم " پا نچم" الثاني الذي خدم ستة عشر عاما، وتولى من بعدهما شئون كهنة آمون في طيبة الحفيد " بسوسنس" الثالث وكان معاصرا لـ " بسوسنس" الثاني الحاكم في تانيس.

ولم يتخذ واحد من هؤلاء الكهنة النعوت الملكية لذا فأن التواريخ التي وجدت على لفائف المومياوات يجب أن تكون لملوك تانيس الذين ظلوا معتبرين ملوك مصر الشرعيين. ويؤيد هذا الحادث الذي وقع في أواخر كهنوت " پا نچم الثاني "، إذ كانت تعيش في إهناسيا أسرة قوية من الليبو يدعى رئيسها إذاك " "شاشنق" ". وكان ابنه " نمرود " أو "نملوت" قد مات ودفن في مدينة أبيدوس المقدسة إلا أنه اعتدى على مقبرته لإهمال الحراس، فلم يتجه شاشنق إلي كاهن آمون الأكبر في طيبة ليطلب منه التحقيق في الأمر بل اتجه إلي الملك في تانيس الذي أتي بنفسه إلي طيبة وبصحبته الأب "شاشنق" للحصول على القرار الإلهي من آمون، الذي حكم على الجناة بواسطة الوحي. وأرسل الملك إلي أبيدوس، على سبيل التعويض لرئيس الليبو، تمثالا

للابن المتوفى " نمرود ". والجدير بالذكر هنا أن ابن " نمرود " هذا، واسمه "شاشنق" أصبح، بعد ذلك "شاشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين. ونتبين من هذا الحدث أن الليبو كان لهم منذ ذلك الحين حزبا قويا، وأن ظهور أسرة حاكمة من أصل أجنبي في مصر، لم يكن بالأمر الفجائي.

وفي نهاية كهنوت " پا نچم" الثاني تم نقل مومياء "سيتي" الأول و"رمسيس" الأول والثاني من قبورها وخبئت في مقبرة الملكة " إن حعبي" (TT 320) وقد تم هذا دون النقل في النص المكتوب على تابوتي الملكين المذكورين، في السنة السادسة عشرة من حكم " سا آمون "[١]، ولم يستطيع " پا نچم" الثاني أن يشرف على نقل المومياوات الملكية إذ أنه دفن هو نفسه بعد هذا التاريخ بقليل في قبر بالدير البحري كانت قد دفنت فيه من قبل زوجته الأولى " نس خنسو".

وقد أتم عمل "پا نچم" الثاني، ابنه الكاهن الأكبر "بسوسنس" الثالث ففي مدة كهنوته وضعت المومياوات الملكية بعد رحلة أخيرة في المخبأ السابق ذكره، الذي عثر عليه في نهاية القرن التاسع عشر.

وانتهت الأسرة الحادية والعشرون في ظلام تام ولسنا ندرى في أي ظروف استولى المحاربون "الليبو" و الـ "ما" الأقوياء على العرش لأكثر من قرنين من الزمان.

تانيس (صان الحجر)

تقع صان الحجر على بعد حوالي ١٣٠ كيلو مترا شمال – شرق مدينة القاهرة، على الضفة الشرقية لفرع ثانوي لنهر النيل، بحر مويس، المسمى حاليا بحر الصفت الذي يصب في بحيرة المنزلة.

---

[١] PM I, 2^2, p.61

يقع تل صان الحجر عند مدخل بلدة صان التي تتبع إدارياً مركز ومدينة الحسينية محافظة الشرقية. وتبلغ مساحة التل حوالي ٣ كم شمال . جنوب ونصف المساحة شرق . غرب، ويبلغ أقصى ارتفاع له حوالي ٣٢ متراً فوق سطح البحر.

يعتبر تقرير "ون آمون" أقدم مصدر معروف حتى الآن يذكر اسم المدينة، "چعنت " الذي يرجع إلي نهاية الأسرة العشرين، وتثبت الحفائر الحديثة صدق هذه المعلومة إذ لم يعثر على أي أثر يسبق هذا التاريخ[١].

حلت تانيس محل "بر رمسيس" لانحسار المياه وجفاف الفرع البليوزي الذي كان يمر بـ " بر رمسيس " عاصمة مصر في عصر الرعامسة مما أدى إلى هجرة تلك المدينة ولما نشط الفرع التانيسي للنيل أدى إلى ازدهار تانيس فتم نقل العديد من الآثار من الأماكن الأخرى من الدلتا إليها. ومن ناحية أخرى في أعقاب انهيار حكم الرعامسة انقسمت البلاد، استقل "حريحور" بالجنوب واستقل" سمندس" و"تنت آمون" بالشمال، فالكتلة الجنوبية تمثل القوة الدينية أما الكتلة الشمالية فهي الميناء التجاري الهام، القوة الاقتصادية التي ساعدت على سرعة ازدهارها ونموها. ولما حدث التقارب بين الشمال والجنوب أخذت تانيس تتهيأ لتكون عاصمة لمصر.

وتاريخ تانيس يبدأ بـ "سمندس" الذي حكم ٢٦ عاما إلا أنه لم يعثر له على آثار في تانيس إلا أن اسمه وجد منقوشاً على حجر صغير عثر عليه في معبد آمون وأيضا على آنية كانوبية (أمست) من الألبستر محفوظة في مجموعة خاصة[٢]. ولكن خليفته "بسوسنس" الأول هو صاحب النشاط الأكبر في المدينة والموقع، فهو صاحب نشاط معماري ضخم بمنطقة المعابد فشيد سورا ضخما حول معبد آمون طوله حوالي ٣٠٠ مترا وعرضه ٢٠٠ مترا بسمك يصل إلى ٢٧ مترا مما يدل على عصر مستقر سياسياً، كما شيد مقبرة رائعة بنقوشها، غنية بأثاثها الذي يشير إلى رقى الفن وجماله في هذه الفترة[٣]. ويستمر النشاط الديني والسياسي تحت حكم خليفته "آمنمؤبي" الذي كشف له عن مقبرة بها تابوت فارغ وقد نقل لسبب غير معلوم إلى حجرة دفن الملكة "موت نجمت" بمقبرة الملك "بسوسنس" الأول حيث تم العثور على ثروة جنائزية ضخمة. وتم الكشف بجنوب تل صان الحجر عن معبد كبير خصص لعبادة الإله "آمون إم إيبت". وبرزت تانيس على الساحة الخارجية مع الملك "سا آمون" الذي تم الكشف له عن لوحة تمثله وهو يؤدب

---

[١] *GDG* VI, p. 111.

[٢] Leclant, J., et autres, *Tanis , l'or des pharaons*, Paris,1987, p.162 – 163 (photo).

[٣] Id., *op. cit*., p. 220 (69),222 – 223 (71), 227 -228 (72 – 73), 236 -237 (77 -78),244 -245 (81), 250 – 251 (86, 88)254, 256 – 263 (90- 91, 93), 270- 271 (104).

الأعداء كما ظهر له نشاط كبير بمعابد آمون وموت. وفى الأسرة الثانية والعشرين ورغم أن تل بسطة كانت عاصمة لمصر إلا أن تانيس ظلت هي المركز السياسي والديني إذ كان لملوكها منذ عهد "شاشنق" الأول آثار كبيرة عثر عليها تتلخص في البناء وتشييد المقابر وتجديد البوابات وتوسيع المعابد وإصلاحها خاصة معبد آمون. واستمرت صان تقوم بدورها على استحياء إلى أن جاء العصر الصاوي وترك آثارا تشير إلى نشاط معماري منها أعمدة من الجرانيت تحمل اسم "أبريس" عثر عليها بمعبد موت وودائع أساسات تحمل اسمه. وتلا العصر الصاوي فترة ركود دلت عليها قلة المادة الأثرية. وتبدأ تانيس مثل المدن الكبرى في مصر تتأثر بالنهضة الكبرى لملوك الأسرة الثلاثين وخاصة عصر "نختنبو" الأول الذي يمكن إيجاز أعماله: إعادة تجديد وتخطيط معبد آمون وحرمه وذلك بتشييد سور حجري كبير مازالت أطلاله باقية بالناحية الشرقية. وكذلك تشييد السور الكبير من الطين النيئ والذي يتميز بالدخلات والخرجات، وكذلك نشاط كبير بمعبد " موت " والبحيرة المقدسة والآبار. وفى الفترة البطلمية تشهد عليها آثار "بطليموس" "سوتير" بمعبد آمون و"بطليموس" الرابع بمعبد موت وقد تم العثور على كنز ضخم يحتوى على ٤٦٥ قطعة من العملة باسم "بطليموس" السادس وذلك بمعبد آمون. كما شهد هذا العصر نشاطا دينيا كبيرا متمثلاً في زيادة الاهتمام بالمعابد وظهور عبادة "حورس ميسن" الذي خصص له معبد كبير يتوسط تل صان الحجر، عادلت شهرته شهرة عبادة آمون.



منطقة المعابد بتانيس حاليا

نقلا عن

http://www.touregypt.net



أحد أبار المياه بتانيس

نقلا عن

http://www.touregypt.net

دولة آمون الإلهية في الأسرة الحادية والعشرين

من البديهي أن ما سيليي من أحداث لا ينطبق إلا على مصر العليا، الجنوب والنوبة، أي على المنطقة التي كانت خاضعة من قبل خضوعا مباشرا لحكم الكاهن الأعظم لآمون ومع هذا فإن الاحتمال ضئيل في أن الموقف كان يختلف في الشمال إذ يلوح أن الأصل المشترك بين ملوك تانيس وكهنة آمون كان يستدعى فكرة عن الحكم متجانسة على وجه التقريب[١].

كانت العلاقات بين الإله آمون والملك وثيقة للغاية من قبل الدولة الحديثة وقد رأينا الدور الهام الذي لعبته القرارات الإلهية كلما استدعى الأمر حل أزمة حادة بل يمكن القول أن القرار

[١] انظر بيان الزواج بين أسرتي طيبة وصان الحجر عند جاب الله على جاب الله، تاريخ مصر في عصر القديم الانتقال الثالث، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٢.

الإلهي كان يتدخل أكثر مما نظن. يثبت لنا من بضع برديات جمعها تشرني أخيرا أنه حتى في الأحوال العادية كانوا ينتظرون الحكم النهائي من الإله، ولذا فإنه من الصعب معرفة الفكرة الصحيحة التي كانت لدي المصريين عن القرارات الإلهية سواء أكانوا يعتقدون في تدخل الإله أم أنهم اعتبروا القرار الإلهي وسيلة سهلة للتخلص من المشاكل. ولكن في الدولة الحديثة لم تكن المسائل القضائية خاضعة للقرار الإلهي بل لقرارات هيئة التحكيم المؤلفة طبقا لأصول العهد. أما في الأسرة الحادية والعشرين فقد كان يحكم في مثل هذه المسائل عن طريق القرار الإلهي (الوحي). وقد رأينا كم كان الالتجاء للقرار الإلهي متنوعا في ذلك العصر، نفي العصاة ثم العفو عن المنفيين والحكم على القتلة في حادث الفتنة التي سبقت وصول الكاهن الأكبر " من خبر رع " إلي الكرنك، الحكم في الشكوى التي قدمها الرئيس الليبي " "شاشنق" " ضد الذين انتهكوا حرمة مقبرة ابنه " نمرود".

كان بديهيا أن الذي يختار هو كبير الكهنة الكاهن متسترا وراء القرار الإلهي لكنه من الصعب معرفة الأسباب التي دفعته لأن يحكم بهذا الاحتيال ويميل دريوتون وفانديبه لأن يسندا إلي ضعف الملوك الكهنة هذه الرقة في الفرار من أية مسئولية في شئون الحكم[١]، ونضيف نحن بأنها وسيلة سهلة للسيطرة على عقول السذج.

وأخيرا فإن الروح الدينية عند الكهنة الكبار كانت خليطا من المهارة المهنية والخرافات وأنهم عرفوا كيف يستغلوا الخرافة وأن يحولوها لمنفعة شخصية. ولم تكن حكومة الكهنة العظام في رأى العالمان الفرنسيان دريوتون وفانديبه سوي: "دكتاتورية خالية من المثل الأعلى تتنكر في ثياب السلطة الإلهية".[٢]

وقبل أن نترك الأسرة الحادية والعشرين يجب أنه ننوه هنا بقصة خبيئة الدير البحري التي تعرضنا لها فيما سبق وأشرنا إليها في بضع سطور.

خبيئة الدير البحري

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديبه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص ٥٧٢.

[٢] نفس المرجع ، ص ٥٧٤ .

لقد أشرنا من قبل إلي حوادث الاعتداء على المقابر الملكية وسرقتها من عهد الأسرة العشرين والتي أدت في النهاية إلي بعثرة مومياوات العديد من ملوك مصر العظام وكهانها وبعض من ملكاتها.

وكان لملوك الأسرة الحادية والعشرين عمل حسن ألا وهو اهتمامهم بإصلاح ما حدث من اعتداءات على مومياوات الفراعنة السابقين وإنقاذها بتجميعها في مقبرة تقع بالقرب من معبد الملكة "حتشبسوت" بالدير البحري كما قاموا أيضا بتجميع مومياوات كبار الكهنة والكاهنات في مكان قريب من المكان السابق ذكره. وتم هذا في عصر الكاهن الأكبر لآمون " پا نچم " الأول وأولاده.

واستمر أمر هذه الوديعة سرا حتى عام ١٨٧١ وفي هذا العام تمكن أفراد عائلة عبد الرسول من سكان القرنة (الشيخ عبد القرنة)، غرب الأقصر، من التوصل إلي مكان الخبيئة واكتشاف سرها.

وظل الأمر سرا بين ثلاثة إخوة كانوا يذهبون في أوقات متباعدة لنهب ما بها من آثار وبلغ مدى حذرهم أنهم لم يدخلوا المكان أكثر من ثلاثة مرات خلال عشرة سنوات، باعوا خلالها الكثير إلي الأجانب، فبدأت تظهر في أسواق أوروبا العديد من هذه الآثار وخاصة العديد من البرديات الهامة. ولفتت هذه الظاهرة أنظار المسئولين عن الآثار في مصر فسرعان ما بدأت التحريات التي أجمعت أن مصدر هذه الآثار الملكية والبرديات هو أحد أفراد عائلة عبد الرسول وكيل قنصل انجلترا في مدينة الأقصر، وقبض على عبد الرسول الذي لم ينجح التهديد ولا التحقيق في حمله على الاعتراف فتم الإفراج المؤقت عنه وبعد هذا طالب هذا الشخص أخويه أن يكون له وحده نصف الخبيئة. ودب الشقاق في صفوف الإخوة الثلاثة، وهنا حدثت المعجزة عندما ذهب محمد عبد الرسول لمقابلة مدير قنا وأبدى استعداده للإرشاد عن مكان الخبيئة بما تحويه من ذهب وأثار . ووصل رجال الآثار إلي مكان الخبيئة وكان هذا في عام ١٨٨١ فوجدوا العشرات من التوابيت والمومياوات والكثير من الأثاث الجنائزي الخاص بهؤلاء الملوك.

كان بين المومياوات التي عثر عليها مومياوات ملوك عظام حكموا مصر وعملوا على أن تكون أعظم بلاد الدنيا: "سقنن رع"، "أحمس"، "تحوتمس" الثالث، "أمنحوتب" الثاني، "أمنحوتب" الثالث، "سيتي" الأول و"رمسيس" الثاني ....الخ هذا إلي جانب العديد من مومياوات بعض أميرات وملكات مصر وهي معروضة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.

في نهاية القرن الماضي أرشد محمد عبد الرسول إلي المكان أو الخبيئة التي كانت تضم مومياوات كهنة وكاهنات آمون حيث تم العثور على ١٥٣ تابوتا إلي جانب العديد من الصناديق التي احتوت على تماثيل الخدم أو الأوشابتي هذا بالإضافة إلي أعداد كبيرة من البرديات. وهكذا شاءت الأقدار أن تحتفظ مصر بمومياوات ملوكها العظام وصناع حضارتها الخالدة.

علاقة مصر بالشرق الأدنى القديم
خلال الأسرة الحادية والعشرين

للآسف الشديد أن الآثار والمصادر المصرية لم تمدنا بأي معلومات تساعدنا وتلقى الضوء على علاقة مصر ودول الشرق الأدنى القديم خلال الفترة الزمنية التي استغرقتها هذه الأسرة.

وباللجوء إلي المصادر الخارجية استطعنا الإلمام ببعض ملامح هذه الفترة أولا يجب أن نذكر أنه من خلال القصة "ون آمون" عرفنا أن "سمندس" تمكن من المحافظة على العلاقات التجارية بين مصر وجيرانها من السوريين والفلسطينيين.

ومن خلال وثائق العهد القديم عرفنا أن كلا من سوريا وفلسطين كانتا تتمتعان بالاستقلال السياسي، وأن مملكة إسرائيل بدأت في الظهور على المسرح السياسي في هذه الفترة، وأن الملك دافيد (داود) أصبح حاكما على القبائل العبرانية وأنه اختار من أورشليم (القدس) عاصمة لمملكته.

وفي الفترة الأولى من حكم الملك داود هاجمت قواته إمارة " أدوم " فقام كبار رجال الإمارة بتهريب ولى العهد إلي مصر وكان هذا الأمير الذي يدعى "هداد " يبلغ من العمر عامين أو ثلاثة ونشأ الأمير الطفل في قصر الفرعون الحاكم الذي لم يذكر للأسف اسمه فرباه وزوجه من شقيقة الملكة المصرية ورزق " هداد " منها بابن نشأ هو أيضا في القصر الملكي مع أولاد فرعون (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١١:١٤-٢٢).

وجاء بعد داود سليمان الحكيم وكما ورد في (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١:٢٢ – ٢٤) وأن سليمان تزوج بابنته أحد فراعنة مصر وأن هذه الأميرة[١] أقامت في مدينة داود حتى انتهي سليمان من بناء معبده وحائطه الشهير في مدينة القدس الحالية (سفر الملوك الأول، الأصحاح ٩ : ٢٤ –٢٥) (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١١، ١).

وقد سبق هذا الزواج الذي كان بمثابة تحالف سياسي، احتكاك حربي، فقد بعث "سا آمون" بجيوشه إلي فلسطين فاستولت ودمرت بلدة " جزر " وانتهت العملية الحربية بهذا الزواج الذي سبق ذكره والذي كان بمثابة تحالف مع إمارة إسرائيل.

ويذكر العالم الانجليزي كيتشن أن الأمر الذي أدى إلي القيام بمثل هذه العملية العسكرية هو الحد من نشاط التجارة الفلسطينية ومنافستها لمصر التي كانت تعانى أيضا من منافسة الفينيقيين التجارية[٢].

---

[١] Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt*, Warminster 1973, p 280 - 283 § 235 (ii), 236.

يجد ردفورد صعوبة أن هذا الزوج قد تم تاريخيا بالفعل: Redford, D. B., *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Cairo 1993, p. 311 and n. 17.

[٢] Kitchen, K.A., *op. cit.*, p 281 and § 236.

الأسرتان الثانية والعشرون الثالثة والعشرون

٩٤٥– ٧١٥ ق. م

أ . ملوك الأسرة الثانية والعشرون

٩٤٥ – ٧١٥ ق. م

شاشنق الأول	٩٤٥–٩٢٤ ق.م.
أوسركون الأول	٩٢٤–٨٨٩ ق.م.
شاشنق الثاني	٨٩٠ ق. م.
تاكلوت الأول	٨٨٩ – ٨٧٤ ق. م
أوسركون الثاني	٨٧٤ – ٨٥٠ ق. م
تاكلوت الثاني	٨٥٠ – ٨٢٥ ق. م
شاشنق الثالث	٨٢٥ – ٧٧٣ ق. م
بامي	٧٧٣ – ٧٦٧ ق. م
شاشنق الخامس	٧٦٧ – ٧٣٠ ق. م
أوسركون الرابع	٧٣٠ – ٧١٥ ق. م

ب . ملوك الأسرة الثالثة والعشرون (البوبسطية)
٨١٨ – ٧١٥ ق. م

هم ملوك لأقاليم مختلفة عاصروا ملوك الأسرات الثانية والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين.

الملوك	التاريخ
پا دي بستت إيوبوت الأول شاشنق الرابع أوسركون الثالث تاكلوت الثالث رود آمون بف توي بستت إيوبوت الثاني شاشنق السادس ؟	٨١٨ – ٧١٥ ق.م تواريخ تقريبية

أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين

سبق أن ذكرنا أن الملك الجديد هو ابن ذلك الأمير الليبي "نمرود" الذي انتهكت حرمة قبره في عهد الملك "سا آمون" والكاهن الأكبر "پا نچم" الثاني. وفي ذلك العصر كانت هذه الأسرة الليبية مستقرة في مصر منذ ستة أجيال وهي تنحدر من رئيس من رؤساء المشواش يسمى " يويوواوا "، كان يعيش على وجه التقريب في أواخر عصر الرعامسة في إحدى واحات الصحراء

الليبيـة[١]. وكـان المشـاواش أو المشـواش قد جـاءوا إلـي أفريقيـا مـع " شـعوب البحـر" التـي كثيـرا مـا وضعت غزواتهم المتتالية مصر في خطر قبل ذلك بقرن أو بقرنين وسرعان ما فرضوا أنفسهم على السكان الأصليين وعلى القبائل المهاجرة. وقد رأينا من قبل أنهم هم الذين شرعوا في غزو الدلتا فـي عهد "رمسيس" الثالـث فلمـا صـدهم فرعـون مـرتين تراجعـوا عـن فـرض أنفسـهم بـالقوة ولكنهم نجحـوا فـي التسـلل سـلميا ولمـا كـانوا مـن القـوم المحـاربين فقد اسـتعان بهـم ملـك مصـر كمرتزقة، ويقول دريوتـون وفاندييـه[٢] وقدرت خدماتهم تقديرا يكاد يسمح بـأن نؤكد أنـه ابتداءً من الأسرة العشرين، فيما عدا بضـع نـوبيين، كـان الجيش المصـري مؤلفا مـن الليبيين دون سـواهم. وفي الحقيقة أنهم لم يجدوا فرصة لإثبات براعتهم في القتال وذلك لأن السلم قد ساد هذه الفترة التاريخيـة، فكـانوا موزعين في بـادئ الأمـر بين عدد من الحاميات يعيشـون من هبـات الأراضـي كأجر لهم. وهكذا استطاعوا أن ينشئوا في مصر جاليات سرعان ما عظمت أهميتها، وكان يرأس كل حاميـة رئيس يحمل لقب الرئيس الكبيـر لـ "مـا" اختصـار للرئيس الكبيـر للمشـواش، ومـع أن المشواش والليبو المقيمين في مصر كانوا دائما يتجمعون في جاليات إلا أنهم سرعان ما تمصـروا وتحولوا إلي الديانة والعادات المصرية. وقد رأينا فيما سبق أن "شاشنق" أمير إهناسيا قد دفن ابنه "نمرود" أو "نملوت" طبقا للعقيدة المصرية في أبيدوس، أرض أوزيريس وأنه خضـع لقرارات الآلهة كما كان يفعل أي مصري متدين،[٣] إلا أنهم احتفظوا بأسمائهم الأجنبية وبعادة غرس الريشتين في شعورهم[٤].

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص٥٧٤.

[٢] المرجع السابق ص ٥٧٤.

[٣] انظر نص اللوحة الجرانيتية المكسورة التي لم يبقي منها سوي القاعدة وعليها جزء من النص الأصلي:
Blackman, *JEA* 27, 1927, 83 – 95; Menu, B., *CRIPEL* 5, 1979, p. 183 – 189.

[٤] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٥٧٥.

شاشنق الأول، حدچ ستب إن رع[1]

٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م

حكم "شاشنق" الأول واحد وعشرين عاما تقريبا وتزوج من الملكة " كاروماما" الأولي (كارعاماعت). أما أسرة الملك الجديد "شاشنق" الأول فكان لها مصير يختلف بعض الشيء، فقد انضم "موسن بن يويو واوا" إلي سلك كهنة الإله "حرى شفيت" في إهناسيا حيث كان يقوم بوظيفة "أب إلهي". ورغم أن خلفاءه المباشرين حملوا نفس اللقب إلا أنهم سرعان ما حصلوا على سلطة في الإقليم بل وفي مصر الوسطى تتجاوز بكثير ما كان لكهنة "حرى شفيت" العاديين وعلى أية حال فإن المدعو "شاشنق" الذي ذكرناه مرارا قد نجح في فرض نفسه رئيسا على الحربية الليبية التي يحتمل أنها كانت في إهناسيا إذ أنه كان يحمل إلي جانب اللقب الوراثي لقب " الرئيس الكبير لـ "ما " الذي احتفظ به ابنه "نمرود" أو "نملوت" كما كان يحمله الملك "شاشنق" الأول قبل توليته الحكم. أما عن كيفية وصول "شاشنق" إلي الحكم، ففي نطاق معلومتنا الحالية هو عن طريق المصاهرة بزواج ابنه "أوسركون" من ابنة "بسوسنس" الثاني الأميرة "ماعت كا رع" الثانية.

وعند مانيتون نجد أن هذه الأسرة الجديدة من أصل بوباسطي لا من أصل إهناسي، ومن المحتمل أن يكون ابن "نمرود"، "شاشنق"، فيما بعد الملك "شاشنق" الأول، مد سلطانه إلي تل بسطة حيث عثر على قاعدة تمثال منقوش عليها "الرئيس الكبير لـ "ما" "شاشنق" (المتحف المصري بالقاهرة)، وأن هذا التمثال كان سابقا لتوليه الحكم وعلى مجيء الأسرة الجديدة[2]. وعلى كل حال، يبدو أن الملك الجديد لم يستولى على العرش عنوة بل أنتظر موت "بسوسنس" الثاني الذي لم يترك وريثا ذكرا، وهناك أدلة على أنه كرم ذكرى سلفه ونعرف أنه زوج ابنه وولى عهد "أوسركون" الأول من ابنة "بسوسنس"الثاني، " ماعت كا رع " الثانية حتى يضفي على موقف العائلة الشرعية من جميع الوجوه[3].

---

[1] هو أيضا اسم "سمندس" الأول وكأنه يعلن عن بداية عهد جديد.

[2] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص ٥٧٥.

[3] Kitchen, K. A., *The Third Intermediate Period in Egypt*, Warminster 1973, p. 286 § 240; Dodson, A. Hilton, D., *The Complete Royal Families ancient Egypt*, p. 212 - 213, 219

أما في طيبة فيبدو أن الحدث لم يقابل بالترحاب رغم أنه لم يكن في مقدرة كهنة آمون تجاهل تولية "شاشنق" الأول العرش، إلا أنهم راوغوا في الاعتراف به كما يستدل من النص الذي عثر عليه بالكرنك وهو مؤرخ من " السنة الثانية للرئيس الكبير لـ "ما" شاشنق"، كما يوجد نص آخر مؤرخ بالعام ١٣ من حكم الملك "شاشنق مري آمون" أي "شاشنق المحبوب من آمون". وقد اتجه ظن العلماء دائما إلي أن مجموعة من كهنة آمون هجرت طيبة هربا عندما تولى "شاشنق" الحكم ولجأت إلي النوبة العليا واستقرت في نباتا، وبناء عليه يكون هذا هو أصل الملوك السودانيين عبدة آمون المخلصين؟ ولكن سرعان ما فرض "شاشنق" الأول سيطرته على مصر كلها وعين ابنه الثاني "أيوبوت" كبيرا لكهنة آمون بطيبة، قائدا للجيش وحاكما للصعيد[١] .

سياسة شاشنق الأول الخارجية

بعد أن اطمأن "شاشنق" الأول على الأوضاع داخل مصر بدأ يتجه بناظريه إلي خارجها : إسرائيل، النوبه وببلوس (چبيل).

١. إسرائيل

لجأ " يربعام " من سبط أفرايم في نهاية حكم "سليمان" إلي بلاط "شاشنق" الأول فرعون مصر، لجاء لينجو من الموت الذي كان يهدده به "سليمان" (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١١: ٤٠). كانت سياسة فراعنة مصر واضحة تجاه إسرائيل، فقد كانوا يتظاهرون بأنهم على وفاق مع ملوكها الأقوياء لكنهم في الحقيقة لم يتركوا أية فرصة لإضعافهم وتشجيع كل محاولة للانشقاق عليهم، آملين أنهم يستطيعون أن يستردوا يوما نفوذ أسلافهم دون أن يضطروا إلي شن حروب طويلة.

ولم تلبث أن سنحت الفرصة وحدث بالفعل في فلسطين الانشقاق المرجو والذي تنبأ به النبي أخِيا الشيلوني (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١١ : ٢٩ – ٣٤)، عندما عاد " يربعام " إلي مملكة إسرائيل " بينما كون " رحبعام " بن سليمان مملكة يهوذا الصغيرة وحدث هذا

جاب الله على جاب الله، تاريخ مصر القدم، عصر الانتقال الثالث، القاهرة ١٩٩٧، ص ٣٠.

[١] Kitchen, K.A., *op. cit.*, 289§ 244.

في حوالي عام ٩٣٥ ق.م. وبعد ذلك بخمس سنوات، قام ملك مصر "شاشنق " الأول بحملته الشهيرة على فلسطين:

"في السنة الخامسة من حكم رحبعام حنق شيشاق " شاشنق " ملك مصر على أورشليم واستولى على كنوز بيت الرب وكنوز الملك. أخذ كل شيء، أخذ كل التروس الذهب التي صنعها سليمان". (سفر الملوك الأول، الأصحاح ١٤: ٢٥-٢٦). وهكذا انتصر "شاشنق" الأول انتصارا مازال له دويه الكبير.

لكن المصادر المصرية ليست لسوء الحظ بهذه الدرجة من الدقة، والتلميحات البسيطة التي بقيت لنا من حملة "شاشنق" الأول في فلسطين ممثلة على الواجهة الخارجية للحائط الجنوبي لمعبد الكرنك. فقد نقش الملك عليها قائمة طويلة للمدن التي استولى عليها في آسيا، إلا للأسف أن هذه القائمة غير كاملة الآن إذ لم يبقى من المائة والخمسين اسما على الأقل التي كانت تتألف منها القائمة الأصلية غير النصف تقريبا. وكل المدن المذكورة تحمل أسماء كنعانية وكانت واقعة إما في مملكة يهوذا وإما في مملكة إسرائيل. ولكن على ما يبدو أن الفرعون لم يتجاوز الحد الشمالي للجليل[1]. ومن الملاحظ أن اسم أورشليم لم يظهر فيما تبقي من أسماء المدن المهزومة ويحتمل جدا أن يكون قد كتب في الأجزاء المفقودة الآن من القائمة، إلا أننا يجب أنه نشير أنه من بين أسماء البلاد المذكورة اسم " حقل أبارام" (إبراهيم) حيث يظهر فيه اسم جد العبرانيين لأول مرة في وثيقة تاريخية[2].

كان لحملة "شاشنق" الأول نتائج هامة بالنسبة لمصر وهيبتها بين جيرانها، كما كان لها أهمية قصوى بالنسبة لخزائن الدولة لما كدسه داود وسليمان في بلادهما من كنوز لا تحصي ولا تعد، ولابد أن أورشليم كانت بصفة خاصة من أغنى إمارات ذلك العصر. ولابد أن هذا صحيح إذ أن مصر عاشت ما يقرب من قرنين على هذه الغنيمة التي آتى بها "شاشنق" الأول من فلسطين. وبفضل ما أتي به هذا الملك الجديد استطاع من أتي بعده من ملوك أن يستأنفوا أعمال أسلافهم المعمارية وأن يعود لطيبة، على الأخص، بعض ازدهارها القديم.

---

[1] انظر الخارطة المقدمة من (Kitchen, *op. cit.*, p. 297).

[2] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص٥٧٧؛ رمضان عبده على، معالم تاريخ مصر القديم، القاهرة د.ت، ص ٥٦٢.

وكان من النتائج الهامة التي أدت إليها أيضا هذه الحملة المنتصرة على فلسطين هو عودة هيبة مصر إلي مكانتها القديمة في آسيا. ولم يعد في الاستطاعة أن تتكرر بعد حملة "شاشنق" الأول قصة " ون آمون " الذي هزأ به ملك چبيل في أوائل الأسرة الحادية والعشرين.

٢. النوبـة

انتهج "شاشنق" الأول سياسة مختلفة تجاه النوبة التي كانت شبه مستقلة منذ مائة وخمسين عاما، ابتدءا من تمرد نائب الملك في النوبة "پا نحسي" من العام ١٩ من حكم "رمسيس" الحادي عشر، حوالي ١٠٨٠ ق. م[١]. ولما أعتلى "شاشنق" الأول الحكم فتح طريق التعامل مع النوبة سواء كان طريق الحرب أو العلاقات الودية والتجارية. ولكن للأسف النصوص هنا غير واضحة ففي أحد نصوص الكرنك غير الكاملة يذكر الملك أنه أتي لآمون بمنتجات "أرض النحسيو" اللازمة في الطقوس والقرابين[٢].

٣. چبيل

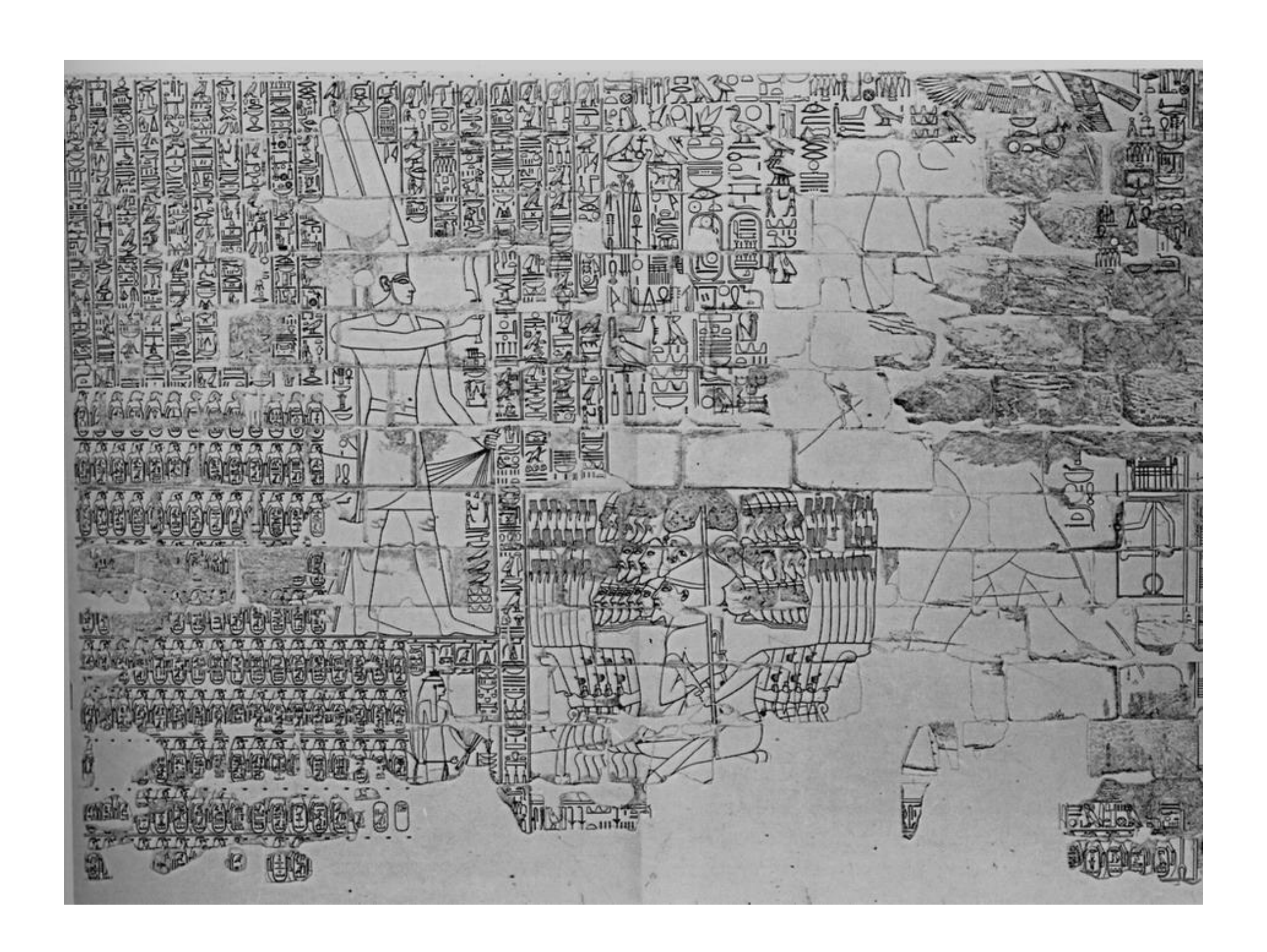
خلال قرون طويلة، قبل "شاشنق" الأول وعلاقات مصر التجارية وغيرها مع بيبلوس، چبيل لم تنقطع. إذ استمر المصريون يستوردون منها أخشاب الأرز، واستمر الحال حتى في عصر "رمسيس" الحادي عشر و"حريحور" (قصة ون آمون). واستمر الوضع دون تغير في عصر "شاشنق" الأول الذي أرسل تمثالا له ليوضع في معبد "سيدة چبيل، بعلات الجبل"، أضاف عليه ملك بيبلوس "أبي بعل " نصا نقشه على قاعدته[٣].

---

١ Kitchen, K. A., *op. cit*., p. 293 § 251 (ii).

٢ Id., *op. cit*., p. 293 § 251 (ii).

٣ PM VII, p. 388.



آمون رع يقدم المدن السورية – الفلسطينية إلي شاشنق الأول بينما الملك يقضي على الأعداء،
منظر منقوش على واجهة الكتف الجنوبي للرواق البوبسطي بالكرنك

خلفاء شاشنق الأول

للأسف الشديد أن تاريخ ملوك الأسرة الثانية والعشرين مختلط للغاية وأسبابها متعددة وأهمها غياب النصوص الملكية غيابا يكاد يكون كاملا لأن أغلبها أتي من الدلتا حيث حكم هؤلاء الملوك ودفنوا. لذا لا يمكننا كتابة تاريخ هذا العصر إلا بالاعتماد على آثار الكرنك والصعيد عامة التي تخص كبار الكهنة وليس الملوك، كان هذا هو رأى دريوتون وفانديه، ولما كان فيه الكثير من الوجاهة فقد رأينا الأخذ به[1].

[1] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، المرجع السابق، ص ٥٧٨.

أ . آثار الملوك

عاش ملوك هذه الأسرة في الدلتا مما يفسر قلة ما عثر عليه وبالتالي ضآلة ما نملكه من معلومات. وقد عثر في عدة أماكن من الوجه البحري خاصة في تل بسطة المقر الملكي، وفي تانيس على بقايا آثار الملوك الليبو المعماري ولكن يجب علينا أن نوضح أنهم لم يهملوا بقية البلاد إهمالا تاما فقد شيد "شاشنق" الأول في الحيبة في مصر الوسطى معبدا أكمله ابنه "أوسركون" الأول وقد تم العثور على أطلاله، وأخيرا في طيبة حيث عثر على أسماء الملوك الليبو منقوشة على آثار عديدة من آثار الملوك السابقين. وقد سبق أن ذكرنا أن "شاشنق" الأول أقام في الكرنك رواقا هائلا وزينه بعد عودته من فلسطين بمناظر حربية وقائمة جغرافية كبيرة وأتم زخرفة هذا الرواق خلفاؤه من الملوك: "أوسركون" الأول و"تاكلوت"الثاني و"شاشنق" الثالث. وأقام "أوسركون" الثاني هيكلا ورمم "تاكلوت"هيكلا آخر لـ"تحوتمس" الثالث كما عثر على اسمه منقوشا على كتلة من الحجر عثر عليها في معبد الإله خنسو بالكرنك وابتداءً من حكم الملك "شاشنق" الثالث تزداد آثار الملوك الليبو ندرة وينتهي أمرها إلي الاختفاء[١].

ب . الملوك وكبار كهنة آمون حتى عصر شاشنق الثالث

لم يبدل تغير الأسرة موقف طيبة تبديلا محسوسا فنصب "شاشنق" الأول ابنه " يووابت" "أيوبوت" كاهنا أكبر وكان يحمل كسابقيه في العصر الصاني (نسبة لصان الحجر) لقبي " رئيس الجيوش الكبير " و" حاتي عا " ولكن بعد وفاة هذا الأخير لم يخلفه ابنه بل خلفه في الحكم ابن أخيه الملك الحاكم "أوسركون"الذي عين كاهنا أكبر جديدا هو "شاشنق". وهكذا تفادى الملك "أوسركون" الخطر الذي يمكن أنه ينتج عن تكوين أسرة من الكهنة موازية للأسرة الحاكمة.

ولكن الخطر لم يبتعد تماما إذ كان الكاهن الأكبر الجديد "شاشنق" الذي كان يحمل ألقاب "سيد الجنوب والشمال والرئيس الكبير لجيوش مصر بأسرها" ، من القوة بحيث حصل من والده على إذن بنقش اسمه داخل خرطوش ملكي. وقد لاحظ مايير ملاحظة فيها الكثير من الصواب وهي أنه لم يكن هناك اغتصاب للعرش ولا عصيان ضد "أوسركون" الأول، بل كان مجرد اتفاق بين الملك والكاهن الأكبر لآمون الذي كان في نفس الوقت ابنه. ولكن دريوتون وفانديه يريان رأيا لهما أن ثمة اتفاق ينم عن ضعف الملوك، ويضف هذان العالمان الفرنسيان أن موت "شاشنق" يمدنا بدليل جديد على هذا الضعف، إذ من خلف كبير الكهنة "شاشنق" هو

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، المرجع السابق، ص ٥٧٩.

ابنه "حر سا إست" وليس أحد أبناء الملك الحاكم[١]. وهنا يحدث تحول جديد في السياسة الداخلية ناتج عن ضعف الملوك في مقابل قوة كهنة آمون، قوة أتاحت لهم توريث هذا المنصب الكبير لأبنائهم.

أما "حر سا إست" فقد حمل أيضا الألقاب الملكية، كما فعل أبوه من قبل، وكان معاصرا للسنوات الأخيرة من حكم أوسركون الأول وحكم "تاكلوت"الأول. وبعد وفاة هذا الأخير حدث تحول سياسي هام إذ وضع الملك الجديد "أوسركون" الثاني ابنه "نمرود" أو "تملوت" على رأس كهنة آمون. و كان "نمرود" عند توليته رئيسا لكهنة "حرى شفيت" في إهناسيا وأننا لنذكر أن هذه المدينة كانت مهد الأسرة المالكة ومن المحتمل أنها لعبت دورا هاما حتى يصبح لرئيس كهنة معبودها الرئيسي، اليد العليا على كل بالوجه القبلي. وبعد أن أصبح لـ "نمرود" كل هذه السيطرة على كهنوت آمون وبالتالي على جنوب مصر، تزوجت ابنته من الملك "تاكلوت" الثاني وولد من هذا الزوج الأمير "أوسركون" الذي نصب كبيرا لكهنة آمون بطيبة، وكان هذا في العام الحادي عشر من حكم أبيه "تاكلوت" الثاني.

جـ - الأزمة

كان ولي العهد الأمير "أوسركون" لا يزال صغيرا عندما تولي منصب كبير كهنة آمون بطيبة، ولكن سرعان ما بدأت الأزمة إذ ترك لنا الأمير "أوسركون" على جدران بوابة الرواق البوبسطي بالكرنك حوليات تتعلق بالأحداث الغامضة ولكنه يرويها بإيجاز شديد تاركا جانبا الكثير من التفاصيل[٢]. يشير "أوسركون" إلي فتنة داخلية نشبت في العام الخامس عشر من حكم "تاكلوت" الثاني[٣]، شملت مصر كلها واضطرته إلي مغادرة مقره ولم يعد إلي طيبة إلا بعد أن هدأت الثورة، فاستقبله الشعب استقبالا طيبا أعلن على أثره، بإذن من آمون، العفو العام. جرت الأحداث على ما يبدو بطريقة مختلفة، إذ يحتمل أن الثورة التي اندلعت ضده في طيبة اضطرته إلي الفرار جنوبا. وقد تم العثور على نص في معبد الكرنك نعرف منه أنه عاد إلي طيبة بعد هذا الحدث بعشر سنوات أي في العام الخامس والعشرين من حكم نفس الملك، إلا أن هذا الهدوء لم يدوم طويلا ففي العام السادس من حكم "شاشنق" الثالث[٤]، كان " حر سا إست " الثاني يشغل

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، مصر، د.ت، ص ٥٧٩.

[٢] PM II^2 /1 , p. 35 - 36(124- 127). ؛ اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٥٨٠.

[٣] جاب الله على جاب الله، تاريخ مصر القديم، عصر الانتقال الثالث، ص ٤٣ – ٤٤.

[٤] شغل "شاشنق" الثاني منصب كبير كهنة آمون ومات في حياة أبيه بعد مشاركة قصيرة في الحكم. أنظر:
Dodson, A. Hilton, D., *The Complete Royal Families ancient Egypt*, p. 222.

منصب كبير كهنة آمون في طيبة، ولا نعرف الكثير عن هذا الكاهن الجديد، لكن يكاد يكون مؤكدا أن الظروف التي قادته إلي كهنوت آمون لم تكن غريبة عن الفتنة التي تكلمنا عنها. ولكن بعد عام واحد عاد "أوسركون" مرة أخرى لرئاسة كهنوت آمون في طيبة، واستمر هذه المرة فترة طويلة إلي أن مات في العام التاسع والثلاثون من حكم "شاشنق" الثالث بعد أن احتفل مع أخيه كبير كهنة "حري شفيت" بعيد آمون والقضاء على الأعداء. ولما مات كبير كهنة آمون، "أوسركون" خلفه في منصبه بطيبة "حر سا است " الثاني الذي كان يشغل هذا المنصب في الفترة التي ترك فيها "أوسركون" طيبة.

د . التمزق والانقسام

مرت الأسرة الثانية والعشرون بمراحل مختلفة لا نعرف منها سوي نقطتي البداية والنهاية، وأن الأحداث التي عصفت بالكاهن الأكبر "أوسركون" مرتين، هي وحدها التي تمدنا ببعض المعلومات التي تساعدنا على تصور ما كان عليه الأمر[1].

على ما يبدو أن ثمن تأييد رفقاء "شاشنق" الأول ليتولي الحكم وممارسة السلطة، كان له التأثير الكبير على مجريات الأمور، إذ كان المقابل هو الحصول على بعض الحرية التي قادت في النهاية إلي فوضي اشتدت على مر السنين، وازدادت زيادة خطرة خلال القرنين التاليين للأسرة الثانية والعشرين.

ويبدو أن أكثر ما أثار إعجاب الكلاسيكيين في مصر هو تقسيم الشعب إلي طبقات، لقد تحدثوا جميعا عن طبقات المهن عند المصريين، ولكنهم لم يتفقوا على عددها وتخصصاتها لأنهم ذكروا على الأخص الطبقات التي احتكوا بها. فيذكر هيرودوت طبقات الكهنة والمقاتلين والرعاة والتجار والتراجمة، وربابنة السفن. ويعطى أفلاطون، الذي يحتمل أنه لم يأتي قط إلي مصر، قائمة أقل تخيلا في مؤلفة "تيمايوس" فيذكر الكهنة والصناع والرعاة والقناصة والمقاتلين. أما ديودور الذي استمد معلوماته من هيكاته الأبديري فإنه لا يتكلم إلا عن الرعاة والصناع والزراع ويضيف أنه من المستحيل الانتقال من طبقة إلي أخرى مما يستدعي توريث الوظائف. ومما يلفت النظر ويخص موضوعنا هذا هو وجود طبقة المحاربين أو المرتزقة التي كان يحرم عليها مزاولة أي مهنة أخرى (هيرودوت وأفلاطون). وقد قسم المقاتلين إلي فئتين: الـ "كالازيرى" وعددهم ٢٥٠,٠٠٠ مقاتلا، والـ "هرموتيبى" وعددهم حوالي ١٦٠,٠٠٠ مقاتلا، وكلتا الفئتين كانتا تخدمان في المشاة وتقتسمان أقاليم الدلتا. وفي الجنوب فإن طيبة وحدها كانت بها حامية في

[1] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٥٨١.

عهد هيرودوت فقط أي في نهاية الأسرة السادسة والعشرون وبداية الأسرة السابعة والعشرون. أما منف وهيلوبولس وأوسيم فقد كانت أماكن لها قدسيتها، ويحتمل أن يكون المسيطر في كل منها كاهن أكبر يختار من بين أمراء الأسرة الحاكمة، وقد طبق نفس الوضع في كل من طيبة وإهناسيا [١]. وكان كل مقاتل يتسلم اثني عشر أرورا من الأرض مع الإعفاء من الضرائب (يبلغ مقدار الأرور حوالي ثلثي فدان) كأجر له. وفي كل عام يستدعى ألف مقاتل من فئة الـ " كالازيرى " وألف مقاتل من فئة الـ " هرموتيبى" من حامياتهم ليكونوا حرسا للملك.

كانت تحكم مدن مصر الكبرى في الدلتا ومصر الوسطي بواسطة رؤساء حربيين من سلالة " رؤساء الما العظام " أو من كبار الكهنة. كان هذا هو الوضع في مصر عندما تولي "شاشنق" الثالث الحكم. فرعون بسلطة مقيدة أو باهته خاصة وأن حكمه استمر ٥٢ عاما، مما أدي إلي حدوث أول انشقاق خطير[٢]. ففي العام الثامن شاركه في الحكم ملك يدعي "با دي باستت" الذي اتخذ هو وأسرته من بعده "لينتوبوليس" بشرق الدلتا مقرا لهم[٣].

وقد رأينا من قبل أن " حر سا إست " قد أصبح بعد موت "أوسركون" " بعد العام ٣٩ من حكم "شاشنق" الثالث بقليل، الكاهن الأكبر لآمون في الكرنك للمرة الثانية ولكن الأحداث المؤرخة من كهنوته لم تعد تتصل بحكم "شاشنق" الثالث وخلفائه بل بحكم الملك "پا دي باستت" الذي اعتبره مانيتون مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين، ومنذ ذلك الحين نلاحظ وجود أسرتين متوازيتين[٤].

نجد عند مانيتون أن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين من أصل صانى (نسبة إلي صان الحجر)، ولكن لابد أن يكون في ذلك الأمر خطأ ما، فإن أصلهم، ربما، كما تبين لنا من أسمائهم "پا دى باستت" و"أوسركون" و"تاكلوت"، إلي أسرة ملوك تل بسطه الشرعيين، الذين ربما أقاموا أولا في صان الحجر ولكن أثناء حملة "پي"(عنخ) لم يكن ممثل الأسرة – "أوسركون" – يقيم في صان الحجر بل كان يقيم في تل بسطه. ولا نعرف تحت أي ظروف أصبح "پا دى باستت" ملكا، ويحتمل أنه أعترف به في البداية في الدلتا ثم اعترف به فيما بعد في طيبة، بعد وفاة الكاهن الأكبر "أوسركون". أما في منف فقد ظل كهنة بتاح على ولائهم لملوك الأسرة الثانية والعشرين طبقا للوحات الـ "أبيس"[٥].

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٥٨١ – ٥٨٢.

[٢] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص ٥٨٣.

[٣] جاب الله على جاب الله، تاريخ مصر القديم، عصر الانتقال الثالث، ص ٤٦.

[٤] اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، المرجع السابق، ص ٥٨٣.

[٥] المرجع السابق، ص ٥٨٤.

أصاب مصر طاعون التمزق وانقسام السلطة وبات الأمر خطيرا، وسرعان ما ظهرت بجوار الأسرتين الرئيسيتين سلسلة طويلة من المتملكين أو الأمراء الذين كانوا يحكمون منطقة لا تتجاوز مساحتها إقليما واحدا وفي أغلب الأحيان لا نعرف عنهم غير أسمائهم[١].

ازداد التفتت منذ عهد "پا دى باستت" إذ أن العام السادس عشر من حكمه يقابل العام الثاني من حكم ملك يدعى "إيوبوت"، وعلى ضوء معلوماتنا الحالية ليس باستطاعتنا كتابة تاريخ هذه الفروع الملكية التي تقتصر وظيفتها، على ما يبدو، على زيادة التمزق الذي نكبت به مصر مما جعلها مطمعا لجيرانها.

حصل الكاهن الأكبر لآمون "حر سا إست" على إذن بكتابة اسمه داخل خرطوش ملكي وربما كان ذلك جزاءا له على خدمات آداها لـ "پا دى باستت". وقبل نهاية حكم هذا الأخير مات "حر سا إست" (؟) وحل محله على رأس كهنوت آمون المدعو "تكلوت" الذي يرجح أنه ينتمي إلي الأسرة المالكة، وفي عهده تقع السنة السادسة من حكم الملك "شاشنق" الرابع الذى يبدو أنه كان خليفة "أيوبوت" الأول ولا نعرف عنه شيئا أكثر من ذلك. ثم يأتي الملك "أوسركون" الثالث وفي عهده تتابع كهنة عظام ثم الملك "تكلوت" الثاني و"رود آمون" و"أيوبوت" الثاني الذى كان ربما أحد أبناء الملك "سمندس" ؟ لتنتهي القائمة بـ "شاشنق" السادس.

ترك ملوك الأسرة الثالثة والعشرين بعض الآثار في مصر العليا وعلى الأخص في الكرنك والأقصر ومدينة هابو، وفي عهد الملك "أوسركون" الثالث حدث فيضان شديد حطم أرصفة معبد الأقصر وأحدث بها خسائر كبيرة، فاهتم الملك بإصلاحها وخلد عمله هذا في نص منقوش. يجب أن نشير هنا إلي الأهمية التي كان الملك يعلقها على ثروة آمون التي مازالت ضخمة، ولكي لا تخرج ممتلكات الإله آمون من بين أيدي الأسرة المالكة، لم يكتف الملك بتعيين أحد أبنائه كاهنا أكبر لآمون[٢] كعادة سابقيه بل عمد إلي أن يهب إحدى بناته زوجة للإله وبذلك تفتتح الأميرة "شب إن أوبت" الأولى ابنة "أوسركون" الثالث قائمة زوجات آمون الإلهيات اللواتي سرعان ما أخذت أهميتهن الدينية والسياسية في النمو على حساب أهمية الكاهن الأكبر لآمون، واللواتي سيصبحن صاحبات السلطة الحقيقية في طيبة لمدة تزيد على قرنين من الزمان.

---

[١] Yoyotte, J., "Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne" in *Mélange Maspero* I / 4, *MIFAO* 66, 1961, p. 120 – 179.

[٢] Kitchen, K. A., *The Third Intermediate Period.*, Warminster 1973, p.352 -353 §314.

أما في "بر باستت" (تل بسطه) فإن الأسرة الثانية والعشرين امتد سلطانها لأكثر من نصف قرن بعد استيلاء " يا دي باستت" على الحكم ولا يعرف عن الملكين "پاماى" و"شاشنق" الخامس (الأسرة الثانية والعشرون) غير اسميهما.

الأسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون
٧٢٠ - ٦٦٤ ق.م

أ – ملوك الأسرة الرابعة والعشرون
٧٢٧– ٧١٥ ق.م

تف نخت	٧٢٧ – ٧٢٠ ق.م
باك إن رن إف	٧٢٠ – ٧١٥ ق.م

بـ – ملوك الأسرة الخامسة والعشرين
٧٤٧ – ٦٥٦ ق.م

پي (عنخ)	٧٤٧ – ٧١٦ ق.م.
شباكو	٧١٦ – ٧٠٢ ق.م.
شبتكو	٧٠٢ – ٦٩٠ ق.م.
طهرقه	٦٩٠ – ٦٦٤ ق.م.
تانوت أماني	٦٦٤ – ٦٥٦ ق .م

صمم "تف نخت" أمام منافسة أقرانه الضعفاء على أن يعيد وحدة مصر لمصلحته الشخصية، ولما كانت هذه الرغبة ولدت في نفس الملك النوبي "بي"(عنخ) خوفا شديدا من عودة الأطماع القديمة كان لابد من أن يقع قتال بين الملكين، وهذا هو ما سنحاول عرضه الآن.

پي(عنخ) وتف نخت[١]

[١] جاب الله على جاب الله، نفس المرجع، ص ٥٨– ٦١.

أ . حملة پي(عنخ)

لم يقبل كهنة آمون في البداية تولية "شاشنق" الأول وهناك البعض من العلماء يعتقد أن طائفة من كهنة آمون هاجرت إلي السودان وأسست هناك حكومة دينية ربها وسيدها آمون (أنظر بداية دولة كوش). كانت عاصمة هذه المملكة هي نباتا وهي بلدة سودانية معروفة منذ زمن بعيد وواقعة عند سفح جبل برقل، وعلى هذا الجبل شيد الملوك معبدا رائعا للإله آمون زخرف على الطراز المصري بالمناظر التقليدية تفسرها نصوص مصرية مكتوبة بالهيروغليفية، رغم أن قد يبدو أن اللغة المصرية كانت اللغة الرسمية في هذه المملكة الجديدة إلا أنها لم تبقى لغة الكلام زمنا طويلا فإن معظم أسماء الأعلام التي نعرفها ذات أصل نوبي. هذا بالإضافة للملامح الإفريقية لملوك الأسرة وأمرائها، والدور البارز للملكة الأم، وقانون انتقال السلطة من الأخ إلي أخيه ثم العودة إلي أبناء الأخ الأكبر،[1] وهناك نفر ثالث من العلماء يعتقد في أنهم أصلا من تمحو بناءً على بعض القرائن الأثرية وقراءة خاطئة لاسم احدي زوجات "بي"(عنخ) ولكن علينا أن نوضح أن "بي"(عنخ) اسم من أصل مصري حمله كاهن أكبر لآمون أيام الأسرة الحادية والعشرين، ابن "حريحور". ومن البديهي أن هذا لا يدل على أن ملوك نباتا هم من سلالة "حريحور" وأن هذا التوافق لا يمكن أن يعتبر تأييدا لأصلهم الطيبي أو أصل أسرة "حريحور" النوبي؟ بل أن "بي"(عنخ) أسرة نوبية محلية.

اعتلى "پي"(عنخ) عرش نباتا حوالي عام ٧٤٧ ق.م. وكان ابنا ووريثا لملك يدعى "كاشتا" لا نكاد نعرف عنه شيئا[2]، وأنه من المؤسف أن تكون معلوماتنا عن تاريخ مملكة نباتا قبل "پي"(عنخ) ضئيلة إلي هذا الحد فقد كنا نحب أن نعرف على الأخص ما إذا كانت سياسة هؤلاء الملوك النوبيين– حول الجندل الرابع– نحو مصر عدائية أم لا ؟ وهل كانت مملكة نباتا مصممة على نسيان الماضي أم أن ملوكهم لم ينسوا أبدا تبعيتهم لمصر ورغبتهم في الثأر؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا هذا الانتظار الذي يصل إلي مدة تصل إلي نحو قرنين من الزمن لكي يتدخلوا في مصر بينما كانت مبررات التدخل عديدة أثناء الأسرة الثانية والعشرين.

---

[1] جان يويوت ترجمة سعد زهران، مصر لفرعونية، سلسلة الألف كتاب ٣٦٠، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٧١.

[2] Dodson, A. Hilton, D., *The Complete Royal Families ancient Egypt*, p. 234 -240.

لا ندرى ما هي الدوافع التي دفعت "پي"(عنخ) لغزو مصر ولكن بما هو معروف عن أخلاق الملك يمكننا الظن أنه كان في رغبته مزيج من الحماس الديني والمصالح والنص الذي تركه لنا عن هذه الحوادث التي كان هو بطلها والمؤرخة من العام الحادي والعشرين من حكمه، لا تروى الحوادث من بدايتها، إذ أن أول النص المنقوش على اللوحة يظهر لنا "پي" (عنخ) وهو صاحب السيادة في الوجه القبلي وإن كنا نعتقد مع يويوت أن التدخل الكوشي يرجع إلي عصر "كاشتا"[١].

وليس لدينا أية تفاصيل على الإطلاق عن الأسباب الحقيقة التي أدت إلي قيام مثل هذه الحملة ، وعلى أية حال فإن "پي" (عنخ) بعد انتصاره كان يقيم في نباتا وكان يتلقى هناك التقارير التي كانت ترسل له من طيبة بانتظام وهكذا كان يستطيع أن يتتبع عن قرب الحوادث الهامة التي كانت تتوالي بسرعة فائقة في الدلتا.

ب . الحالة في الدلتا ومطمع تف نخت أمير صا الحجر (سايس)

في الفترة السابقة للحوادث التي سنرويها مباشرة كانت الدلتا والجزء الشمالي من مصر الوسطى، كما رأينا في قبضة الليبيين من القواد وكبار الكهنة الذين لم يكن سلطانهم يتجاوز حدود إقليم واحد. وقد كان هؤلاء المتملكون (إلا إذا كانوا كهنة عظاما) يحملون لقب " حاتي عا" أو "رپاعتي " وهي ألقاب قديمة لولاة الأقاليم، ويبدو أن المنتفعين من النظام الإقطاعي الجديد اتخذوها عن قصد كما أن بعضهم قد أنتحل النعوت الملكية. وبعد وفاة آخر ملك شرعي وهو "شاشنق" الخامس كان هناك أربعة ملوك على الأقل : "أوسركون" الرابع من سلالة "پا دى باستت" ؟ في تل سطه و"أيوبوت" في "ثنت رمو" و"بف دى پاستت" في إهناسيا و"تملوت" أو "نمرود" في "الأشمونين" [٢]، ومن المحتمل أن هؤلاء الملوك الثلاثة ينتمون للأسرة الثانية والعشرين أي لأسرة الملوك الشرعيين.

---

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، نفس المرجع، ص ١٧٢.

[٢] ظهر هؤلاء مصورين على لوحة "پي عنخ" (المتحف المصري بالقاهرة JE 48862) أنظر:

Grimal, N., "La stèle Triomphale de Pi (ankh)y du Musée du Caire, JE 48862 et 47087 – 47089, *MIFAO* 105, Le Caire 1981, p. 2*.

ومن بين المتملكين في الدلتا كان هناك أمير طموح يدعى "تف نخت" أمير مدينة صا الحجر (سايس) في غرب الدلتا. فصمم على المقاومة وشرع في إعادة وحدة مصر لمصلحته الخاصة، فلم يجد أية مقاومة في الاستيلاء على مختلف أقاليم الدلتا الغربية ثم على أقاليم الدلتا الشرقية لكنه لم يفكر في التخلص من المتملكين الذين قدموا خضوعهم إذ يبدوا أن الرؤساء الذين هم أصلا من أمراء "الما" و"الليبو" الذين كانوا عاجزين عن تشكيل حكومة ما إلا إذا كانت في شكل حكومة إقطاعية ولم تقتصر مطامع "تف نخت" على أن يعترف به أقرانه السابقون ملكا. ولما أصبح "تف نخت" سيدا على الدلتا جهز جيشا لمد نفوذه على مصر الوسطى.

جـ پي (عنخ) يغزو مصر ٧٣٠ ق.م

كان "پي"(عنخ) في نباتا عندما وصل إلي علمه هجوم "تف نخت" على مصر الوسطى وجاءته من طيبة أخبار تشير إلي الاستيلاء على مدينة منف في الشمال ثم خضوع إهناسيا واتجاه جيوش "تف نخت" إلي الأشمونين حيث تحالف مع حاكمها "نمرود" ورجاله. وهنا قرر "پي" (عنخ) التدخل فأمر رجاله بالتقدم نحو طيبة للانضمام إلي قواتها وما لبث أن تحرك الرجال نحو الأشمونين وفي الطريق قابلوا جنود "تف نخت" الذين كانوا في اتجاههم إلي طيبة ، فنشبت معركة بحرية انتصر فيها النوبيين وتحطمت سفن العدو وأسر من رجاله عدد كبير. واستمر جنود "بي" (عنخ) في التقدم شمالا حتى إهناسيا وعلى الشاطئ الأيسر لبحر يوسف حدثت معركة انتهت لصالح النوبيين، وبعدها عادت جيوش "پي"(عنخ) إلي الأشمونين، إلا أن "نمرود" ملك هذه المدينة، وكان مشاركا في معركة إهناسيا، أسرع عائدا، بعد الهزيمة، إلي مدينته لتنظيم الدفاع عنها ضد قوات "پي"(عنخ).

ولما وصلت الأنباء إلي "پي"(عنخ) في نباتا غضب لأن جنوده وقواده ارتكبوا خطأ حربيا بتركهم العدو يفر فقرر أن يدير بنفسه المعارك فتوجه إلي طيبة حيث اشترك في إحياء العيد " أوبت " ثم توجه مباشرة نحو الأشمونين وكانت المدينة لا تزال تقاوم فشدد "پي" (عنخ)الحصار وأمر ببناء جسر أحاط به المدينة وبني برجا عاليا يستطيع جنوده أن يصبوا منه بسهولة سهامهم إلي داخل المدينة المحاصرة، ولما رأى نمرود سوء حالة جنوده وأن المعركة في صالح ملك النوبة وجنوده أرسل رسلا ليفاوض "پي"(عنخ) رسميا في تسليم المدينة كما أرسل زوجته لتقوم بالدفاع عنه أمام زوجات "پي"(عنخ) وكانت زوجة نمرود على درجة كبيرة من اللباقة بحيث حصلت على العفو لزوجها . وعندئذ سلمت المدينة واستطاع النوبيون أن يدخلوها

فزار "پي"(عنخ) القصر الملكي وصادر أملاك الملك المهزوم ووزعها بين بيت المال الخاص بآمون وخزينته الخاصة.

وبعد ذلك استأنف "پي"(عنخ) تقدمه نحو الشمال وفي الطريق جاءه ملك إهناسيا يقدم الشكر للملك النوبي الذي خلصته جيوشه من ضغوط "تف نخت"، واستمر تقدم "پي"(عنخ) في الطريق وكان يخضع له الحكام واحدا بعد الأخر ، ولم يمتنع عن تقديم الولاء سوى أمراء الفيوم وأطفيح. ولم تكن المدينتان في طريق "پي"(عنخ) وفضل الملك أنه يستمر في طريقه نحو منف وخرج عن طريقه الرئيسي للاستيلاء على المدينتين العاصمتين. وفي النهاية وصل "پي" (عنخ) عند أسوار مدينة منف وأرسل إنذارا للمدينة التي رفضت الاستسلام وفضلت المقاومة داخل تحصينها القوي.

وفي الليل نجح "تف نخت" في التسلل هو وثمانية آلاف رجل من جنوده إلي داخل المدينة حيث رسم خطة للدفاع معتمدة على ما تحتويه مخازنها من الطعام والشراب الذي يؤدى نقصهما إلي سرعة الاستسلام. وبعد أنه نجح "تف نخت" في إثارة حماس الأهالي اتجه إلي الدلتا ليجمع الرجال لمهاجمة "پي"(عنخ) وجنوده لتخليص المدينة وسرعة تحريرها من حصار النوبيين وقد أثارت هذه المقاومة اهتمام "بي عنخ" فعقد مجلسا حربيا ورأى فريق من كبار قواده النوبيين محاصرة المدينة حصارا تقليديا ورأى فريقا آخر مهاجمة المدينة وانحاز "پي"(عنخ) للرأي الثاني وقرر مهاجمة المدينة من الشرق. ولكن الأهالي ظنوا أنهم في حمى المياه العالية إذ كان يحيط بأسوار المدينة من الخارج قناة نسبة المياه فيها مرتفعة، فأهملوا الدفاع عنها؟ كانت سفن منف راسية في هذا الجانب من خارج الأسوار لكن المياه كانت من الارتفاع بحيث كانت الحبال التي تشد إليها السفن مثبته في أقرب المنازل إلي السور، ومن القاعدة المعدة للوثب انقض الجيش النوبي فتسلق جنوده الأسوار بسهوله ودخلوا المدينة وباغت المدافعين عن منف فلم يستطيعوا إلا أنه يرفعوا راية الاستسلام ونهبت منف، لكن "پي"(عنخ) حرص حرصا شديدا على إلا يصيب المعابد بأذى ثم توجه بنفسه إلي معبد الإله بتاح واعترف به الإله ملكا على البلاد.

وبعد أن استولى "پي"(عنخ) على منف خضع له جميع المتملكين في المنطقة بل وفي الدلتا بأكملها، ثم اتجه بعد ذلك إلي هليوبوليس حيث اعترف به أيضا الإله رع ملكا على مصر.

اتبع "پي"(عنخ) سياسة التقرب للآلهة المصرية ولم يخص فقط آلهة مصر الكبار باهتمامه بل وجه عنايته إلي الآلهة الإقليمية فكرمها وكرم معابدها بالهبات المختلفة على سبيل

التحية والتقرب إلي جموع الشعب وكهنة الآلهة الرئيسية والمحلية. واستقر الملك في أتريب حيث أقام معسكرا دون أدنى مقاومة من أميرها بل بالعكس فقد تلقاه " پا دى أست " حاكم الإقليم لقاءًا حسنا ووضع جميع ممتلكاته تحت تصرفه. وهنا بدأ أمراء الدلتا الذين لم يقدموا له خضوعهم واستسلامهم بدءوا يتوافدون مقدمين ولاءهم للمنتصر "پي"(عنخ) ماعدا مدينة " مسد "، مسطاي الحالية بالقرب من قويسنا، التي تمردت عليه وربما كان ذلك بإيحاء من "تف نخت " فاكتسحتها جيوش "پي"(عنخ) واستولت عليها وأعطيت لـ " پا دى أست " جزاءا لولائه وحسن استقباله للغازي النوبي. أما "تف نخت" فقد حاول المقاومة ورفض في البداية أن يقدم خضوعه ولجأ إلي مستنقعات الدلتا ولما هجره جميع من معه اضطر إلي الاستسلام فكتب إلي "پي"(عنخ) يطلب العفو فقبل الملك النوبي استعطافه وعفا عنه.

وحذا حذو "تف نخت" باقي أمراء الدلتا العصاة وأمير الفيوم، فاستتبت الأمور لـ "پي" (عنخ) وأصبح ملكا على منطقة تمتد من البحر إلي النوبة العليا جنوبا. وعاد "بي عنخ" إلي نباتا وأقام لوحته المشهورة المؤرخة من العام الحادي والعشرين (المتحف المصري بالقاهرة JE 48862)[1] احتفالا بهذه المناسبة وعليها نص طويل يروى لنا فيه حروبه ومعاركة في مصر[2].

نتائج حملة پي (عنخ) على مصر

كان في الإمكان أن تكون لحملة "پي"(عنخ) على مصر نتائج باهرة لصالح كوش والقضاء على حالة الفوضى والتفتت إلا أنها لم تكن كذلك بسبب سياسة "پي"(عنخ)، فمن الواضح أنها مغامرة كبيرة ذات هدف لم يتضح لنا بعد؛ فمن الصعب علينا أن نؤكد الأسباب الحقيقية التي دفعت هذا الملك النوبي إلي فتح مصر ثم إلي العودة مرة أخرى إلي عاصمته نباتا. ولكن يرى دريوتون وفاندييه أن الأسباب لم تكن سياسية، فبعد انتصاره وسيطرته على شمال وجنوب مصر لم يعزل "پي"(عنخ) أحدا من المتملكين الذين حاربهم أي أنه لم يقضى على أي سبب من الأسباب التي أغرقت مصر في الفوضى[3]. إذاً ما هي الأسباب التي أتت بـ

[1] Dodson, A., and Hilton, D., *The complete Royal Families*, p. 232 (photo); Grimal, N. C., « La Stèle Triomphale de Pi (aAnkh) au Musée du Caire JE 48862 et JE 47086 – 47089 », *MMIFAO* 105, 1981.

[2] Shäfer, *Urk* III, 1 -56; *BAR* IV, § 796 – 883; PM VII, p. 217 (biblio.).

[3] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي، مصر، القاهرة د.ت، ص٥٩٢.

"پي"(عنخ) إلي مصر غازيا؟ سؤال مهم رغم غياب الأدلة إلا أن تطور الأحداث يجعلنا نحدد أسباب الحملة[١].

لم تتحرك جيوش "پي"(عنخ) إلا بعد أن أصبحت مملكة الغرب وأميرها "تف نخت" مسيطرا على مساحة ضخمة من الدلتا، وبانضمام منف والأشمونين إليه في حلف قوي ليصبح الخطر أكبر[٢]، والطريق إلي طيبة مفتوحا أمامه، وأن سقوط الأسر الكوشية الحاكمة هناك وشيكا. وهنا كانت حتمية تحرك "پي"(عنخ)، لأنه بعد الوصول إلي طيبة يصبح غزو النوبة وكوش- لتحقيق هدف غالي من أهداف فراعنة مصر الأقوياء- محتملا. وفضل "پي"(عنخ) التحرك أولا دون انتظار وصول "تف نخت" إلي طيبة، إلا أنه لم يقدر قوة تحالف أمراء الدلتا ومصر الوسطي وبأس مقامتهم ، حق قدرها عندما أرسل قواده على رأس جيش نوبي تسانده ربما، بعض فرق عسكرية أرسلها حلفاؤه المخلصون في طيبة. ولكن النتائج لم ترضيه لأنها لم تقضي على قوات "تف نخت" ولم تغير من الوضع شيئا، خاصة بعد هروب وعودة "نمرود" ملك الأشمونين من إهناسيا، مما يؤكد عدم زوال الخطر وأنه ما زال قائما. ولهذه الأسباب غضب "پي"(عنخ) واتجه بنفسه على رأس قوات حاشدة إلي الشمال، إلي طيبة أولا ثم اتجه بعد ذلك إلي الدلتا ليقضي على "تف نخت" وحلفائه. بعد أن اطمأن إلي انكسار تحالف أمير سايس (صا الحجر) عاد إلي نباتا وكأن القضاء على هذا التحالف كان الهدف الذي يسعي إليه ويعنيه كحاكم لـ نباتا، ويبقي أن نقول أن هدفه كان محددا ومحدودا وهو دفع خطر مصر عن مملكته.

الأسرة الرابعة والعشرون

٧٢٧ – ٧١٥ ق.م

لا تكاد الوثائق المصرية تمدنا بشيء من التفصيل عن السنوات القليلة التي انقضت بين عودة "پي"(عنخ) إلي كوش وبداية الأسرة الخامسة والعشرين، وأكدت لنا نصوص لوحة محفوظة

---

[١] انظر تفسير: Gozzoli, R. B.," The Writing of History in Ancient Egypt during the First Millennium BC (Ca. (1070-180 BC)". *Trends and Perspectives* I, chap 2, 2006, p.51-66.

[٢] Yoyotte, J., "Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne" in *Mélange Maspero* I / 4, *MIFAO* 66, 1961, p. 151 – 159.

في متحف أثينا[1]، ومؤرخة من العام الثامن من حكم "تف نخت" أن الأمير الصاوي عاد إلى فرض سيطرته من جديد على الدلتا وأنه استطاع على الأقل تحقيق جانب من أهدافه واتخاذه ألقاب الملوك. وأهم ما تمدنا به هذه اللوحة هو أنه وهب معبد الإلهة " نيت"، الإلهة الحامية لصا الحجر (سايس) هبة مقدارها عشرة أرورات من الأراضي. ويلاحظ الدكتور رمضان السيد أنه قد وردت بالنص عبارات شديدة اللهجة بل وعنيفة تهدد كل من يعوق هذا المرسوم الملكي[2]، ومن هذه الكلمات البسيطة نستطيع أن نستخلص عدم استقرار أوضاع الدلتا في هذه الفترة.

وعلى أية حال ، لا يبدو أن سلطان ونفوذ "تف نخت" ومملكة الغرب قد امتد إلى ما وراء منف كما امتد حكمه إلي عام ٧١٥ ق.م ثم يظهر على مسرح الأحداث ابنه " باك إن رن إف" (بوكوريس) الذي اعتبره مانيتون المؤسس الحقيقي للأسرة الرابعة والعشرين.

لا تشير النصوص المصرية القديمة النادرة التي ورد بها اسم "باك إن رن إف" إلي أكثر من أن هذا الملك كان يحكم منف أي أنه أعاد مملكة الغرب إلي الوجود. وكم كان مفيدا لو أن تلك الوثائق أو ما تناقلته السير الإغريقية التي صورت هذا الملك على أنه مشرع، شبه ثوري وحام لجماهير الفلاحين، قدمت لنا تفاصيل أكثر. وعلى الأرجح أن " باك إن رن إف " نظم أساليب ممارسة السلطة الملكية والإجراءات القضائية والمعاملات الشخصية. ولكننا للأسف لا نعرف أي شيء عن التحولات الاقتصادية لتلك الإصلاحات أو الإطار الاجتماعي والإداري لها. وبعد أن شرعت الأسرة الرابعة والعشرون في انتهاج سياستها الجديدة أصبحت منفصلة تماما عن الدولة النوبية فقد تم العثور على أثر من آثار " باك إن رن إف" ممثل عليه أسرى نوبيون وإن ظل كل من "بي"(عنخ) وأخته العابدة الإلهية لآمون " آمون إردس " يملكان الصعيد. أما عن سياسة " باك إن رن إف " في آسيا، فعندما تولى الحكم في مصر كان"سرجون" الثاني ملك آشور يحاصر مدينة السامرة عاصمة مملكة إسرائيل إلا أن ثورة قامت اضطرته إلى العودة إلى بابل، فانتهز الملك المصري هذه الفرصة وأخذ في إثارة الفلسطينيين ضد آشور بل ووعدهم بمساعدة حربية. كان هدف " باك إن رن إف " هو حماية حدوده الشرقية خشية تقدم آشور ، إلا أن المتحالفين من أمراء فلسطين والمصريين هزموا في مدينتى " قرقارا " و" رفح " وفر قائد جيش مصر من أرض المعركة هاربا من بطش آشور، عندئذ كف الملك المصري عن التدخل في شئون آسيا بل وأخذ في إرسال الإتاوات لملك آشور.

---

[1] El Sayed, R., “Documents Relatifs à Sais et ses Divinités” *B d E* 69 ,le Caire 1975, p. 37 – 53, pl. VII.

[2] Id., *op. cit.*, p. 37 – 53, pl. VII

وطبقا لما رواه مانيتون كانت نهاية " باك إن رن إف " محزنة فقد أسره "شباكو" ملك النوبة وأحرقه وتدل هذه الواقعة أن ملك مصر حاول أن يقاوم سيطرة النوبيين وسطوتهم على جزء من أراضى مصر والتوسع شرقا ولو بالعلاقات فقط، إلا أنه فشل.

بداية مملكة كوش

هناك نظرية تقول أن كهنة آمون الذين طردهم "شاشنق" الأول هم المؤسسون الحقيقيون لأسرة نباتا، وتستند هذه النظرية إلى تطابق اسم الملك "پي"(عنخ) مع بن "حريحور". ولكن هناك نظرية ثانية تفترض أصولا محلية خالصة لتلك الأسرة: الملامح الأفريقية للأمراء النوبيين، والدور البارز للملكة ألام، وقانون انتقال السلطة (من الأخ إلى الأخ) ثم العودة إلى أبناء الأخ الأكبر، وبالإضافة إلى هذا نجد أن في كروي مقابر أسلاف ملوك كوش الأوائل لا تتعدى أن تكون أكواما مخروطية من الطين أو الحجر بها أشياء بدائية. ويمكن أن نتابع تعاظم قوة أسرة نباتا ونفوذها خطوة بخطوة من التحول التدريجي لتلك الأكوام إلى أهرامات حقيقية والتحسن الملحوظ للأثاث الجنائزي والتدفق المتزايد للمصنوعات المصرية أو ذات الطابع المصري التي تشهد بتوثيق العلاقات بين مصر ونباتا. وقد وصل نفوذ الملوك النوبيين إلى الجندل الثالث شمالا في عصر " ألارا " وهو أول من نعرفه من الملوك النوبيين ، أما في الجنوب فقد ظهرت في مدينة مروى مقابر مشابهة لمقابر كروي وذلك خلال حكم الملك "كاشتا " على وجه التقريب أي حوالي ٧٨٠ق.م.

وابتداءً من عهد الملك "كاشتا" أخذ النوبيون يزحفون على مصر كما يدل على هذا النصب التذكاري الذي عثر عليه في إلفنتين ، وتمكنوا، وديا على الأرجح، من فرض الأميرة "آمون إردس" الأولي أخت "پي"(عنخ) شريكة ووريثة لكاهنة طيبة الأولى ابنة "أوسركون" الثالث . وفي حوالي ٧٣٠ ق.م. كان"پي"(عنخ) بن كاشتا يسيطر سيطرة تامة على القبائل النيلية ابتداء من سنار ، كما كان يحكم طيبة بواسطة أخته، ولكن الزحف الكوشي نحو البحر المتوسط اصطدم بخطط "تف نخت" وقد تعرضنا لهذا في جزء سابق.

حكم "پي"(عنخ) (وسرماعت رع، سنفرو رع) خمسة وثلاثين عاما على وجه التقريب وكان ملكا متدينا ومحاربا بارعا، واتخذ خلفاؤه من اسمه لقبا ، وفي حوالي عام ٧٢٠ ق.م كان يحكم نوعا من إمبراطورية فيدرالية. ويعلن "پي"(عنخ) في أحد النصوص: "جعلني آمون إله نباتا ملكا على جميع القبائل. وكل من أقول له: "أنت ملك – يكون ملكاً، وكل من أقول له أنت لست ملكا . لا يكون ملكاً " وجعلني آمون إله طيبة ملكاً على مصر. وكل من أقول له: اتخذ مظهر

ملك– يتخذ مظهر ملك وكل من أقول له: لا تتخذ مظهر ملك– فهو لا يتخذ مظهر ملك. وكل من أمنحه رضاي لن تمس مدينته إلا بيدي. الآلهة المحليون يصنعون الملوك. والشعب يصنع الملوك. أما أنا فإن آمون هو صانعي"[١].

أسرة كوش

أو **الأسرة الخامسة** والعشرون[٢]

٧٤٧–٦٥٦ ق.م

تقول الأسطورة أن الكبش ، وهو آمون إله كوش استعار الصوت البشرى ليعلن لـ" بوكوريس" أو "باك إن رن إف" أن عهده قد أشرف على النهاية بالفعل تمكن "**شباكو**" (نفر كا

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، مصر الفرعونية، مجموعة الألف كتاب عدد ٦٠١، ١٩٦٦، ص١٧٣.

[٢] Al Hag HamadM. Kheir, *The Kushite Kingship*, Khartoum sans date.

رع) (٧١٦-٧٠١ ق.م.) أخو "پي"(عنخ) من القضاء على مملكة سايس وضم مصر إلي مملكة النوبة. وبعد أن استولى "شباكو" على الدلتا وحكم على "باك إن رن إف" بالموت حرقا ونصب نفسه الفرعون الأوحد من الجندل السادس جنوبا إلى البحر الأبيض المتوسط شمالاً .

كان فراعنة مصر منذ الدولة الوسطى يضعون " حية " على جبهتهم. وقد أصبح من حق شباكو و"طهرقه" أن يضعوا الحية المزدوجة. وبصفتهم ملوك النوبة ومصر بسطوا سيطرتهم على الواحات حتى سيوه. كما اخضعوا الليبيين في شمال أفريقيا ، وكانت آسيا وحدها هي مصدر المتاعب. ولكن هؤلاء الأفريقيين لم يتنكروا أبدا لأصلهم فظلت نباتا هي مقرهم الرسمي كما أقاموا أهراماتهم بالقرب من الجبل المقدس في كروي ثم في نورى.

تمتعت النوبة بموارد غنية، كانت دنقلة تربى الماشية الجيدة وتتمتع بالبساتين ومزارع الكروم، وفي الصحارى كانت المناجم تحتوى على كميات من الذهب غير أن سهل مروى الخصب ومناجمها الغنية لم يكن استغلالها قد اكتمل بعد .

كما طبق في النوبة نظام إداري مركزي منقول عن مصر وقسمت الأراضي إلى مقاطعات أو أقاليم (سيبات). واستفادت المعابد من تدين البيت المالك وبخاصة معابد آمون الرب الحامي للأسرة الملكية فقد انتقلت إلي تلك المعابد ملكية الأراضي ومن عليها من بشر ودواب ومنحت الهدايا والعطايا الثمينة (معابد نباتا وكاروي الخ)، كما لعب نظام الكهنوت دورا بارزا في شئون الدولة. ولكن أسرة كوش سيطرت على الكهنوت أكثر مما خضعت له.

وبينما عجز المصريون في الدولة الحديثة عن إدخال الثقافة المصرية في أجزاء كثيرة من النوبة العليا ، تمكن الغزاة النوبيون لمصر من نشرها حتى الجندل السادس.

منذ عهد "پي" (عنخ) ظهرت نصوص تاريخية بلغة مصرية وسيطة غير سليمة تماما ولكن لغة النصوص الرسمية تحسنت في عهد "طهرقه" – ونشير هنا إلي أن هذه المناطق كانت تتكلم وتكتب لغة تسمى بلغة مروى التي لم تعرف كل أسرارها إلي الآن . وكان معبد "بي" (عنخ) الذي شيده في نباتا متأثرا في فنه المعماري بمعبد الكرنك، وأن معبد "طهرقه" المنحوت في الصخر كان متأثرا بمعابد "رمسيس" الثاني بأبي سمبل. وقام عمال من منف بأعمال البناء والزخرفة في معبد كاوي . وكان "پي" (عنخ) قد نقل من صولب إلي نباتا بعض تماثيل من عهد "أمنحوتب" الثالث. ومن المؤكد أن دولة كوش استعانت بالفنيين المصريين . ولكنه حمي الإنتاج

الفني المحلى الذي بدأ في عهد "طهرقه" والمميز لبعض المنشآت التذكارية في دنقلة وتشهد بتكوين مدرسة فنيه محليه بقيت حتى القرن السادس الميلادي كما ذكر جان يويوت [١].

طيبة في عصر العابدات الكوشيات

نصب "بي" (عنخ) ابنته كوريثة شرعية لـ "آمون إردس" بنت "كاشتا" وشقيقته، تلتها في هذا المنصب الخطير إحدى بنات "طهرقه" وتدعى "آمون إدريس" الثانية. وقد ارتفعت المكانة المادية والأدبية "للزوجة الإلهية" إلي درجات رفيعة. وتقدم لنا وثائق ونصوص الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين أكمل وضع لتلك الأميرات اللاتي وصلت سيرتهن حتى عصر هيرودوت الذي يقول عنهن: "فهن يقمن في معبد طيبة، ويحرم عليهن الاتصال بأي رجل فإن " زوجة الإله " أو " يد الإله " أو "العابدة الإلهية" على حسب الوصف التقليدي، تدخل السرور على قلب زوجها (الإله) بجمالها وبموسيقاها وهداياها ومن حولها " مغنيات آمون " اللاتي يشكلن حريما إلهيا".

ولما كانت "زوجة الإله" مساوية للفرعون من الناحية النظرية فإنها تتخذ مجموعة من الألقاب وتحيط اسمها بخرطوش وتنعت نفسها بصفات ملكية، تحتفل بأعياد تتعاظم فيها أهمية "زوجة الإله" ، وإلي جانبها يتضاءل دور "الكاهن الأول لآمون"، غير أن كتبة المعبد استمروا يتقاضون ضريبة العشور على المحاصيل واستمرت محكمة المعبد تبت في قضايا الأحوال الشخصية واحتفظ المعبد بنفس ثرواته وبنفس عدد مستخدميه . ظل كهنة آمون وأتباع " الزوجة الإلهية " يختارون من بين أبناء العائلات القديمة العريقة وبعض العائلات الكوشية النبيلة. وكان الفرعون هو الذي يحكم وهو الوحيد الذي يأمر بعمليات التشييد الكبري ويتلقى أيضا القسم القضائي، كما ظلت المراسيم تؤرخ بسنوات حكمه، وأمين الخزانة وعمد الأقاليم ومدير مصر العليا وقادة الجيش كانوا لا يخضعون لسيطرة الإله[٢].

هكذا كانت أسس السيادة الكوشية على طيبة الاحتفاظ بنفس المؤسسات والرجال مع تفتت السلطات وتداخلها فثمة ثلاث قوى مستقلة: "الزوجة الإلهية" والحاكم والكهنة، توازن بعضها البعض، وأحيانا يلغى أحدهم نفوذ الآخرين.

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، نفس المرجع، ص ١٧٦.

[٢] جان يويوت ترجمة سعد زهران، نفس المرجع، ص ١٧٦ – ١٧٧.

وحكم "**شباكو**" أخو "بي"(عنخ) مصر حوالي خمسة عشر عاما وتولى من بعده حكم النوبة ومصر، "**شبتكو**" (چد كا رع، من خبر رع) الذي كان على الأرجح ابنا "**شباكو**" وجاء هذا الحاكم الجديد إلي مصر ومعه شقيقه الأصغر "**طهرقه**" الذي كان يبلغ من العمر – في ذلك الوقت – عشرين عاما . وكان الأمير الشاب من المغرمين بالحروب وفنونها، وعلى الرغم من صغر سنه، كان يتمتع بعزيمة وخبرة لا بأس بهما.

وكان أمراء الدلتا قد عادوا مرة أخرى إلي سلطتهم القديمة وبدأت المنازعات تدب بينهم إلا أن "طهرقه" استطاع تهدئة الأخوة خاصة وأن الخطر الآشوري بدأ مرة أخرى في الظهور.

مات "سرجون" الثاني ملك أشور وولى بعده على عرش نينوى أبنه الملك "سنحريب" الذي أراد أن يدعم ملكه بغزو فلسطين فاجتمعت مدنها في حلف تؤيده مصر لصد العدو. وقد أرسل "شبتكو" جيشا يقوده "طهرقه" ، فلما سمع سنحريب بوصول الفرق المصرية لنصرة فلسطين ومدنها فهزأ من المساعدة التي تستطيع مصر في ذلك الوقت أن تمد بها أورشليم المدينة المحاصرة، فبعث بخطاب إلي "حزقيال" قال الجملة المأثورة التي احتفظت بها التوراة (سفر الملوك الثاني الإصحاح ٢٠:١٨-٢٢) " على من اتكلت حتى عصيت على ؟ هو ذا قد اتكلت على مصر وأتخذ عكازا هذه القصبة المرضوضة التي إذا اتكأ عليها أحد دخلت في كفه وثقبتها : هكذا هو فرعون مصر لجميع المتكلين عليه".

وبعد أن غادر " سنحريب " معسكره في لكيش لملاقاة جيش مصر ولا يبدو أن الجيشين قد التقيا إلا أن حدثا إلهيا أنقذ أورشليم والملك "طهرقه" معا.

لدينا رواية مزدوجة لهذه المعجزة: يروى سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١: ٣٥-٣٦، أن ياهوفا" أرسل في سبيل إنقاذ مدينته المقدسة، أحد الملائكة فأهلك بالسيف ١٨٥,٠٠٠ أشوري .

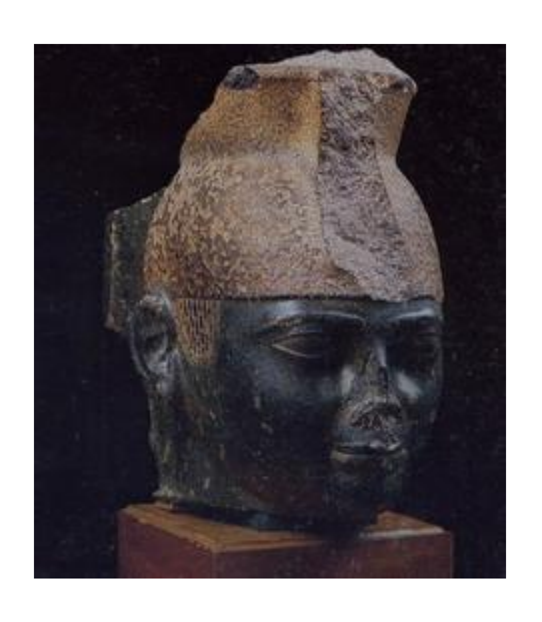
ونقل هيرودوت نفس المعجزة بطريقة مختلفة بعض الشيء، وهو أن الجرذان انتشرت في معسكر الآشوريين وقرضت القسي والجعاب وجلد التروس ففر الجنود لأنهم لم يجدوا ما يحاربون به.

ومن الصعب معرفة الحقيقة على وجه الدقة، غير أن هناك حادثا موثوقا به وهو أن "سنحريب " أجبر على مغادرة فلسطين وأن تقهقره لم يكن نتيجة هزيمة حربية أما السبب الحقيقي لهذا الانسحاب فليس أمامنا غير الظنون فالمقبول عادة وهو أشبه الظنون بالحقيقة أن جيش الأشوري أهلكه الطاعون وإلى هذا الوباء تدين أورشليم و"طهرقه" بالنجاة. ولم يحاول "سنحريب"

التدخل مرة أخرى أن لغزو فلسطين وذلك لأنه مات مقتولا بيد ابنه في حوالي عام ٦٨٩ ق.م وفي نفس هذا العام مات "شبتكو" وحل محله على عرش مصر "طهرقه" .

الملك طهرقه، نفر تم، خو رع

٦٨٩ – ٦٦٤ ق.م



الملك طهرقه

اهتم الملك الجديد بإدارة بلاده والإصلاح الداخلي وهناك نص من السنة السادسة يرينا الملك يؤدي الشعائر للآلهة، وبفضل صلواته حدث في ذلك العام فيضان شديد بعد فترة جفاف طويلة كادت أن تؤدي مجاعة في البلاد. وكان هذا الفيضان من الغزارة بحيث سبب أضرارا خطيرة في مصر، ولكن الملك لم يذكر أي تفصيل عنها واكتفي بالتنويه بأن الرخاء قد عاد إلي البلاد بفضل عودة الماء محملة بالطمي، ويوضح النص أن الذي سبب الفيضان هو سقوط الأمطار غزيرة في النوبة. ويعتبر هذا النص المثال الوحيد في النصوص المصرية لتفسير علمي للفيضان السنوي، لذا رأينا التنويه إليه.

شيد "طهرقه" مبان كثيرة فضلا عن النوبة العليا كذلك بالكرنك، ومدينة هابو وإدفو ووادي الحمامات والواحة البحرية [١]، وأخيرا في صان الحجر حيث كان مقر إقامته وهذا ليكون بالقرب من حدود مصر الشرقية لأنه كان يعلم تماما أن لا أمان لمصر طالما استمرت آشور تتطلع إلى فلسطين ومصر. ولهذا ترك إدارة طيبة والوجه القبلي لموظف كبير يدعى " منتو إم حات " الذي كان يلقب أيضا بالكاهن الرابع لأمون وأمير طيبه وحاكم الجنوب، وقد سبق أن كان أبوه أميرا على طيبة[٢]. كان "منتو إم حات" إفريقيا مثل "طهرقه" وهذا يدعو إلي الظن أن أهم مناصب الدولة كان يشغلها في ذلك الوقت نفر من بني جلدة الملك الحاكم . وجدير بنا أن نلاحظ أن " منتو إم حات " كان يشغل مرتبة ثانوية في كهنوت آمون فالسلطان المدني إذا كان منفصلا انفصالا واضحا عن السلطان الروحي الذي كان في يد "الزوجة الإلهية" وهى في عهد "طهرقه" "شب إن وبت " الثانية ابنة "پي"(عنخ) أي أخت "شبتكو" و"طهرقه". أما الكاهن الأكبر لآمون فلم يكن يقوم بأي دور سياسي في ذلك العهد.

رأينا أن الملك قد اختار صان الحجر مقرا له، وكان من السهل عليه أن يراقب من هناك الحوادث التي تتوالى في آسيا، ويبدو أن الحملة التي قادها في عهد "شبتكو" في فلسطين ولدت في نفسه الرغبة في القيام في آسيا بالدور الذي قام به فراعنة الدولة الحديثة فيما مضى.

وفي نينوى خلف "أسرحدون" أباه "سنحريب" على العرش ولم يكن قد اشترك في اغتياله وإنما ثار لمقتله. وفي أوائل عهده اهتم قبل كل شيء بتهدئة بابل دون أن يغفل عما يجرى في مصر. وفي تلك الأثناء كان "طهرقه" يسعى في إثارة الفتن في آسيا وعقد تحالفات مع ولاة

---

[١] Kitchen, K. A., *The Third Intermediate Period*., Warminster 1973, p.389 -390 §350.

[٢] Leclant, J., "Montouemhat", *BdE* 35, 1961.

الآشوريين ومن المحتمل أنه كان له يد في ثورة صيدا التي أخمدت بعنف في عام ٦٧٧ ق.م. وفي العام التالي حرض ملك صور على التخلص من عبء الآشوريين. وفي سنة ٦٨٤ق.م صمم " أسرحدون " على إخماد محاولات العصيان هذه والسير لغزو مصر ومن المؤكد أنه لم يستطيع أن تحقق غرضه إذ أن أول اتصال بين الآشوريين والمصريين لم يحدث إلا في عام ٦٧١ ق.م (العام العشرون من حكم "طهرقه"). وفي هذا العام تحرك الجيش الآشوري بقيادة الملك نفسه. أمر "أسرحدون" أولا بمحاصرة صور لكنه لم يتمكن من انتزاع القلعة وقنع بالوصول إلي مصر عن طريق صحراء سيناء بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف من الجمال لنقل المؤن والمياه وكانوا أدلاءه في السير حتى وصل إلى وادي الطميلات (يبدأ من مدينة الإسماعيلية ويقود إلى القرب من مدينة صفط الحنة) ومن هناك بلغ مدينة منف في خمسة عشر يوما وهو يخوض دون انقطاع معارك مظفرة، فحاصر منف وسرعان ما سقطت المدينة بين يديه وقبض "أسرحدون" على عائلة "طهرقه" زوجاته وأولاده وبناته واستولى الملك الآشوري على كل ما يملك "طهرقه" وأخذ يتباهى بأنه استأصل شأفة النوبيين من مصر[١]، ولكنها مباهاة دون حق لأنه لم يكن اخضع من مصر غير الدلتا. قبل واعترف جميع الحكام ومن بينهم " منتو إم حات " بسيادة "أسرحدون" بل ودفعوا له الجزية، ماعدا "طهرقه" الذي لم يعترف بهزيمته. وهكذا عادت البلاد إلى الوضع الذي سبق أن وجدها عليه "شباكو"[٢]. وبعد مرور سنوات قليلة عاد "طهرقه" من النوبة ليسترد ما فقده فاستولى على منف وجمع الأمراء حوله . من جديد . وهزم الحامية الآشورية، وهنا خرج "أسرحدون" من بلاده على رأس جيش لإخضاع مصر إلا أنه مات في الطريق وعاد الجيش مرة أخرى إلى بلاده وشاء القدر أن ينقذه مرة ثانية[٣].

وإذا كانت الحملة التي قام بها "أسرحدون" لم تنجح واستطاعت مصر النجاة من خطر كبير، فإن خليفته "أشوربانيبال" أسرع في عام ٦٦٦/٦٦٧ ق. م بتنظيم جيش آخر قواته مكونة من جنود من سوريا وآشور وأورشليم لمهاجمة مصر فاستردوا منف وفر "طهرقه" إلي طيبه وحاول متملكو الدلتا أن يقوموا بهجوم لمصلحة "طهرقه" لكن "أشور بنيبال" أرسل إمدادا ساعد على إخماد الثورة ثم اندفع الجيش نحو طيبه وفر "طهرقه" إلي نباتا. واقتحم الملك الأشوري المدينة وعسكر فيها وخرب أجزاء بسيطة منها بعد أن فشل " منتو إم حات " أميرها في الدفاع عنها. لكن يبدو أن التخريب كان محدودا إذ أن " منتو إم حات " تمكن بعد ذلك من إصلاح ما

[١] Kitchen, K. A., *The Third Intermediate Period*., Warminster 1973, p.391 -392 §352 - 353.

[٢] تقدم حوليات "أشوربانيبال قائمة بأسماء الدلتا من المصريين:

Yoyotte, J., "Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne" in *Mélange Maspero* I / 4, *MIFAO* 66, 1961, p. 129 n. 4.

[٣] انظر هامش ٤٥٠.

تهدم كما أقام الحفلات لتطهير المعابد والمقاصير. أما في الشمال فإن متملكي الدلتا بقيادة "نكاو" أمير سايس الذين ساعدوا "طهرقه" أرسلوا إلى نينوى حيث استطاع "نكاو" أن يحوز رضاء ملك آشور الذي أعاده إلي سايس (صا الحجر) بعد أن غمره بالهدايا ومنح ابنه "بسماتك" إمارة أتريب.

ومات "طهرقه" في عام ٦٦٤ ق.م بعد حكم دام واحدا وعشرين عاما[١]. وإذا كانت صورته، التي تظهر إلى جوار نص أمير طيبة " منتو إم حات "، معاصرة لهذا النص فيجب أن نستخلص أن "طهرقه" كان لا يزال معترفا به ملكا في طيبة رغم انتصار الآشوريين عليه، وكما يبدو أيضا أنه كان معترفا به أيضا في منف، فعندما دفن "أبيس" في العام العشرين من حكم "بسماتيك" الأول، أرخ كهنة منف مولده في العام السادس والعشرين من حكم "طهرقه".

تانوت أماني، با كا رع

٦٦٤-٦٥٦ ق.م

عندما مرض "طهرقه" مرض الموت اعترف بابن أخيه "**تانوت أماني**" شريكا وخليفة له[٢]. والملك الجديد هو ابن "شبتكو" يقص علينا في لوحة كبيرة معروفة " باسم لوحة الرؤيا "[٣] كيف صار ملكا وكيف شرع في استرداد مدن مصر. فقبيل موت "طهرقه" رأى في حلم ثعبانين أحدهما قائم على يمينه والثاني على يساره وفسر له الحلم بأنه بشرى بحياة مجيدة يسترد خلالها مصر بأسرها من الآشوريين. وكان حكم "تانوت أماني" موازيا لحكم "بسماتك الأول في الدلتا.

---

[١] Kitchen, K. A., *op cit.*,, p.161-162 §§ 130-131,354.

[٢] Kitchen, K. A., *op. cit*., p. 393 § 354.

[٣] Schäfer, *Urk*. III,57 – 77; *BAR*, IV, §§ 922ff.

ولما علم "تانوت أماني" بموت "طهرقه" توجه سريعا إلي نباتا حيث توج ملكا وأبحر منها شمالا واستقبل استقبال المنتصرين في إلفنتين وطيبة حيث كان " منتو إم حات " مازال حاكما بجوار زوجة الإله " شب إن أوبت" الثانية " التي كانت تهيمن وبيدها السلطان الروحي. استمر الملك في سيره شمالا حتى منف حيث إلتقي بـ " أبناء الفتنة " أي المخلصين "لآشور بانيبال" من متملكي وأمراء الدلتا، وانتهت المعركة لمصلحته وانسحب العصاة إلي أقاليمهم ويدعى " تانوت أمانى" أنه قضى أياما عديدة في الدلتا لكنه لم يجد أعداءه إذ أن هؤلاء اعتصموا في قلاعهم من شدة خوفهم منه. وهنا عاد "تانوت أماني" إلى منف وهناك تلقى حسب إدعائه ولاء ملوك الدلتا الذين جاءوا يتقدمهم أمير مدينة "بر سبد"(صفط الحنه الحالية) وهم مثقلين بالهدايا، وينتهي نص "لوحة الرؤيا"عند هذا التمجيد. وكان من الطبيعي أن يحذفه الملك الكوشي الخاتمة المحزنة لهذه المغامرة القصيرة وهى وصول الآشوريين وفراره المخزي نحو الجنوب. واحتمى في طيبه كما احتمى من قبله "طهرقه" إلا أنه لم يلبث أن فر منها إلي عاصمته البعيدة نباتا، وذلك لأن جيوش أشور طاردته وفي هذه المرة وسقطت طيبة العاصمة المصرية القديمة ونهبتها جيوش "آشور بنيبال" فأذاق أهلها مرارة الأسر وذل الاحتلال وخربت معابدها[١].

ولا يبدو لنا أن "تانوت أماني" حاول أن يعود إلى طيبه قط،[٢] إلا أن المتحف المصري بالقاهرة يحتفظ بلوحة اشتريت من مدينة الأقصر وهى مؤرخة من العام الثامن من حكم "تانوت أماني" ومنها نستخلص أن الأسرة الصاوية الجديدة لم يعترف بها فوراً في الوجه القبلي الذي بقى بعض الوقت على ولائه للأسرة الكوشية تحت إدارة الحاكم " منتو إم حات " الفعلية وبقيت الأسرة الكوشية قائمة عدة قرون في إقليم نباتا ومروى، وما لبث خلفاء "تانوت أماني" أن فقدوا العادات المصرية وكفوا عن استعمال الكتابة الهيروغليفية واتخذوا لسانا أفريقيا وكتابة خاصة يطلق عليها اسم الكتابة المروية الذي يأتي من اسم العاصمة الجديدة مروى. ولم تعد المملكة النوبية، منذ ذلك الحين، جزءا من تاريخ مصر القديمة.

---

[١] رمضان عبده على، معالم تاريخ مصر القديم، القاهرة د.ت، ص ٥٩٨.

[٢] Kitchen, K. A., *op. cit*., p. 394 § 355.

من "بسماتيك" الأول إلى الإسكندر الأكبر

٦٦٤- ٣٣٢ ق.م

الأسرة السادسة والعشرون (العصر الصاوي)

٦٦٤-٥٢٥ ق.م

بسماتيك الأول	٦٦٣- ٦٠٩ ق.م
نكاو الثاني	٦٠٩- ٥٩٤ ق.م
بسماتيك الثاني	٥٩٤-٥٨٨ ق.م
واح إب رع (أبريس)	٥٨٨-٥٦٨ ق.م

أحمس (أمازيس) ٥٦٨-٥٢٦ ق.م

بسماتيك الثالث ٥٢٦-٥٢٥ ق.م

بسماتيك (الأول)، واح إيب رع

٦٦٤ – ٦١٠ ق.م

نهضة سايس (صا الحجر)

يمكن القول أن "بسماتيك" الأكبر أسس الأسرة السادسة والعشرين بعد أن قضى على دولة كوش الكبرى وعلى الفوضى الليبية. واستطاعت دولة سايس (صا الحجر) أن تعيد للملكية شيئا من قوتها القديمة، وإلي مصر أمنها وإلي الحضارة المصرية زهوها. وفي سبيل ذلك كان على الأسرة الجديدة أن تتصدى للقوى الأجنبية خارج الحدود وداخلها. وظلت بلاد ما بين النهرين حيث حلت مملكية بابل الجديدة محل ملوك آشور، مركزا لإمبراطورية توسعية محاربة ولم تتخل أسرة نباتا التي استقرت بين الجندل الثالث وأعالى النيل عن أملها في توحيد بلاد كوش ومصر. منذ سنة ٦٣١ ق.م. كان الدوريون في برقة ينمون نفوذهم في الغرب، كما فتح الجنود المرتزقة الإغريق وغيرهم الطريق أمام التجار الأجانب. وهكذا أصبحت مصر مهدده بأن تقع تحت رحمة الإغريق سياسيا واقتصاديا. هذا إلى جانب ظهور الشعوب الهندوآرية . التي كانت استقرت في إيران منذ أزمنة طويلة وتحيا حياة البدو – بمظهر وأطماع جديدة وسرعان ما بدأت تؤثر على حضارة ما بين النهرين ولم تلبث أن سيطرت عليها. وقد أرقت تلك المخاطر مضاجع فراعنة سايس الواحد تلو الآخر.

طرد الآشوريين

لم نعثر إلى الآن عن وثيقة مصرية تتحدث عن طرد الآشوريين ويبدو أن "بسماتيك" الأول أراد أن يتجاهل بالصمت سنوات السيادة الأجنبية لمصر وهذا ما فعله من قبل قاهر الهكسوس، " أحمس". ولكن هناك بضع تلميحات في النصوص الآشورية تسمح، عندما نقارنها بالرواية التي نقلها إلينا هيرودوت بأن نصور من جديد تتابع الحوادث بصفة تقريبية على الأقل.

وقال هيرودوت (الكتاب الثاني، ١٤٧، ١٥١) لا يستطيع المصريون أن يستغنوا عن أن يكون لهم ملك لذا قسموا البلاد بعد موت كاهن بتاح إلى إثني عشر قسماً بين إثني عشر رئيسًا وقد شرع هؤلاء فيما بينهم شريعة ألا يبيد بعضهم البعض وألا يسعي أحدهم لينال أكثر من الآخر، وأن يكونوا أصدقاء متماسكين ذلك لأنهم كانوا يخشون أن يقيم أحدهم الملكية، إذ أن الوحي قد تنبأ لهم بأن الذي يريق ماء القربان من الحكام الإثني عشر في معبد بتاح بكأس من البرونز يتولى حكم مصر بأسرها، وكان من السهل القيام بهذا الشرط لذا عمل الأمراء على ضمان استقلال كل منهم بتعهد مشترك.

لكن الشرط نقض بدون قصد، ظاهر على الأقل، ونفذه "بسماتيك" أمير سايس وكان نفس الأمير الذي وضعه "آشوربانيبال" على رأس إمارة أتريب. وعند وفاة والده الأمير "نكاو" الأول تسلم الأمير الشاب ضمن ميراثه إقليم سايس الذي كان ملكا لأسرته، وها هي الظروف التي تحقق فيها بدون قصد، شرط النبوءة إذ حدث في ذات يوم بينما كان الحكام الإثني عشر يريقون ماء القربان في معبد بتاح كالعادة حدث أن أحضر الكاهن بدلا من الإثني عشر كأسا الذهبية التي تستخدم في العادة في هذا الاحتفال المقدس لم يحضر إلا أحد عشر فقط فأخذ "بسماتيك" الذي كان ترتيبه الأخير ومن غير تدبير لعواقب فعله خوذته البرونزية وأراق الماء بهذا الكأس المرتجلة وعندئذ تحقق القدر وأصبح من المحتم أن تعود الملكية لـ "بسماتيك" طبقا للوحي. ولم يقتله زملاؤه لعلمهم أنه تصرف بحسن نية لكنهم قرروا نفيه إلى مستنقعات الدلتا الشمالية في نفس المكان الذي اضطر جده "تف نخت" أن يلجا إليه أثناء حملة "پي"(عنخ)[١].

وفي ذات يوم ذهب "بسماتيك" إلى معبد "بوتو" ليسأل الوحي عما يخبئه له القدر فأجابه الوحي بأن الانتقام سيأتي من جهة البحر عندما يأتي رجال من البرونز وبعد ذلك بقليل من الزمان وعلى مقربة من المكان الذي كان يقيم فيه "بسماتيك" نزل إلى الشاطئ قراصنة من

---

[١] Zakeya Topozada, *Les Activités des rois de la XXVIème dynastie III*, thèse de doctorat *inédite*, 1983, p. 882 – 883.

الإغريق والكاريين يلبسون دروعا ثقيلة من البرونز فعرف فيهم الرجال الذين تحدثت عنهم النبوءة فأغراهم بوعود كثيرة على أن يتحالفوا معه. وبهذا الجيش من الأجانب استطاع أن يثأر لنفسه بسهولة من زملائه القدماء وأن يعيد وحدة البلاد.

ومن المتوقع ألا نجد في الحوليات الآشورية رواية مفصلة عن الحوادث التي تهمنا إذ أن خسران ولاية ليس بالشيء الذي تتباهى به الدول.

وفي هذا الوقت كان أفضل سند لـ "بسماتيك" الأول هو "جيجس" وهو مغتصب استولى على عرش "ليديا" بلد في آسيا الصغرى وكان جيجس في أول عهده مهددا بهجرة هندوآوروبية فتحالف مع "أشوربانيبال" لكنه عندما أبعد خطر الغزو على أثر انتصارين كبيرين شرع فورا في التخلص من نير الآشوريين فاتجه نحو "بسماتيك" الأول أقوى الملوك الخاضعين لـ " نينوى " أصلح الناس لمؤازرته، وأرسل له نجدات حربية ولا تكاد " الحوليات " الآشورية تسمح لمصر بشيء لكنها على العكس تميل إلى الكلام عن طيب خاطر عن إخماد ثورة ليديا. وقتل جيجس في ميدان القتال واضطر ابنه أن يلتمس العفو من أشوربانيبال وأن يعترف به ملكا عليه.

فما الذي حدث في مصر على وجه التحقيق ؟ إن حكم الإثني عشر أميرا الذي يتحدث عنه هيرودوت يشير بالبداهة للنظام الإقطاعي الذي لا بد أن يكون قد استقر في مصر من جديد بعد هزيمة "تانوت أموني" في عهد الأشوريين وسبق أن رأينا أن الملوك الأشوريين كانوا يشجعون مطامع أمراء الدلتا الذي كان تطاحنهم يسمح لهؤلاء الأجانب بالبقاء في البلاد.

أما الرجال من البرونز الذين نزلوا على شواطئ الدلتا والذين جاءوا لنجدة ملك صا الحجر، فهم المرتزقة الإغريق الذين أرسلهم "جيجس" ملك ليديا لـ"بسماتيك". وإذا كان تحالف شؤما على "جيجس" فأنه كان، بدون شك، سعيدا جدا على "بسماتيك"، فهو الذي مكنه من طرد الآشوريين من مصر وإعلان نفسه ملكا لمصر العليا ومصر السفلى.

ولابد أن "بسماتيك" طارد الآشوريين حتى فلسطين وحاصرهم، طبقا لرواية هيرودوت، في مدينة أشدود حيث استمر الحصار لمدة تسعة وعشرين عاما. وقد رأينا فيما سبق أن "أحمس" الأول طارد أيضا العدو الهكسوس في ظروف مشابهة وتتبعهم حتى شاروحين في فلسطين.

وتم لـ "بسماتيك" الأول ما أراد وأصبح يحكم الدلتا بمفرده بعد أن تخلص من جند آشور ثم بدأ يتطلع إلى الوجه القبلي وخاصة طيبة مدينة آمون. في نهاية القرن الماضي عثر العالم الفرنسي لجران على لوحة من الجرانيت الوردي في معبد الكرنك (موجودة الآن بالمتحف

المصري بالقاهرة JE 36 327)، وهي اللوحة المؤرخة باسم "بسماتيك"، ومعروفة باسم "لوحة التبني"، وتروى كيف خطي الملك الصاوي خطوة ايجابية نحو مد سيطرته، سلميا وطبقا لسياسة موضوعة على الوجه القبلي وخاصة مدينة طيبة.

لوحة "نيتوكريس"

المعروفة باسم لوحة التبني[1]

رأينا أن الملك الكوشي "تانوت آمون" كان لا يزال معترفا به في طيبة عام ٦٥٥ ق.م ولكن هذا الاعتراف كان اسميا والواقع أن الوجه القبلي كان يحكمه أمير طيبه "منتو إم حات" الذي نجح في البقاء في وظيفته في عهود مختلفة ومتوالية، تعاونه الزوجة الإلهية "شب إن أوبت" الثانية وابنتها بالتبني " آمون إردس " الثانية وهما على التوالي ابنة "پي" (عنخ) وابنة "طهرقه". ومن المؤكد أن وجود ممثله للأميرة الكوشية القديمة لم يكن ليروق لـ "بسماتيك". ومن ناحية أخرى كان من العسير على الملك الصاوي أن يطرد من الكرنك الزوجة الإلهية لآمون التي كانت تتمتع في الوجه القبلي بسلطان روحي عظيم. ولما كانت المسألة دقيقة لكنها لم تكن جديدة فقد حدثت من قبل عام ٦٣٠ ق.م عند ما فتح "پي" (عنخ) طيبة، وقد حلها الملك الكوشي بأن جعل " شب إن أوبت " الأولى ابنة "أوسركون" الثالث تتبنى أخته " آمون إردس " الأولى. فلجا "بسماتيك" الأول لنفس الحل وجعل الزوجة الإلهية " شب إن أوبت " الثانية وابنتها بالتبني" آمون إردس "، تتبنيا ابنته " نيت إقرت "، نيتوكريس. ولكن الموقف كان أدق إذ أن "بسماتيك" لم يكن سيدا على الوجه القبلي فمهد لتنصيب "نيت إقرت، نيتوكريس"، بمفاوضات طويلة دافع في أثنائها كل من الطرفين عن مصالحة ومن خلال سطور النص نتبين أن المساومات التي سبقت الاحتفال. ومن الواضح أن "منتو إم حات " و" شب إن أوبت " الثانية لم يتقبلا اقتراحات "بسماتيك" الأول إلا بشرط الاحتفاظ لكل منهما بالجزء الأكبر من امتيازاتها في الوجه القبلي.

[1] Goedicke, *JARCE* 8, 1963, p. 69 sqq.

نيت إقرت، نيتوكريس

ظهر لقب " زوجة آمون " في بداية الأسرة الثامنة عشرة وكانت أول من حملته هي الملكة "أحمس نفرتاري" هكذا توضح لنا النصوص التي عثرنا عليها إلي الآن. وربما يكون أقدم من الأسرة الثامنة عشرة بأن تكون "أحمس نفرتاري" ورثته عن الملكة "إعح حتب"، إلا أننا لم نعثر على ما يؤيد هذا الظن. استمرت الملكات يحملن هذا اللقب الديني والتشريفي إلي عصر" توت عنخ آمون". وهناك رأي يقول أنه على ما يبدو أن ظهوره كان مرتبطا بزواج الملوك من أخت غير شقيقة فمن الطبيعي أن يكون الملك والملكة من أب واحد ولكنه لا يشترط أن يكونا من أم واحدة وبكون الملك "أحمس" والملكة "أحمس نفرتاري" من أمهات مختلفة ولكن من المؤكد أن من تحمله هي الزوجة الأولي التي تمنحه بدورها إلي زوجة ابنها الملك فإذا لم تكن ابنتها من لحمها ودمها فهي ابنتها بالتبني.

لعبت " زوجة الإله " دورا طقسيا ودينيا هاما وتوضح لنا أحجار جيرية عثر عليها بالكرنك من عصر "أمنحوتب" الثاني تحمل مناظر تظهر فيها الملكة "أحمس نفرتاري" الأم تقوم بطقس ديني وتتطهر في مياه البحيرة المقدسة بالكرنك. هذا بالإضافة إلي تفاصيل أخري تظهر على أحجار المقصورة الحمراء للملكة "حتشبسوت"[١].

كان من بين مهام " زوجة الإله " المشاركة في عدة طقوس دينية بالكرنك:

١) الاشتراك مع الكهنة في الطقس اليومي لآمون في صحبة كهنة يحملون لقب " الأب الإلهي" وهي إشارة عامة تضمن على ما يبدو كهنة آمون الكبار من الكاهن الأول لآمون إلي الكاهن الرابع للإله.

٢) الاستحمام في البحيرة المقدسة للتطهر هي وباقي الكهنة المشاركين في الطقس اليومي.

٣) الدخول إلي أجزاء المعبد المقدسة ومن ضمنها قدس الأقداس برفقة كبير كهنة آمون.

٤) مطالبة آمون بتناول الطعام وقراءة قائمة الطعام أمام الإله وهي برفقة الكاهن الأكبر للإله.

٥) حرق التماثيل الشمعية لأعداء الإله إلي جوار الكاهن الأكبر لآمون للمحافظة علي المنظومة الإلهية والقضاء على الشر.

٦) هز الصلاصل أمام تمثال الإله.

---

[١] Lyons, D., and Bryan, B., “Pshenty and the God s Wives of Amun” in *Women and Shenty* in R. West Book 2003, p. 20.

٧) بصفتها " يد الإله " تشترك في عملية الخلق المادية.

بالإضافة إلي دورها الديني ومشاركتها في الطقوس. وكانت هناك مؤسسة اقتصادية مهمة باسمها، مرتبطة ارتباطا وثيقا بوظيفتها الدينية يطلق عليها اسم إدارة" أملاك زوجة الإله" وكان الموظف المكلف بإدارة هذه الأملاك شخصا واحدا أو شخصين مختلفين.

وكانت " الملكة زوجة الإله " تورث أملاكها سواء لإحدى بناتها أو لمن ستخلفها وتحمل نفس اللقب. ويشير لهذا التوريث بتعبير التي تسكن البيت (حرفيا التي توجد بالبيت) وهو تعبير معروف من الأسرة الثالثة[١].

أما خلال عصر الانتقال الثالث بالأخص الأسرة السادسة والعشرين فكانت " زوجة الإله " تتبني ابنة أو شقيقة الملك الحاكم وان تجعلها وارثة مؤسستها الاقتصادية وألقابها الدينية وبالطبع وظيفتها " كزوجة للإله ".

وقد توالي من شقيقات الملوك فيما بينهم خلال عصر الانتقال الثالث حتى الأسرة السادسة والعشرين:

١) ابنة "أوسركون" الثالث: "شب إن أوبت" الأولي

٢) ابنة "كاشتا": "آمون إردس الأولي

٣) ابنة "پي" (عنخ): "شب إن أوبت" الثانية

٤) ابنة "طهرقه": "آمون إردس" الثانية

والاثنتان (٣-٤) تبنتا ابنة "بسماتيك" الأول:

٦) ابنة "بسماتيك" الأول "نيت إقرت، نيتوكريس" باسم "شب إن أوبت" الثالثة

٧) ابنة "نكاو" الثاني "شب إن أوبت" الرابعة[٢]

٨) ابنة "بسماتيك " الثاني: "عنخ نس نفر إيب رع"

٩) ابنة "أحمس" الثاني: "نيت إقرت، نيتوكريس" الثانية

ظهر الارتباط الوثيق بين الدين والسياسة منذ بداية عصر الانتقال الثالث إلا أنه اشتد وأتضح أكثر في عصر الأسرة السادسة والعشرين. فخلال هذه الأسرة لعبت الإلهة نيت دورا

[١] Johnson, J.H., (the Legal status of Women in Ancient Egypt), in *A.Capel and G.E. Markoe,Edt.*, *Mistress of the House, Mistress of Haven*. New York: Hudson Hills Press, 1996, p.175-86.

[٢] Dodson, A. and Hilton, D., *The Complete Royal Families of Ancient Egypt*, Cairo 2004. p. 244 and 247.

هاما لأنها ربة سايس ولكنها بصفتها الربة الإلهة الرئيسية خلال الأسرة السادسة والعشرين التي يتضح لنا هذا الدور أكثر في الدلتا منه في جنوب مصر.

الإلهة "نيت" هي إلهة مركبة التكوين ولكن قبل أي شيء هي الإلهة الممثلة كحاملة الأقواس، فهي في داندره التي تقاتل من أجل حورس وفي أسنا فهي التي تغزو من أجله أرض مصر. ونفسر سفر ابنة " بسماتيك" الأول في العام التاسع من حكمه لتكون زوجة للإله آمون وعابدة إلهية لنفس الإله، وهو ومنصب ديني هام، بأن سلطان سايس وبالأخص "بسماتيك" الأول امتد ليشمل مصر شمالا وجنوبا. هكذا يجب أن نفهم أو نفسر هذا التوازي بين ما لعبته الإلهة نيت من دور في السياسية وبين ما قامت به "نيتوكريس" في الحياة السياسة في بداية الأسرة السادسة والعشرين.

اختيار "نيتوكريس" لتكون " زوجة للإله آمون " أو " عابدة إلهية " كثيرا ما كان يفسر بأنها الابنة الكبرى للملك ولكننا نضيف إليه البعد السياسي والديني الذي يؤكده اسمها الذي يعني نيت الممتازة أو " نيت الكاملة " أو كاملة المعاني التي غزت لصالح حورس "بسماتيك" الأول الجنوب. وهكذا تتحقق بعد سنوات عديدة بل قرون عديدة وحدة الشمال والجنوب ويحكم مصر بشطريها ملك مصري واحد.

لم يكن الصراع هو صراع الشمال ضد الجنوب بقدر ما كان صراعا بين كهنة آمون الأقوياء والسلطة المركزية أي سلطة الفرعون الشرعي والذي لم يكن صراعا خاصا بالأسرة الحاكمة ولكنه صراع على الحكم ألقي بظلاله على مصر منذ منتصف الأسرة الثامنة عشرة. وكما هو معروف عن " المصري "، بصورة عامة، تدينه وتعلقه الشديد بالعبادة والآلهة وهي الصفة التي استمد منها كهنة آمون الطموحون قوتهم وتأثيرهم الضخم. وإذا كان هذا الطموح سياسيا، كما كان الوضع مع كهنة آمون، فالنتيجة هي الاصطدام بسلطة المركزية أي الفرعون. هكذا كان الوضع في مصر للأسف منذ عصر "تحوتمس" الثالث.

حقق "بسماتيك" الأول أخيرا حلما قديما راود ملوك سايس منذ عهد "تف نخت" ولكي يحتفظ "بسماتيك" بقوته وسلطانه كان عليه أن ينتهج سياسة جديدة وجادة وهذا ما سنوضحه من خلال السطور التالية:

وقبل أن نخوض في الموضوع يجب أن نستعيد الوضع في مصر قبل سفر "نيتوكريس" إلي طيبة لتحتل مكانها كعابدة إلهية أو زوجة للإله آمون في العام التاسع من حكم "بسماتيك" الأول.

نجح "بسماتيك" الأول مرة بالحيلة وأخري بالقوة والحرب في فرض سلطانه على أقرانه أمراء الـ ما في الدلتا وامتد عبر مصر الوسطي إلي منطقة الحيبة. ولكن الدخول في معركة ضد طيبة لم تكن بالفكرة الصائبة، بل كانت مخاطرة جسيمة. كان سيبتعد من ناحية عن الدلتا وهو في أشد الحاجة إلي كل قوته ليحافظ على إنجازاته ويحمي تاجه من هجمات أعدائه في الداخل أو الخارج. ومن ناحية أخري خوفه، لا من مواجهة طيبة وحدها التي كانت تقع حينئذ تحت السيطرة الكوشية، بل كان يخشى أن يتجمع حول طيبة أقاليم الصعيد الأخرى. أما عن الوضع في طيبة فكان هو الآخر حرجا خاصة بعد هروب "تانوت أماني" إلي مروي. ورغم أن حلم طيبة كان استعادة أيام مجدها السابق من حيث سلطتها على الأقل الدينية التي هيمنت بها على شئون مصر كلها، من أطراف الصعيد إلي الدلتا وأطرافها. ولكنها لم تعد بالقوة لتحقيق هذا الهدف خاصة وأن بسماتيك الأول يتقدم حثيثا نحوها فلم يكن في وسع الاثنان سوى الاتفاق. ولكننا للأسف لا نملك النص الذي وضع لنا هذا الاتفاق ويعدد بنوده ولكن دراستنا عن تاريخ الأسرة السادسة والعشرون وأنشطة ملوكها[١]، أتاحت لنا متابعة الخطوات والأحداث التي منها نستطيع أن نقدم تصور للملامح الرئيسية لهذا الاتفاق:

١) في العام التاسع من حكم "بسماتيك" الأول كانت بداية رحلة "نيتوكريس" إلي طيبة.

٢) اختفاء "نيتوكريس" من على الآثار والنصوص في العام الرابع من حكم "أبريس" لتحل محلها عابدة إلهية أخري هي "عنخ نس نفر إيب رع".

٣) نص مؤرخ من العام التاسع عشر من حكم "بسماتيك" الأول عثر عليه منقوشا في وادي جاسوس وعليه ممثلة "شب إن أوبت" الثانية متوفاة وأمامها تقف نيتوكريس، يشير إليها النص بـ ابنة "بسماتيك" الأول العابدة الإلهية "نيتوكريس".

٤) يلاحظ في أسماء السفن النيلية التي حملت "نيتوكريس" في موكب مهيب من سايس إلي الكرنك، إنها جمعت بين الصاويين والكوشيين وآمون. فنجد سفينة باسم "بي" (عنخ) وأخري تحمل اسم "سايس" وثالثة تسمي "آمون" والأخيرة تسمي "حريم آمون".

٥) حملت هذه السفن ذهبا وهدايا أخري موجهة إلي العابدة الإلهية الكوشية "شبن أوبت" الثانية والي آمون وكهنته العظام.

---

[١] رسالة دكتوراه غير منشورة:
Topozada, Z. Y., Les activités des rois de la XXVI^{ème} dynastie en Egypte I-III, thèse inédite, 1983.

٦) منحت "نيتوكريس" في لوحة التبني اسم "شبن أوبت" (الثالثة) عندما تبنتها زوجة آمون "شبن أوبت" الثانية وابنتها بالتبني "آمون إردس" الثانية، العابدتان الإلهيتان الكوشيتان.

٧) من الملاحظ أنه في النصف الأول من الأسرة كان الملوك والموظفون الكبار يضعون تماثيلهم بالكرنك ولكن في النصف الثاني من الأسرة اقتصر على العابدة الإلهية زوجة آمون.

٨) لم يكن لدي "بسماتيك" الأول ولا "نكاو" ولا "أبريس" وكذلك "أمازيس" أي ضغينة نحو الكوشيين أو آثارهم في الكرنك، لكن"بسماتيك" الثاني هشم آثارهم ومحي أسمائهم وحربهم.

٩) اختفاء لقب الكاهن الأول لآمون من ألقاب الكهنة العظام، ولم يعد يرأسهم واحد منهم بل أصبح اللقب ضمن ألقاب الزوجة الإلهية التي مارست الوظيفتين.

وهكذا بواسطة هذه النقاط والملاحظات التي نستخلصها من واقع الآثار نفسها نستطيع أن نحدد بنود الاتفاق الكوشي – الصاوي بل ونستطيع أن نتتبع نتائجه وخطوات "بسماتيك" الأول في مد نفوذه إلي طيبة وبالتالي على الصعيد بأكمله.

انتهج "بسماتيك" الأول سياسة هادئة تجاه طيبة بعيدة كل البعد عن العنف من شأنها:

١. الحفاظ على الشخصية الرسمية والاعتبارية لطيبة.

٢. الحفاظ على مكاسب طيبة وتميزها أقاليم مصر الجنوبية.

٣. حماية وضع كهنة آمون ضد أي تدخل من نفوذ الملك وكان هذا في سبيل تحقيق:

أ. الاعتراف بـ "بسماتيك" الأول ملكا على مصر كلها وتأريخ الآثار بسنوات حكمه.

ب. وأن تتبنيا "شبن إن أوبت" الثانية و"آمون إردس" الثانية ابنته " نت إقرت (نيتوكريس)".

وفي العام التاسع من حكم "بسماتيك" الأول ترحل نيتوكريس إلي طيبة بصحبة "سما تاوي تف نخت" على متن السفينة " سايس " يتبعها باقي سفن الموكب. ويأخذ الموكب طريقه إلي طيبة ليرسوا في مرسي معبد الكرنك الكبير حيث كان في استقبالها العابدة الإلهية "شبن إن أوبت" الثانية وابنتها بالتبني و"منتو إم حات" عمدة طيبة وكهنتها العظام. وبهذه المناسبة يمنح "بسماتيك" الأول ابنته الأوقاف والأراضي في أحد عشر إقليما من أقاليم مصر العليا والدلتا ويحذو حذوه كبراء طيبة وكهنتها العظام مثل عمدة طيبة والكاهن الرابع لآمون "منتو إم حات" وأسرته وكبير

كهنة "آمون حار خبي" حفيد الملك "شباكا" والكاهن الثالث لآمون "بادي آمون نب نسوت تاوي" بالإضافة إلي العديد من المعابد في الدلتا إهناسيا. منها قرابين يومية وشهرية بحيث تصل ثروة نيتوكريس والتي حصلت عليها بهذه المناسبة إلي ٣٣٠٠ أرورا من الأراضي و ٢١٠٠ دبنا من أرغفة الخبز بالإضافة إلي القرابين اليومية والشهرية كما يوضحها نص لوحة التبني.

وتستقر "نيتوكريس" في طيبة وإلي جانبها "سما تاوي تف نخت" حاكم إهناسيا وقائد أسطولها، رجل السياسة والحرب والمنفذ الأول لسياسة "بسماتيك" الأول في الصعيد، الوصي المكلف بتهيئة الوضع لتحكم "نيتوكريس". كانت مهمته الأولي تدارس الموقف وموازنة الأمور في طيبة، فهو من أخلص أعوان "بسماتيك" وربما يمت له بصلة القرابة.

وتستقل "نيتوكريس" بوظيفتها الجديدة وتصبح عابدة إلهية منفردة في العام التاسع عشر من حكم "بسمتيك" الأول، متمتعة بمميزات العابدات الإلهيات اللواتي سبقنها، فوضعت اسمها داخل الخرطوش الملكي وزينت جبهتها بالكوبرا، وشيدت مثلها مثل الملوك مقاصير بالكرنك بل وفي مصر العليا من إلفنتين إلي الأشمونين كما توضحها لنا ألقاب مديري أعمالها الكبار مثل "إيبي" (JE 36158)[١] وحفيده "بادي حور رسنت" الذين شيدوا باسم "بسماتيك" الأول العديد من المباني في جنوب مصر. ومن خلال الألقاب التي حملها هؤلاء مثل لقب Imy-r Pr Wr ، يتضح لنا مدي امتداد سلطان "نيتوكريس"، وكيف أنه شمل جنوب مصر بأثره، فحكمت بذلك "نيتوكريس" الجنوب لصالح أبيها "بسماتيك" الأول[٢]. وفي النهاية اتخذت على الأرجح، لقب كبير كهنة آمون (الكاهن الأول لآمون) لتضمه إلي باقي ألقابها، فحكمت بذلك "نيتوكريس" الجنوب لصالح أبيها "بسماتيك" الأول ولكن هل شمل سلطانها الديني معابد ومراكز عبادة آمون في الدلتا ومصر الوسطي؟. وفي النهاية اتخذت على الأرجح، لقب كبير كهنة آمون (الكاهن الأول لآمون) لتضمه إلي باقي ألقابها.

سيطرت "نيتوكريس" مع كبار معاونيها على المناصب الدينية في طيبة وغيرها من أقاليم الصعيد بل وشملت أيضا المناصب الإدارية الكبرى مثل *Jmy-r pr wr* للجنوب بأكمله وأراضي الحدود. ولكن من الملاحظ غياب كافة الألقاب المتعلقة بالخزينة من ألقاب هؤلاء مما

[١] مثال "إيبي" يحمل نص يتعلق بسيرته الذاتيه وما قام به لخدمة " بسماتيك" الأول و"نيتوكريس":

GRAEFE, Erhart, “Ibi, Obervermögensverwalter der Gottesgemahlin Nitokris, auf Kairo JE 36158”, (1994), *MDAIK* 50,1994, p.85-99. (fig., pl.).

[٢] GRAEFE, Erhart, *Untersuchungen zur Verwaltung und Geschichte der Institution der Gottesgemahlin des Amun vom Beginn des Neuen Reiches bis zur Spätzeit*. Band I: Katalog und Materialsammlung. Band II: Analyse und Indices, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1981

يجعلنا نعتقد أن السيطرة الاقتصادية للبلاد بأسرها كانت ضمن اختصاصات موظفي الإدارة الملكية بسايس مما يوحي بارتباطها وسيطرتها على خزينة الجنوب وكان هذا خلال الأسرة السادسة والعشرين خلال عصري العابدة الإلهية "نيتوكريس" وخليفتها "عنخ نس إيب رع" ابنة "بسماتيك" الثاني والملكة "تاخوت" وشقيقة الملك "أبريس".

أصبحت "نيتوكريس" عابدة إلهية متبناه وهي طفلة لا يتعدى عمرها الحادية عشرة، وذلك لأن الفترة الزمنية التي فصلت بين وصولها إلي طيبة في العام التاسع من حكم "بسمتيك" الأول، ووفاتها في العام الرابع من حكم "أبريس"، بلغت حوالي ستين عاما تقريبا، وعليه كانت عند الوفاة تبلغ من العمر حوالي سبعين أو ثلاثة و سبعين عاما من العمر.

ورغم أن سلطة كبير كهنة آمون الكوشي لم تكن تتعدى طيبة إلا أن الملك "بسماتيك" الأول لم يأمن جانبه فقد كان يخشى اتصاله بالكوشيين في نباتا لذا عين احد رجاله المخلصين وهو المدعو " نس ناو باو " في منصب حاكم الجنوب الذي اتخذ من مدينة ادفو مقرا ومركزا له. ومن الواضح أن هناك غرضا آخر وراء تعيين " نس ناو باو " في هذه الوظيفة وهو الحد من سلطان " منتو إم حات " الموظف الكوشي الكبير، إذ كان من اختصاص الحاكم الجديد على الصعيد الإشراف على حامية إلفنتين.

لم يقبل "بسماتيك" الأول أن يقاسمه أحد في السلطة وأراد حماية حدود مصر وجبهاتها المفتوحة فجمع جيوشه في ثلاث نقاط:

أ. إلفنتين لمواجهة النوبيين.

ب. تل دفنه بالقرب من بحيرة المنزلة وجنوب صان الحجر وهذا لمواجهة البدو والآشوريين.

ت. مريا ومنها اشتق اسم مريوط وكانت تقع في مكان ما بجوار البحيرة وهذا لمواجهة الليبيين.

وكان هذا التوزيع في القوى الحربية المصرية منطقيا بحيث ظل نافذا في عهد الفرس. وحكم "بسماتيك" الأول عددا كبيرا من السنين يبلغ حوالي نصف قرن من الزمان أو أكثر قام خلالها بإصلاحات عديدة في المعابد، وإليه يرجع الفضل في تكوين جيش وأسطول قوامهما مكون من الأجانب: إغريق، سوريين، وليبيين هذا بالإضافة إلى عدد من المواطنين، وللحد من نفوذ الجنود الأجانب وضعت القوات تحت قيادات مصرية.

كما قام "بسماتيك" بتشجيع التجار الإغريق على الاستيطان بمصر ففي عام ٦٦٤ ق.م. كان اليونانيون قد استقروا على مقربة من مصب فرع رشيد وأسسوا مركز تجاريا في نوكراتيس. وامتدت تجارة الإغريق حتى وصلت إلى قنا والخارجة وكانوا يجلبون النبيذ والزيوت والأواني الفخارية والأسلحة من بلاد البحر المتوسط ويصدرون إليهم الحبوب والبردي والمنتجات الواردة من إفريقيا.

وانشأ "بسماتيك" مدارس للترجمة ليسهلوا التعامل بين رعاياه والأجانب، وبسهولة تبنى تقاليد مصر وعاداتها الفينيقيون المتمصرون والكاريون، غير أن استيطان اليهود واليونانيين كان أكثر صعوبة: ظل اليهود المنفيون (منذ ٥٨٧ ق.م.) على صلة مع يهوذا، بينما احتفظ بتميزهم . وذلك على الرغم من امتزاج جزئي تدل عليه: الأسماء المختلطة والمطابقة بين اله الجانبين وهذا بالإضافة إلى نوع من التلاقي الغريب بين تقاليدهما. كان الأجانب الذين أتى بهم ملوك صا الحجر على درجة من الحضارة لا تقل عن حضارة المصريين، وذلك على عكس أولئك الذين استخدمهم ملوك الدولة الحديثة كصناع ومحاربين.

ومن الواضح أن الظروف الاقتصادية الجديدة كانت تهدد بتصدع نظام الحكم الفرعوني القديم أي أن المرتزقة والتجار الأجانب كانوا يمهدون . دون قصد . لسيادة الإغريق على مصر. وقد شعر المصريون بذلك فنرى أنهم في محاولة يائسة للتمسك بمصريتهم يعنون بفنونهم فنرى أن مدرسة طيبة الفنية لم تندثر بل على العكس تعمل على أن تتطور وخير شاهد على هذا ما تركة لنا ملوك هذه الفترة وكبار موظفيهم وأهمهم " منتو إم حات " الذي ترك العديد من التماثيل والآثار الصغيرة والمنقولة إلا أننا نلاحظ في نفس الوقت ظهور تيار جديد كان هدفه المحافظة على حضارة مصر والتشبث بها وهو التيار الذي يميز في الفنون والأدب بالعودة لمحاكاة القديم.

وفي عام ٦٠٩ ق.م. مات "بسماتيك" الأول الذي حكم مصر أكثر من نصف قرن من الزمان أدى فيه من الأعمال الجليلة على الصعيد الداخلي والخارجي ما يضعه في مصاف الفراعنة العظام، فقد نعمت مصر في عهده بالكثير من الرخاء والرقى.

نكاو الثاني[١]، وحم إيب رع

٦١٠ – ٥٩٥ ق.م

توفي "بسماتيك" الأول وترك مصر أمانة في عنق ابنه الذي تولى الحكم من بعده باسم "نكاو" الثاني، وكان هذا الأخير لا يقل جسارة واهتماما بإصلاح شئون مصر في الداخل وفي الخارج عن أبيه.

قبيل اعتلاء "نكاو" الثاني عرش مصر كان غرب آسيا مازال يموج بتحركات ونشاط كبير فاستطاعت مملكة هندوآريه تنظيم نفسها على حدود أشور، فمنذ عهد "سرجون" الثاني تجمعت عدة قبائل ميدية في مملكة تحت سلطة رئيس يسمى " ريموكيس " فاختار منطقة " كباتان " (جزء من هضبة إيران مكانها الآن همذان) عاصمة له وثبت ابنه " فرا أوربتس " دعائم المملكة واستطاع إخضاع القبائل الفارسية التي استقرت في النواحي المجاورة، إلا أنه كان أقل توفيقا ضد الآشوريين وقتل في إحدى المعارك، فأعاد ابنه "كيا كسارس " تنظيم الجيش وغزا أشور وحاصر " نينوى " ولكن غزوا من جانب " السكيت " اضطره إلى إيقاف حملته فأنقذ بذلك العاصمة الآشورية ونتيجة لهذا انتشر " السكيت " في سوريا وفلسطين.

وفي ذلك الوقت (حوالي ٦٢٦ ق.م) مات " أشوربانيبال " ملك " نينوى" و" بابل " وتتبع هذا تدهور مملكة " نينوى " أما في " بابل " استطاع " نابو بولسار" أن يتخلص من نير آشور وتحالف مع ملك " ميديا " كيا كسارس " الذي نجح في النهوض ببلاده بعد غزو " السكيت " وهاجم الحليفان " نينوى " واستوليا عليها ودمراها (٦١٢ ق.م) واقتسم " كيا كسارس" و "نيوبولسار" بعد انتصارهما، الإمبراطورية الآشورية القديمة، فاستقر الميديون في الشمال في شرق دجله وغربه والبابليون في العراق الشرقي وسوريا، وهنا ظهر "نكاو" الثاني على مسرح الأحداث واعتقد أن الوقت قد حان للتدخل في فلسطين واعدة الإمبراطورية المصرية في آسيا، ففي العام التالي لتوليته (٦٠٨ ق.م) عزم الفرعون على مد يد العون لملك أشور فجهز جيشا

---

[١] Yoyotte, J., *Dictionnaire de la Bible. Supplement VI*, 1958, col. 365 – 370.

وتقدم به نحو العراق إلا أن " يوشيا " ملك " يهوذا " اعترض طريقه، فالتقيا في معركة شرسة دارت على أرض مجدو وكان النصر فيها حليف "نكاو" الثاني إذ قتل " يوشيا " وخلفه ابنه " يهوأخر " الذي أسره "نكاو" وأرسله إلى مصر، ووضع بدلا منه على عرش يهوذا أخاه " اليقيم " الذي غير اسمه إلي " يهويقيم " الذي فرض على أورشليم أن تدفع إلى ملك مصر ضريبة ثقيلة من الفضة والذهب. واخضع "نكاو" بدون عناء بقية سوريا ووصل إلى نهر الفرات حيث نجده في قرقميش، ولم يحاول العصيان سوى غزة إلا أن الثورة أخمدت. وفي تلك اللحظة قرر ملك بابل التدخل فأرسل ابنه " نبوخذ ناصر " على رأس جيش ليعترض تقدم "نكاو" الثاني في آسيا والتقيا في قرقميش وكان هذا في عام ٦٠٥ ق.م، وفي هذه المعركة هزم المصريين وفروا من وجه الأعداء وعادوا إلى الدلتا. وطبقا لرواية التوراة، كتاب الملوك الثاني (٢٤: ٧) لم يعد في مقدرة المصريين العودة إلى فلسطين لأن ملك بابل أخذ ما كان لملك مصر من نهر مصر إلي نهر الفرات.

وأنقذت مصر من غزو حتمي بموت ملك بابل (٦٠٥ق.م) إذ أسرع " نبوخذ ناصر" بالعودة إلى بابل لتولى العرش.

ولم يفقد "نكاو" الثاني أمله، ولا ريب أنه شجع التحالف الذي تكون إذ ذاك ضد بابل والذي كان على رأسه " يهويقيم " إلا أن "نبوخذ ناصر" أرسل ضده جيشا كبيرا وهلك ملك " يهوذا " وسقطت أورشليم وأخذ " نبوخد نصر" ملك يهوذا الجديد ومعه نخبة من أهل مملكته أسري ووضع في مكانه على عرش يهوذا ابنا آخرا لـ "يوشيا" غير اسمه إلى " صدقيا ".

ولم يتحرك "نكاو" الثاني خلال هذه الأحداث لأنه كان يخشى من هزيمة جديدة ولكن الملك كان يفكر في استرداد فلسطين لا بمعركة منتظمة إذ أن جيش بابل كان أقوى من جيشه، بل أراد استردادها بأسطول بحري، فطلب من الكورنثيين أن يبنوا له أسطولا حربيا وسرعان ما ضمن السيادة البحرية. وكان لهذا المشروع ميزة مزدوجة هي حماية الشواطئ البحرية وإعطاء الملك جيشا قويا ضد بابل ربما كان لا يستطيع بفضله أن يثأر لهزيمته إلا أنه مات قبل أن ينفذ مشروعه. أمر "نكاو" الثاني أيضا ببناء أسطول في البحر المتوسط، ومن رواية لهيرودوت أنه أمر ببناء أسطول أخر ليجوب به ساحل مواني إفريقيا، فخرجت بعض سفنه يقودها ملاحون فينيقيون في رحلة حول الشاطئ الإغريقي استمرت مدة ثلاث سنوات وعادوا بعدها إلى مصر عن طريق بوغاز جبل طارق يحملون خيرات البلاد والمواني التي مروا بها.

ومن أهم المشروعات التي قام بها "نكاو" الثاني هو إعادة حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر وهى القناة التي تبدأ من مكان ما على مقربة من مدينة الزقازيق وتصل إلى البحيرات بالقرب من مدينة الإسماعيلية الحالية. والجدير بالذكر هنا أن هذه القناة قديمة وقد حفرت من قبل في أيام الدولة الحديثة على الأرجح إلا أنها كانت تهمل من آن إلى آخر حتى ردمت تماما. وبهذا المشروع أراد "نكاو" الثاني أن تصبح الملاحة سهلة وتتمكن السفن من أن تأتى من البحر المتوسط لتصل إلى منف ثم تبحر عبر الفرع البوبسطي ومنها إلي البحر الأحمر. ولكن هيرودوت ذكر بشأن هذه القناة أن حوالي مائة ألف رجلا من المصريين هلكوا أثناء العمل في حفر هذه القناة، غير أن العمل فيها أوقفه الملك بناءً على نبوءة صادرة من مدينة " بوتو " والتي قررت أن حفر هذه العمل لن يستفيد منه سوي الأجانب. وما يستحق أن نذكره أن حفر هذه القناة قد أتمه الملك المحتل "دارا " الفارسي.

بسماتيك الثاني، نفر إيب رع

٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م

ولما مات نكاو الثاني في عام ٥٩٤ ق.م. خلفه على العرش ابنه "بسماتيك" الثاني الذي لم يدم حكمه أكثر من سبع سنوات كانت أعماله خلالها قليلة.

ولكننا نذكر له أنه اهتم ببلاد النوبة وأرسل في العام الثالث من حكمه بحملة إلى هناك وقد وصلتنا إخبار تلك الحملة من نصوص كتبت باللغة اليونانية على أحد تماثيل "رمسيس" الثاني بأبو سمبل.

لما جاء الملك "بسماتيك" إلى إلفنتين وكتب هذا النص بمعرفة الجند ممَن أبحروا مع "بسماتيك بن ثيوكلس"، ووصلوا إلى ما وراء " كركس " حسبما سمح لهم النهر (أي النيل أو على الأحرى أنه يعنى صخور الجندل الثاني أي عند وادي حلفا) وقد قاد " بوتاسيمتو" (بادي سماتاوي) أولئك الذين يتحدثون لغة أجنبية، كان قائد المصريين الضابط المصري "أحمس" (أمازيس). وقد كان كل من "بوتاسيمتو " و"أمازيس " من القواد المصريين المعروفين، عاشا أيام "بسماتيك" الثاني وشغلا منصبين حربيين كبيرين. وقد سجلت الحملة النوبية أيضا على لوحتين عثر عليهما في إلفنتين وصا الحجر (سايس) والكرنك.

وقد سبق أن ذكرنا أن "بسماتيك" الأول قد نجح في إبعاد الكوشيين عن طيبة. وقد قام العالمان الفرنسيان سرج سونرون وجان يويوت [١] بتفسير عبارة وردت في خطاب "أريس تاس" إلي المدعو " فيارغرات "، فيها أشار صاحب الخطاب إلي أن بطليموس الأول أحضر ألفا ألف عسكري يهودي من فلسطين إلى مصر. ويذكر كاتب الخطاب حادثتين سابقتين لموت

[١] Sauneron, S., Yoyotte, J., “La campagne nubienne de Psammétique II et sa signification historique », *BIF AO* 50, 1952, 157 – 207.

"بطليموس" الأول، إحداهما وقعت في العهد الفارسي والثانية ترجع إلي عصر واحد من الملوك الذين حملوا اسم "بسماتيك" الذي استخدم في حربه ضد النوبيين، جند من اليهود أتى بهم من فلسطين. ويفترض كل من يويوت وسونرون احتمال أن يكون الذي استخدم القوات اليهودية في هذا الشأن هو "بسماتيك" الأول وليس "بسماتيك" الثاني كما يظن دريوتون وفانديه[١] لأن مملكة يهوذا في ٥٩١ ق.م، أيام حكم "بسماتيك" الثاني، كانت لا تستطيع إرسال مرتزقة من اليهود إلى الملك المصري، وأن " أريستاس " كان يشير في خطابه إلى "بسماتيك" الأول الذي يحتمل أنه استخدم عساكر يهود في إحدى معاركه ضد "تانوت آمون".

ما من شك أن اليهود المرتزقة قد اشتركوا في غزو النوبة في عهد "بسماتيك" الثاني، إلا أن هؤلاء اليهود كانوا من الذين قد أقاموا في مصر منذ مدة طويلة ولم يحضرهم "بسماتيك" الثاني من مملكة يهوذا.

أما عن الرحلة التي وقعت حوادثها أيام "بسماتيك" الثاني في الأقاليم الآسيوية فلا يزال أمرها صعبا ومعقدا. وقد ذكرت على بعض وثائق البردي التي كتبت بالخط الديموطيقى، ويبدو أنها بعثة ذات أغراض سلمية لأن أعدادا كبيرة من الكهنة اشتركت فيها. أو أنها من المحتمل كانت زيارة دبلوماسية إلى الولايات الآسيوية التي ظلت مخلصة لمصر وليس من المستحيل ذهاب "نكاو" الثاني إلي هذه المناطق بعد عام ٦٠٥ ق.م، ولما نجح في رحلته نهج خليفته نفس الطريق ولابد أن هذه الرحلة كانت تالية لحملة النوبة. وبناء على رأى لجان يويوت أنه كان مقدرا لها السنة الرابعة لحكم الملك ولكنها لم تتم إلا في السنة السادسة لأننا نعرف أن "بسماتيك" الثاني قد مات بعد عودته من آسيا وقد ذكر هيرودوت أن الملك قد مات بعد فترة بسيطة من عودته من حملة النوبة ولابد أن هيرودوت قد خلط بين حملة النوبة ورحلة آسيا.

وبعد ذلك بقليل تطورت الأحداث في الشمال الشرقي وتعقدت الأمور ففي عام ٥٩١ ق.م. خاض ملك ميديا "كياكسارس" في حربا عنيفة ضد مملكة ليديا المجاورة له، انتهت بعد خمس سنوات بزواج دبلوماسي بين العائلتين. وفي هذه الظروف واضح أن "نبوخذ نصر" لم يرى عونا من حلفائه الأقوياء ومع هذا لم يستطع أن يقف مكتوف الأيدي عندما ثار عليه " صدقيا " ملك يهوذا في حوالي عام ٥٨٩ ق.م. فقام بفرض حصار على أورشليم ودخلها فيما بعد.

---

[١] Drioton, E. et Vandier, J., *L'Egypte*, Paris 1962, p. 596 – 597.

وفي حوالي ٥٨٩ ق.م. مات "بسماتيك" الثاني بعد أن حكم عددا قليلا من السنين ترك خلالهم عدة آثار عثر عليها في مناطق مختلفة من مصر ففي الدلتا عثر على آثاره في مناطق: رشيد، الإسكندرية، دمنهور، تانيس (صان الحجر)، وتل بسطة، وهليوبوليس.أما في الوجه القبلي فقد عثر على آثار له في وادي الحمامات وأسوان. هذا بالإضافة إلي ما عثر عليه من آثار أفراد أسرته وكبار القوم في عصره.

وتولى من بعده عرش البلاد ولده "واح إيب رع" المعروف أيضا لدينا بالاسم الذي أطلقه عليه اليونانيين وهو "أبريس" .

حعع إيب رع، واح إيب رع (أبرييس)

٥٨٩ – ٥٧٠ ق.م

مات "بسماتيك" الثاني بعد مرض لم يمهله طويلا هذا بعد أن حكم مصر عددا لا يزيد عن سبع سنوات استطاع خلالها أن يسجل لنفسه انتصارا في النوبة والقيام برحلة إلى آسيا. وتولى من بعده ابنه "أبرييس" الذي عرف في التوراة باسم " حوفرا "[١].

وقد اختلف المؤرخون على طول الفترة التي حكم فيها "أبريس" مصر فهيرودوت سجل له فترة حكم تبلغ خمسة وعشرين عاما، وأشار مانيتون أنه حكم مدة تسعة عشر عاما ولكن ديودر الصقلي يرى أنه كان ملكا على مصر مدة لا تقل على اثنين وعشرين عاما.

ويروى لنا هيرودوت أن "واح إيب رع، أبرييس" قاد جيشا ضد صيدا وخاض ضد الصوريين معركة بحرية وأيد هذا الحادث "مناندروس" الذي يحدد أن حصار مدينة صور دام ثلاثة عشر عاما وأن الملك " مربعل " ضمن تأيد بابل الذي ملكه "نبوخذ نصر" إلى رأى أن التحالف مع صور يسهل له مهاجمة "واح إيب رع، أبرييس" بحرا.

وقبل أن يتم هذا الاتفاق كان ملك بابل قد استولى على أورشليم مرة أخرى وهذا على اثر عصيان ملك يهوذا كما ذكرنا من قبل فدمر "نبوخذ نصر" ملك بابل المدينة وأخذ عددا كبيرا من اليهود كأسرى إلى بابل وفي تلك الفترة جاءت أفواج من اليهود تحتمي في مصر فاستقبلهم "واح إيب رع، أبرييس" بالترحاب ولكن النبي إرميا الذي جاء معهم ظل على حقده على ملك مصر وأخذ يصب عليه اللعنات وقال عنه : " هكذا قال الرب ، لسوف أوقع الفرعون "حوفرا" بين يدي أعدائه الذين يطلبون حياته" (إرميا: الإصحاح ٤٤، ٣٠) والجدير بالذكر أن الجالية اليهودية التي أقامت في إلفنتين قد ازدهرت خاصة في العصر الفارسي، مما يوحى لنا بحسن المعاملة والحرية التي وفرها لهم المصريون.

---

[١] إرميا، الإصحاح ٤٤، ٣٠.

وفي نهاية حكم "واح إيب رع، أبرييس" وقع في ليبيا حادث كلف الملك ضياع تاجه. والجدير بنا أن نرجع قليلا إلى الوراء : في عهد الملك "بسماتيك" الأول ٦٣١ ق.م أسس أحد الدوريين ويسمى "باتوس" مدينة قورينة (شحات) الواقعة على الشاطئ بليبيا[١]. واحتمل الليبيون الأصليون هذا الجوار ما يزيد عن ستين عاما. في سنة ٥٧٠ ق.م وفدت على ليبيا أفواج جديدة من الإغريق واستولت على مساحات شاسعة من الأراضي فثار الليبيون ودعوا ملك مصر لنجدتهم، لم يشأ "واح إيب رع، أبرييس" أن يبعث بجيش من الإغريق المرتزقة ضد إغريق قورنية حتى لا يتعاطفا معا، فأرسل جيشا مصريا إلي قورينة حيث أبيد فانفجرت الثورة ضده في مصر. فبعث الملك بالقائد "أحمس" للعصاة حتى يقوم بتهدئة الأفكار والنفوس ولكن "أحمس" ينضم إلى العصاة وينادى بنفسه ملكا ويسير ضد "واح إيب رع" الذي هجره الجميع، فوضع كل أمله في فرق المرتزقة الإغريق. والتقى الفريقان بالقرب من مدينة منف عام ٥٦٩ ق.م وهزم المرتزقة الإغريق القليلو العدد وأخذ "واح إيب رع، أبرييس" أسيرا وأرسل إلي مقره الملكي القديم سايس الذي كان يشغله إذ ذاك "أحمس" وقد عامل هذا الأخير سلفه معاملة حسنة ولكن المصريين غضبوا من هذا التصرف وطلبوا من "أحمس" أن يسلمهم ملك مصر فاستجاب لهم "أحمس" وسلمهم "واح إيب رع" الذي قتل خنقا. كانت هذه هي رواية هيرودوت وقد تم العثور على نص مصري فيه ما يؤيد كلام المؤرخ الإغريقي العظيم والوثيقة المصرية تعتبر الوحيدة التي تشير إلى النزاع بين "واح إيب رع، أبرييس" و"أحمس" هي لوحة كبيرة محفوظة في المتحف المصري بالقاهرة رقم : 24/1 /6 /13 ، نشرها العالم الفرنسي دارسي. ويعرفنا هذا النص أن معركة بين الملكيين حدثت في العام الأول من حكم "أحمس". وإذا كان هناك اشتراك في الحكم فلابد أن يكون قد حدث قبل هذه المعركة كثمن لوقوف القائد "أحمس" إلي جانبه، ولكن يحدث العكس وبدلا من أن يتدخل "أحمس" لصالح "أبرييس"، يعلن نفسه ملكا ويحمس جنوده ضد "أبرييس" ويذكرهم بنكبات مصر الحربية في عهده.

ونشعر في كلمات نص اللوحة بتزايد بغض المصريين للإغريق، البغض الذي دعي "أحمس" لاتخاذ الخطوات السابق ذكرها. وطبقا لهذه اللوحة يكون " أبرييس" قد قتل في المعمعة ودفن بعناية "أحمس" الذي نظم أيضا خدمة سلفه الجنائزية بعناية شديدة. وهكذا تحققت نبوءة النبي إرميا[٢] بانتهاء "أبرييس" نهاية مأساوية.

---

[١] ابراهيم نصحي، انشاء قوريني وشقيقتها، ١٩٧٠، ص ١٢ وما بعدها.

[٢] إرميا، الإصحاح ٤٤، ٣٠.

أحمس الثاني، إيب رع (أمازيس)

٥٧٠-٥٢٦ ق.م

وبعد وفاة "واح إيب رع، أبرييس" على يد بني وطنه يتولى، لأول مرة، "أحمس" الثاني الحكم منفردا. وقد عرف "أحمس" الثاني هذا باسم "أمازيس" وجرت العادة على الإشارة إليه في الكتب المتخصصة باسمة الإغريقي وهذا ربما لأن اسم "أحمس" يذكرنا دائما بسلفه العظيم قاهر الهكسوس.

حكم "أمازيس" عددا كبيرا من السنين ويحتمل أن يكون المصريون الذين نال "أحمس الثاني، أمازيس" النصر على أيديهم هم سلالة المقاتلين الليبيين أي أعداء المرتزقة الإغريق الأزليون. وقد عرف "أحمس"، أمازيس" بلباقة كيف يهدئ من بغض أتباعه للأجانب بإجراءات عديدة: لم يلبث التجار الإغريق أن لحقوا بالمرتزقة فقامت جاليات إغريقية ، أولا : في مدن الدلتا المختلفة وعلى الأخص في مدن الحاميات ثم نجدهم فيما بعد في الوجه القبلي حيث يحتمل أنهم أتوا خلف الجنود الإغريق وعلى الشاطئ كانت تقوم تجارة رائجة بين بلاد الإغريق ومصر. وليس لدينا أدنى شك في أن الأجانب أثروا سريعا مما أوجد عند المصريين مبررا جديدا للسخط وعندما حدثت ثورة البغضاء للأجانب التي تلت تولية "أحمس الثاني، أمازيس" ظن الملك أنه يجب تركيز كل التجارة الإغريقية في مصر في مدينة نوكراتيس وهى بلدة واقعة على الفرع الكانوبي للنيل لا تبعد عن مدينة الإسكندرية الحالية. وكانت المدينة تدير نفسها على النظام الإغريقي وكان أهلها أغلبهم يحتفظون بعلاقات ودية متصلة مع بلادهم الأصلية. وسرعان ما أصبحت نوكراتيس من أزهى مدن الدلتا بفضل التجارة مع البلاد الإغريقية إذا كان ملحقا بالمدينة ميناء حر يتحتم إنزال جميع البضائع فيه. وكانت هذه التجارة الهائلة سببا في ثراء معظم الإغريق من سكان نوكراتيس ثراءا سريعا.

وقد ترك لنا هيرودوت صورة لـ "أمازيس" فذكر المؤرخ الإغريقي أنه من إقليم سايس (صا الحجر) وكان شخصا عاديا من عامة الشعب. لقد جاء فيما ذكره هيرودوت (الجزء الثاني : فصل ١٧٥) ما يلي : " ويروى أن أمازيس كان – حتى وهو شخص بسيط – يحب الشرب (أي يحب الخمر) والمزاح ولم يكن على الإطلاق رجل جدا ونشطا. وكان كلما أعوزته

لوازم الحياة بسبب الشرب وحياة المجون. أخذ يطوف ويسرق. فكان يسوقه الذين يدعون أنه أخذ مالهم، عندما ينكر، تسوقه كل طائفة منهم إلى الوحي الذي في معبدها. وكثيرا ما كان الوحي يدينه، وكثيرا ما كان يبرئه أيضا. وعندما أصبح ملكا أغفل معابد الآلهة التي برأته من السرقة، ولم يعط شيئا لإصلاحها أو ترميمها ولم يزرها ولم يصغ لها، لأنها لم تكن جديرة بشيء من احترامه، ولأن نبوءتها كاذبة. أما الآلهة التي أفتت بأنه سارق فقد اهتم بها كل الاهتمام باعتبار أنها آلهة لا ريب فيها وأنها تنطق بتنبؤات صادقة.

ويستطرد هيرودوت في الجزء الثاني الفصل ١٧٥ من كتابه عن تاريخ العالم قائلا: "وفي مدينة سايس شيد هذا الملك رواقا رائعا لأثينا ... و أقام أيضا الشوامخ من التماثيل وتماثيل كباش بالغة الطول. وأحضر حجارة أخرى للترميم هائلة الحجم، جلب بعضها من محاجر منف وبعضها الأخر وهو ذو ضخامة منقطعة النظير – من مدينة إلفنتين وهى على مسافة إبحار عشرين يوما من سايس، وعليه فإن أكثر ما ترك في نفسه أبلغ الأثر من بين كل ذلك أنه أمر بإحضار هيكل منحوتا في صخرة واحدة من إلفنتين، واستغرق إحضارها ثلاث سنوات، نقله عشرين ألف رجل وكلهم كانوا من الملاحين وطول هذا الهيكل من الخارج إحدى وعشرون ذراعا، وعرضا أربعة ذراع، وارتفاعه ثمان أذرع ويؤكدون أنه لم يسحب إلى داخل المعبد لأن المشرف على أعمال البناء قد أرهقه هذا العمل الشاق الطويل الأمد، فأشفق عليه "أمازيس" ولم يسمح بجره أبعد مما وصلوا إليه. ويروى البعض أن واحدا من الذين كانوا يرفعونه قد سقط تحته وسحقه الحجر لذا لم يسحب إلى داخل المعبد".

ويقول هيرودوت، الفصل ١٧٧، ما يلي: "إذ يقال أن مصر كانت في عهد "أمازيس" على درجة كبيره من الازدهار ، وذلك نتيجة لما جاء به النيل على الأرض من طمي، وما جاءت به الأرض على الناس من خير وكان بمصر في ذلك العهد ألف مدينة آهلة بالسكان". كما كان "أمازيس" هو واضع القانون الذي يفرض على كل مصري أن يبين الدخل السنوي لحاكم الولاية. ومن لا يفعل ذلك ولم يثبت أنه يعيش عيشة مشروعة، كان عقابه الموت. ولقد نقل صولون الأثيني هذا القانون عن المصريين وطبقه في بلده.

وقدر ديودور الصقلي المدن الآهلة بالسكان في مصر في ذلك العصر بحوالي ١٨٠٠٠ مدينة، وأنه بلغ أيام البطالمة حوالي ٣٠٠٠٠ مدينة وعلى هذا الأساس قدر عدد سكان مصر بنحو سبعة ملايين نسمة.

يري "أمازيس" أن الخطر يكمن في الشرق والغرب منه فحصن حدوده الغربية فأقام الكثير من الحاميات على الشاطئ وبنى المعابد في سيوه والواحات الخارجة والبحرية كما شجع الناس على الإقامة فيها وهذا ليجعل منها خطوطه الأولى في حالة هجوم يوناني ليسيطر عليه ومحاولتهم النفاذ إلى مصر. أما في الشرق فكان الأمر لا يختلف وهذا لأن دولة بابل كانت أطماعها تمتد إلى مصر نفسها ففي بداية حكمه وجد الفرعون المصري نفسه مضطر لخوض معركة في فلسطين وهزم فيها وتمكن العدو من سحق جنوده الإغريق. وأنسحب "أمازيس" إلى مصر إلا أن البابليين لم يتتبعوه. ولكن أحمس كان يشعر باستمرار الخطر فحاول أن يحصن نفسه ضده وهذا باستيلائه على قبرص ومصاهرته لأمير قورنية (Cyrene) وتزوج ابنته الأميرة " لديكي" كما عقد تحالفا مع ملك ليديا.

قضى "أمازيس" حوالي اثنين وأربعين عاما ملكا على مصر حاول فيها أن يقود مصر إلى شاطئ الأمان ونجح في ذلك إلى حد كبير ، ونعمت مصر بعهد سعيد مزدهر وعم فيه الرخاء ، إلا أنه في العام الأخير من حكمه بدأت الأمور تتطور وخطر جديد أخذ يهدد مصر إلا أن العبء لم يثقل كاهله بل وقع على عاتق ابنه وخليفته.

بسماتيك الثالث، عنخ كا (إن) رع

٥٢٦-٥٢٥ ق.م

إن الحروب الكثيرة قد مزقت وحدة العالم القديم فترة من الزمن ولكننا نرى دولة عالمية تظهر في ذلك العصر في الشرق وهى دولة فارس، وكان مركزها الأصلي على الساحل الشرقي للخليج الفارسي وتمتد كثيرا إلى الداخل لتضم العديد من المقاطعات. ولما مات "قورش " في سبتمبر ٥٣١ ق.م تولى تلك المملكة ولده قمبيز وأصبح يلقب (ملك بابل ، ملك الأقطار) وقد عزم "قمبيز" على غزو مصر.

لقد استطاع الفرس أن يستولوا على آسيا الصغرى ، واستمالة بعض المرتزقة اليونان من الذين كانوا يعملون في الجيش المصري، ففر أحدهم بعد أن اختلف مع "أحمس الثاني، أمازيس" والتحق بخدمة "قمبيز"، وقد كان لذلك أثره السيئ نحو مصر إذ نقل هذا الجندي من المرتزقة كل أسرار الجيش المصري لـ "قمبيز" مما كان له أثره في تعجيل الانتصار على المصريين.

تقدمت القوات الفارسية، وكانت تستخدم أيضا جنودا مرتزقة من الإغريق المصريين تماما، والتقت الجيوش عند "بلوزيوم" (تل الفرما) وانتصر الجيش الفارسي في تلك المعركة، وتراجع المصريون إلى منف فتتبعهم "قمبيز" وحاصر المدينة القديمة وفي أثناء الحصار استقبل الملك الفارسي رسلا من إغريق ليبيا احضروا إليه الهدايا وقدموا للفاتح خضوعهم (هيرودوت، ٣، ١٣). ويبدو أن منف اضطرت إلى التسليم. وفي البداية عامل "قمبيز" الملك "بسماتيك" الثالث معاملة حسنة لكن هذا الأخير حاول أن يثير المصريين ضد المستعمر فأمر "قمبيز" بالقبض عليه إلا أن "بسماتيك" الثالث لم يستسلم هذه المرة ولم يرضى أن يقضى عليه جنود "قمبيز" فتخلص من هذا الهوان بالانتحار.

أما "قمبيز" فأخضع مصر العليا دون أي عناء ودخل طيبة وأرسل جيشا إلى الواحة الخارجة وآخر إلى النوبة وأنه قاد هذه الحملة الأخيرة بنفسه[١] وعند عودته إلى مصر ارتكب كما

[١] هيرودوت ٣: ١٧ وما بعده

يقول هيرودوت فظائع وحشية ومات مجنونا في سوريا وهو في طريق عودته إلى فارس في عام ٥٢٢ ق.م.

الأسرة السابعة والعشرون الفارسية

٥٢٥ – ٤٠٤ ق.م

قمبيز	٥٢٥ – ٥٢٢ ق.م
دارا الأول (داريوس الأول)	٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م
خشابادشا (أكسركسيس)	٤٨٥٦ – ٤٦٥ ق.م
أرتاخشاشا (أرتا كسركسيس الأول)	٤٦٥ –٤٢٤ ق.م
دارا الثاني (داريوس الثاني)	٤٢٤ – ٤٠٥ ق.م

قمبيز

٥٢٥ – ٥٢٢ ق.م

لم تمدنا الوثائق الرسمية بأية رواية عن هزيمة مصر على يد "قمبيز" يمكن أن تقارن برواية هيرودوت. ولكن هناك نص معاصر وهو منقوش على أحد التماثيل الخاصة بشخصية مصرية وهو "وجا حر رسنت" وهذا النص عبارة عن سيرة مطولة لهذا الأخير وفيها تلميحات خفية عن هزيمة مصر وبعض بيانات عن هذه الشخصية في بلاط "قمبيز".

باشر "وجا حر رسنت" وظائف هامة، ففي الوقت الذي غزا فيه "قمبيز" مصر كان أميرا للأسطول المصري ولابد أن موقفه لم يكن مجيدا إذ أن النص لا يعطى أي بيانات عن النزاع المصري الفارسي ومن المحتمل أنه انتقل فورا إلى معسكر العدو والحظوة التي تمتع بها في البلاط الفارسي بمجرد فتح مصر تؤيد هذه النظرية. ويشير "وجا حر رسنت" بعبارة غير صريحة عن اضطراب كبير جدا حدث في إقليم سايس وفي مصر بأكملها ولم يكن له شبيه ومن الواضح أنه كان من العسير عليه أن يبين سوء أعمال جيش كان هو في خدمة صاحبة لكن هذه التلميحات تكفي لإقناعنا بأن جنود قمبيز تصرفوا تصرف قطاع الطرق[١].

يتباهى "وجا حر رسنت" بأنه أقنع "قمبيز" بحسن معاملة المصريين فتدخل أولا لدى مليكه لمصلحة إقليم سايس ولآلهته ثم عرف "قمبيز" بعادات البلاد وألف له ديباجة نعوت ملكية كاملة وحرص الملك على تمجيد معبودات المصريين وعلى تقديم القرابين لهم بنفسه فأمر الملك بطرد المعتدين من المعابد التي استقروا فيها وإصلاح الإضرار التي سببوها وهذا على قدر المستطاع.

وكما نرى يختلف هذا الموقف من جانب الفاتح اختلافا بينا مما ينسبه إليه هيرودوت ويتفق على كل حال مع سياسة المصالحة التي كان أبوه "قورش" يمارسها مع الشعوب التي انتصر عليها.

ويدعى هيرودوت (٣ : ٢٧ – ٢٩) أن من بين سيئات "قمبيز" الأخرى قتله العجل أبيس في ساعة حنق شديد ولكن الوثائق المصرية لا تشير إلى شئ من هذا بل بالعكس نعلم أن الملك أمر بصنع تابوت فاخر للعجل الذي مات في العام السادس من حكمه.

---

[١] رمضان عبده على، معالم تاريخ مصر القديم، القاهرة د.ت، ص ٦٢١.

ويحتمل أن يكون " وجا حر سنت " قد أصبغ على موقف "قمبيز" حيال مصر والمصريين مسحة مثالية بينما هيرودوت الذي تلقى معلوماته من الكهنة المصريين القوميين، والذي كان يمقت الفرس باعتباره إغريقيا ترك صورة سيئة ومبالغ فيها للغازي.

أما عن الجيشين اللذين خرجا من طيبة إلى كوش (النوبة العليا) وإلى الصحراء الغربية (الواحات) فكان "قمبيز" على رأس أولهما فذهب إلى مروى وهناك هزم هزيمة فادحة على يد ملوك نباتا . وقد روى لنا هذه القصة كل من هيرودوت واسترابون .

أما الجيش الثاني فقد كانت أصابته أفدح من الجيش الأول، إذ أنه خرج من مدينة طيبة في طريقه إلى الواحة الخارجة التي وصل إليها بعد أسبوع واحد ومنها أخذ المؤن وما يلزم من أدلاء واتجه بعد ذلك إلى سيوه حيث المعبد الشهير بنبوءة آمون ولكن الجيش هلك بأكمله في الصحراء.

أراد "قمبيز" غزو قرطاجنة في تونس ولكنه فشل في إقناع بحارته من الفينيقيين في أسطوله بمهاجمة أهلهم في هذه المدينة الفينيقية الثرية فعدل عن غزوها. وغادر "قمبيز" مصر عائدا إلي بلاده بعد أن ترك "أرياندس" الذي قد يكون أحد أقاربه أو من أعوانه المخلصين، وفي طريق العودة وعند جبل الكرمل علم أن أخاه "بارديا" قد استولي على العرش في فارس، فانتحر عام ٥٢٢ ق.م، وبذلك تحققت نبؤة وحي آمون بسيوه الذي تنبأ له بسؤ المصير إن قام بغزو مصر.

دارا الأول (داريوس الأول)

٥٢٢-٤٨٦ ق.م

لما غادر "قمبيز" مصر في عام ٥٢٢ ق.م. ترك " "أرياندس" واليا على مصر فأقام بلاطه في منف . وقد سبق أن ذكرنا أن قمبيز مات وهو عائد إلي فارس وعندما تولى ابنه "دارا" حدثت ثورة في ليبيا. فأرسل الوالي جيشا إلى ليبيا بقيادة ضابط اسمه "أحمس" (وهو الاسم المصري لضابط إغريقى يدعى ارساميس) ليخمد الثورة. فتغلب الجيش على قرينه بخدعة ولكن في طريق عودته عانى من حملات الليبيين المستمرة وصعوبات الطريق بحيث أن الحملة انتهت بهزيمته تقريبا (هيرودوت ٤: ١٦٧-٢٠٥) فعاقب "دارا" الوالي بالموت بعد هذه الهزيمة بقليل (هيرودوت ٤: ١٦٦). وكان "دارا" يعتبر نفسه سيدا مطلقا لمصر، وكان يضرب النقود باسمه.

إعادة تنظيم مصر

في بداية عهد "دارا" قام " حر وجا سنت " برحلة إلي فارس حيث كلفه الملك على ما يبدو بإعادة بناء دار الحياة بسايس، كما تلقى الوالي أيضا أمرا بجمع كبار مشرعي مصر وطلب إليهم أن يحرروا مجموعة القوانين التي طبقت في مصر حتى آخر عهد الملك "أحمس" الثاني، "أمازيس" ومن الواضح أن "دارا" رأى أن أفضل وسيلة لحكم المصريين هو حكمهم طبقا لقوانينهم ويحتمل أن هذه الإجراءات كانت ترمي إلي تهدئة النفوس بعد المرسوم الذي أصدره "قمبيز" الذي أمر فيه بمصادرة إيرادات المعابد كلها أو بعضها ماعدا معابد منف ودمنهور؟ وبر حعبى في هليوبوليس (أثر النبي الحالية)، ومن المؤكد أن المصريين تقبلوا إصلاحات "دارا" قبولا حسنا.

وفي العام التالي جاء "دارا" بنفسه إلى مصر ويحتمل أن يكون "وجا حر رسنت" قد مات قبل وصوله إذ حل محله شخص يدعى "أحمس" وقد تباهى هذا الأخير بأنه عرف دارا بآلهة المصريين وأنه أجبر حكام الدلتا من الفرس على تقديم القرابين المعتادة للعجل أبيس المتوفى، وكذلك اعتني بترميم المعابد واستغلال المحاجر خاصة محاجر وادي الحمامات. وفي عام ١٩٧٢ عثرت بعثة فرنسية في برسوبوليس على تمثال لـ "دارا" (متحف طهران) يحمل إلي

جانب النصوص الفارسية أخري هيروغليفية يتحدث فيها الملك عن فترة حكمه لمصر وباقي شعوب الإمبراطورية الفارسية[١].

وأمر "دارا" ببناء المعبد الكبير الذي مازال قائما إلى اليوم في الواحة الخارجة وللحصول على كتل الأحجار اللازمة لبناء المعبد أعاد فتح محاجر وادي الحمامات حيث عهد إلي حاكم قفط الفارسي بالإشراف على استخراج الأحجار. وفي العام السابع والثلاثين، العام الذي باشر فيه هذا الحاكم منصبه بنقش عدد من النصوص في وادي الحمامات عرفنا منها سرعة تمصير الأجانب الذين اتخذوا من معبودات البلاد آلهة لهم، بل واتخذوا أسماء مصرية.

وجذب بصفة خاصة انتباه "دارا" استغلال البلاد اقتصاديا، فمن المؤكد أن الولاية الجديدة كانت أغنى ولايات الإمبراطورية الفارسية أو كانت هي التي تورد أكبر جزية لفارس. ولكي يسهل التجارة، أمر "دارا" بإتمام حفر قناة "نكاو" الثاني التي تصل بين النيل والبحر الأحمر ولكن حفرها كان قد توقف بسبب نبؤة بوتو.

نهاية السيادة الفارسية

في وصفه لحالة مصر في نهاية حكم "دارا" الأول يقول أحمد فخري (مصر الفرعونية ،١٩٧١، ص٤٣٥) " ولم يكن من السهل أن تحني مصر رأسها لهذا العدو الجديد، ولم تخدع نفسها بالرضوخ للغاصب مقابل بعض إصلاحات أو إقامة بعض المعابد، ولهذا ظلت شعلة الوطنية ملتهبة في القلوب. وكان المصريون يؤيدون من قلوبهم الإغريق في حروبهم ضد "دارا" وقد بدأت الحروب بينهم تأخذ شكلا خطيرا ولم يكن الإغريق يهددون التجارة الفارسية بل كانوا على وشك غزو فارس نفسها. وأخذ "دارا" يعد بلاده للقضاء على هؤلائك الأعداء فأعد أسطولا ضخما. ولكن في حوالي عام ٤٨٣ ق.م أنزل الإغريق بـ "دارا" هزيمة فادحة في معركة ماراثون. وأمضي الملك الفارسي ثلاث سنوات بإعداد جيشه للانتقام ويحتمل في أثناء ذلك الوقت تراخت الرقابة على مصر إذ أنه في العام الرابع بعد هزيمة الفرس في معركة ماراثون هبت ثورة في الدلتا (هيرودوت ٧: ١) فقرر "دارا" معاقبة المصريين والإغريق معا ولكنه مات عام ٤٨٦ ق.م.

وتولى بعد "دارا" ابنه "**خشايا رشا، اكسركسيس**" ٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م، وفي العام التالي من حكمه سار ضد المصريين وقضى على الثورة وعهد بمصر إلى أخيه "أخومينس" لانشغاله

[١] رمضان عبده على، نفس المرجع، ص ٦٢٧ هامش ٥.

بحروبه ضد الإغريق. ومنذ ذلك أخذت السيادة الفارسية تشتد وطأتها عن ذي قبل، وظلت قبضتها القوية ترهق المصريين الذي كانت ترفع من معنوياتهم هزائم الفرس المتتالية.

ويجب أن نذكر هنا أنه في تلك الأيام الصعبة من تاريخ مصر كان يهود إلفنتين وغيرها من المدن أعوانا للفرس ضد مصر.

وأخيرا اغتيل "خشايا رشا، اكسركسيس" وخلفه ابنه "**أرتا خشاشا**" **أرتا كسركسيس" الأول** (٤٦٥-٤٢٤ ق.م). وفي حوالي عام ٤٦٠ ق.م من حكم هذا الأخير هبت ثورة ثانية أخطر بكثير من السابقة.

وكان رئيس المعارضة أميرا ليبيا يدعى " إرت إن حر إرو" (إيناروس) وسرعان ما امتدت الحركة وشملت أجزاءا كثيرة من مصر ولم يلبث "إرت إن حر إرو " أن وجد مؤيدا في شخص "آمون حر، أمارتس" أمير سايس ومن المرجح أنه ينتمي إلى الأسرة المالكة القديمة. وابتهجت أثينا لأنباء قيام الثورة في مصر فقد وجدتها فرصة سانحة لإضعاف خصمهم القوي، الفرس الذي مازال قويا بالرغم من الهزائم التي نزلت به فأيدت الثوار في مصر وأرسلت أسطولا من ٣٠٠ سفينة من ذات الثلاثة طوابق من المجاديف صعدت النيل حتى منف وقبل وصول هذا المدد أرسل "أرتا خشاشا" إلى مصر جيشا من ٣٠٠,٠٠٠ رجلا. والتقى المصريون بالفرس في "بروسوبيت" (في غرب الدلتا وهي تقع في الإقليم الرابع). وكانت المعركة في البداية في صالح الفرس إلا بفضل وصول المدد الإغريقي قهر المصريون خصومهم وقتل في المعركة قائد الإغريق والوالي الفارسي وانسحب ما تبقى من الفرس على قيد الحياة إلي منف. إلا أن بعد هذه المعركة بثمانية عشرة شهرا استطاع الفرس الثأر لأنفسهم فتقهقر الإغريق إلى بلادهم أما القائد المصري " إرت إن حر إرو " فقد جرح في إحدى المعارك وأسر وأحضر إلى سوس حيث أمر "أرتا خشاشا" (أرتكماركسيس) بإعدامه. وحاول الأثينيون مرة أخرى أن ينفذوا إلي الدلتا لكن أسطولهم دمره الأسطول الفينيقي الذي كان في خدمة الفرس.

وبعد موت " أرت إن حر إرو " أصبح "آمون حر" (أمارتي) الزعيم الوحيد للحركة الوطنية ونجح في البقاء مستقلا في الدلتا حتى حوالي عام ٤٤٩ ق.م على الأقل وفي نفس العام عقد السلم بين أثينا وفارس وعندئذ هدأت الثورة في مصر . ورأى الفرس أن يبدؤوا عهدا جديدا في مصر لإزالة الأثر السيئ الذي أحدثته قسوتهم في نفوس المصريين، فعين الفرس ابني زعيمي الثورة في مكان أبيهما ولكن مصر لم تهدأ واستمرت الثورة فلم يكن هذا الشعب الحر أن يرضى أن يتكلم باسمه أجنبي، وبعد موت "أرتا خشاشا" (أرتكسار كسيس) في عام ٤٢٤

ق.م. وحاول ابنه "دارا" الثاني مراضاة المصريين إلا أن الحالة لم تهدأ واستمرت الثورة. وأخيرا تأزمت الأمور وأصبحت الثورة تعم مصر وكان هذا في عام ٤١٠ ق.م وهى الثورة الكبرى التي اتخذت شكل حروب التحرير وانتهت بأن تخلص المصريون من أعدائهم الفرس كما فعلوا من قبل عندما دنس الهكسوس أرضهم.

الأسرة الثامنة والعشرون

٤٠٤-٣٩٩ ق.م

للأسف الشديد أن معلوماتنا عن الثورة العامة التي اجتاحت مصر واتسعت حتى أصبحت حربا عنيفة بين المصريين وأعدائهم الفرس، ضئيلة للغاية. وكل ما نعرفه أنها بدأت في عام ٤١٠ ق.م وانتهت في عام ٤٠٤ ق.م بإعلان استقلال مصر. وفي عام ٤١٠ ق.م وجهت الشرارة نحو اليهود الذين أقاموا في إلفنتين فهدم المصريون معبدهم هناك، وفرقوا شملهم. وانتشرت الحرب التي استمرت ست سنوات حتى نجح أبناء مصر في تحرير أرضهم في عام ٤٠٤ ق.م كما سبق أن ذكرنا.

وكان سبب غضب المصريين على يهود إلفنتين هو موقف هؤلاء من مصر ومساعدتهم للفرس، فدمروا معبدهم وسنرى فيما يلي أن الجالية اليهودية لم تتفرق بأكملها، فقد عثر في أطلال إلفنتين حيث أقامت تلك الجالية على كمية من البرديات المكتوبة بالآرامية وهى تمثل المراسلات التي تبادلها اليهود مع مختلف الشخصيات ومنهم رسالة واحدة موجهة إلى ملك فارس يعرض فيها رئيس الجالية اليهودية باسم جميع زعماء اليهود أن يدفع له مبلغا من المال (فقد الرقم) بالإضافة إلى ألف إردب من الشعير كرشوة له إذا سمح لهم بأن يظل هذا المعبد في مكانه ولكن بعد أن تولي نفريتيس الأول ينمحي ذكرهم من على الآثار والبرديات[١].

آمون حر، أمارتي

٤٠٤ – ٣٩٩ ق.م

[١] جان يويوت ترجمة سعد زهران، مصر الفرعونية، مجموعة الألف كتاب ٦٠١، ١٩٦٦، ص ٢٠١.

أتاح ضعف ملوك فارس فرصة التحرير أمام المصريين وأصبح "آمون حر" قائد الثورة ملكا على البلاد كلها ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين التي كان مقرها في مدينة سايس– صا الحجر.

واعترف المصريون بـ "آمون حر" ملكا عليهم واعترفوا له بالجميل فهو مخلصهم من الاحتلال وللأسف الشديد لم يصلنا أي أثر هام من عصر ذلك الملك إلا بردية أرامية مؤرخة بالعام الخامس من حكمه، عثر عليها في إلفنتين ضمن ما عثر عليه من برديات الجالية اليهودية[١].

وبعد وفاة "آمون حر" انتقل الملك إلى بيت مالك آخر وقد سمى مانيتون ملوكه باسم ملوك الأسرة التاسعة والعشرين.

الأسرة التاسعة والعشرون

٣٩٩ – ٣٨٠ ق.م

[١] اتيين دريوتون وجاك فاندييه ترجمة عباس بيومي،مصر، القاهرة د.ت، ٦٦٠.

نايف عاورود، نفريتيس الأول	٣٩٩-٣٩٣ ق.م
هكـر، آخوريس	٣٩٣-٣٨٠ ق.م
بساموت، بسمانيس	٣٨٠ ق.م
نايف عورود، نفريتيس الثاني	٣٨٠ ق. م

نايف عاورد، نفريتيس الأول

٣٩٩-٣٩٣ ق.م

انتقلت هذه الأسرة الجديدة إلى بلدة " مندس " (تمي الأمديد أو تل الربع) ويبدو أنه لم يحدث أي قلاقل لانتقال السلطة إلى بيت ملك جديد . وربما كان هذا الملك الجديد من زملاء "آمون حر" في الكفاح وحروب التحرير وقد حكم "نفريتيس" الأول (وهو اسمه اليوناني) حوالي ست سنوات وأهم أعماله كان تحالفه مع الإسبرطيين ضد الفرس فقد أرسل إليهم قمحا وكل ما يلزم لتجهيز مائة سفينة من ذوات الثلاثة طوابق من المجاديف، ولكن " كونون " الأثيني دمر الأسطول الإسبرطي أمام جزيرة " رودس ". ولابد أن الملك المصري بعد هذه الهزيمة لم يشرع في القيام بأي مشروعات أخري في الخارج، بل اكتفي بالقيام بمشروعات بسيطة في الداخل إلا إن قصر مدة حكمه لم تتيح له التوسع في التشييد لذا لم نعثر على اسمه إلا نادرا على الآثار[١].

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص. ٦٦١؛ رمضان السيد، تاريخ مصر جـ ٢، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب ٢١، القاهرة د.ت، ٢٩٧.

هكــر، أخوريس

٣٩٣ – ٣٨٠ ق.م

حكم "هكر" حوالي اثني عشر عاما، وقد اتسم عهده بالنشاط الخارجي خاصة في آسيا على حساب الداخل. ساهمت مصر في عهد "هكر" في تحالف ضد فارس ونعرف بواسطة ما كتبه أرسطو فانيس في رواية بلوتس أنه منذ عام ٣٨٨ ق.م عقد "هكر" حلفا مع أثينا إلا أن هذا الحلف لم يكن له عواقب حربية ثم تحالف "هكر" مع ملك قبرص "ايفاجورس" ضد الفرس فأرسل ملك مصر لحليفه قمحا وخمسين سفينة ولكن هذا الأخير أجبر على التسليم وجاء لاجئا إلى مصر. ولم يستطيع "هكر" أن يمده بالنجدة التي يطلبها فاضطر ملك قبرص أن يعود إلى جزيرته وأن يعقد السلم مع "أرتا خشاشا" (أرتاكسركسيس) الثاني ومع حرمانه من المساعدة الرسمية من جانب الإغريق. استمر "هكر" في القتال ضد الفرس ويلوح أنه حصل بالمال على جيوش من مرتزقة الإغريق قاوم بها الفرس ثلاث سنوات ٣٨٥–٣٨٣ ق.م – الذين تقدموا إلي شرق الدلتا وهاجموا إقليم سوبد – حتى تم انسحابهم.

أما في مصر فقد كان لـ"هكر" بعض النشاط المعماري فقد أعاد فتح محاجر طره والمعصرة لاستخراج كتل الأحجار لتشييد بعض الآثار وإتمام ما شيده سابقه وقد عثر على بقايا نشاطه المعماري في مدينة هابو والكرنك والكاب وطود. أما الدلتا فقد كانت فكانت آثاره شحيحة ولم يعثر إلا على بضع قطع من التماثيل[١].

انتهي حكم "هكر" نهاية غير منتظرة إذ تم عزله ربما على أثر ثورة نشبت ضده رغم أنه حمي مصر من غزو فارسي محتمل.

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص. ٦٦٢.

نهاية حكم هكر وعهدي با سا موت ونايف عاورود، نفريتيس الثاني

٣٩٣ – ٣٨٠ ق.م

لابد أن نهاية حكم "هكر" كانت تتسم بالاضطراب فاندلعت ثورات لا نعرف عنها للأسف إلا النذر اليسير وأن الثورات قد انفجرت في عصره. أما "با سا موت" فقد مارس السلطة لمدة عام واحد فقط ولم يترك سوى النادر من الآثار بالكرنك. ولكن "نايف عاورود، نفرتيس" الثاني لم يمارس السلطة سوى بضعة أشهر تاركا بعض قطع معمارية عثر عليها في الكرنك، وأن أمير مندس[١] "نخت نب إف، نختنبو" الأول المنتمي إلي إقليم سبنيتوس، سمنود الحالية، دبر قتله أو خلعه[٢].

الأسرة الثلاثون

٣٨٠-٣٤٣ ق.م

[١] رمضان عبده على، معالم التاريخ القديم، القاهرة د.ت، ص ٦٣٧.

[٢] رمضان السيد، تاريخ مصر جـ ٢، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب ٢١، القاهرة د.ت، ٢٩٨.

چد كا رع، نختنبو الأول	٣٨٠ - ٣٦٢ ق.م
إير إن ماعت جد حر ستب إنحور، تيوس	٣٦٢- ٣٦٠ ق.م
سنچم إيب رع ستب إن انحور نخت حر حبيت،	
نختنبو الثاني	٣٦٠- ٣٤٣ ق.م

چد كا رع، نختنبو الأول

٣٨٠ – ٣٦٢ ق.م

كان اعتلاء " نختنبو" الأول عرش البلاد إيذانا بانتصار الحزب الوطني الذي ضاق ذراعا بالإغريق الذين أظهروا الكثير من التردد في نزاع مصر مع فارس واثبتوا منذ حكم "هكر" أنهم غير جديرين بالثقة. ومن المحتمل أن " نختنبو" الأول وصل إلى الملك بمعونة كهنة نيت بـ صا الحجر (سايس) الذين كانوا أغنى وأهم كهنة في مصر خلال تلك الفترة لأنه عندما تولى العرش قام بإصدار مرسوم ملكي لصالحهم يأمر فيه بأن يخصص للآلهة العشر من الضرائب (ضرائب الجمارك والرسوم على الأشياء المصنوعة المحصلة في نوكراتيس (كوم جعيف). وتجلت نتيجة مؤامرة الإغريق على مصر عندما وجدت نفسها تواجه غزوا فارسيا جديدا مكونا من٢٠٠,٠٠٠ جندي جمعهم في عكا، الوالي الفارسي في سوريا ومعهم فرقة من المرتزقة الإغريق مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ رجلا، وتمكن هذا الجيش من الوصول إلى مصر والتوغل في الدلتا. ولم ينقذ مصر من هذا الغزو الفارسي الثاني سوى حدوث فيضان شديد في هذا العام

فوجد الجيش الغازي نفسه في مأزق واضطر إلى التقهقر مرة أخرى عائدا إلى آسيا (ديودور الصقلي ١٥: ٤٢ – ٤٣)[١].

وبعد هذه المحاولة تمتع "نختنبو" الأول بفترة من الهدوء واستطاع خلالها أن يقوم بنشاط معماري كبير. وترك "نختنبو" الأول من الآثار عددا كبيرا عثر عليها في أماكن مختلفة من الوجه القبلي والوجه البحري، وفي نهاية حكمه أشرك معه في الحكم ابنه تيوس.

إر ماعت إن رع‘ چد حر ستب إن أنحور، تيوس أو تاخوس

٣٦٢ – ٣٦٠ ق.م

وكان "تيوس" يختلف مع أبيه في الرأي بخصوص الإغريق، فعاود صلته بهم. ولم يكد ينفرد بالحكم في عام ٣٦١ ق.م حتى نراه قد أصبح حليفا لإسبرطة وأثينا مما ساعده على تكوين جيش كبير من الإغريق المرتزقة تكلف مبالغ طائلة جمعها بفرض الضرائب على كهنة صا الحجر (سايس) الأغنياء وإلغاء امتيازاتهم. واستولى الملك على كل المعادن النفيسة في مصر كما فرض الضرائب على حاصلات الأرض، وعلى الأخص الحبوب ورفع رسوم الدخول على البضائع المستوردة، وبفضل هذه الإجراءات استطاع أن يسك النقود اللازمة لدفع مرتبات الجنود من الإسبرطيين والأثينيين. وتولى الملك بنفسه قيادة الحملة وسار إلى آسيا على رأس جيش كان ولا ريب أقوى ما جمعته مصر منذ الدولة الحديثة: ألف جندي من المشاة الإسبرطيين وعشرة آلاف من المرتزقة الأثينيين وثمانين ألف جندي مصري، وأسطول يتراوح عدد سفنه بين مائتين أو ثلاثمائة سفينة ذات الثلاث طوابق مع المجاديف. وبعد أن ترك "تيوس" أخاه نائبا عنه في مصر وبدأ "تيوس" حملته بنجاح باهر في سوريا وبدا أن مصر توشك أن تسترد إمبراطوريتها في

---

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص. ٦٦٣ – ٦٦٤.

آسيا كما حدث في عهد "نكاو" الثاني، ولكن لسوء الحظ أن أخو "تيوس" الذي كان ينوب عنه في الحكم خانه فبعث سرا برسول إلى ابنه "نختنبو" الثاني الذي كان يحارب مع الجيش في سوريا وطلب منه العودة إلي مصر ليتولى الحكم. وعاد الأمير الشاب من أرض المعركة آخذا معه جنوده من الإسبرطيين وجزاءا وجزءا كبيرا من الجنود المصريين. ولما علم الأثينيون بذلك عادوا هم أيضا إلى أثينا وكانت الخيانة هي نقطة التي انتهي عندها عهد "تيوس"[١].

سنچم إيب رع ستب إن انحور نخت حر حبيت، نختنبو الثاني

٣٦٠ – ٣٤٣ ق.م

ولم يكد "نختنبو" الثاني يدخل مصر حتى واجهته فتنة خطيرة، إذ أن أحد أعضاء الأسرة المالكة السابقة (الأسرة التاسعة والعشرون) قد شجعه الشقاق الذي دب بين أفراد الأسرة الحاكمة فسعى لنزع السلطة. وعلى أي حال يبدو أن الفتنة كانت خطيرة إلا أن الملك استطاع التغلب على العصاه وأصبح ملكا على مصر وابتدءا من تلك اللحظة بدأت مصر تعيش فترة ازدهار، فبني "نختنبو" الثاني الكثير من المعابد في جميع أرجاء مصر وقد ترك فنانو ومهندسو هذا العصر ما يثبت أن شعلة الفن المصري ذو التقاليد القديمة لم تنطفئ للفن الكثير من جماله وتركوا لنا الكثير مع القطع الفنية التي تثير الإعجاب . ونعمت مصر بفترة طويلة من الهدوء والاطمئنان دامت حوالي ستة عشر عاما. ولكن في عام ٣٤٣ ق.م. بدأت مرحلة أخرى كان طابعها هو الاضطراب إذ قرر ملك فارس الجديد "أرتا خشاشا، أرتاكسركسيس" الثالث الملقب بـ "أوجوس" غزو مصر. وكانت الرغبة في استرداد مصر تسيطر على الملك الفارسي الجديد فلم يهمل شيئا في سبيل تحقيق هدفه، ففي عام ٣٥١ ق.م قام بمحاولة أولي كان نصيبها الفشل، وفي محاولة ثانية نظم هجوما هائلا ضد مصر فجمع جيشا يتكون من أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ رجل يساندهم أسطول من ٣٠٠ سفينة من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف ولم يكن جيش "نختنبو" الثاني لا يتجاوز ١٠٠,٠٠٠ جندي (٦٠,٠٠٠ مصري ، ٢٠,٠٠٠ إغريقي، ٢٠,٠٠٠

[١] اتيين دريوتون وجاك فانديه ترجمة عباس بيومي، نفس المرجع، ص. ٦٦٥.

ليبي)، وهجم على مصر من البر والبحر معا، وعاقت صعوبات الطريق تقدم الفرس ولكن بمجرد أن وصلوا إلي الدلتا كان تقدمهم أسرع. وتوصل الأسطول الفارسي من جانبه إلى أن ينفذ من فوهات النيل وسرعان ما أصبحت منف التي كان يحتمي فيها "نختنبو" الثاني مهددة، فتنازل الملك المصري عن العرش وفر هاربا وخرب "أوجوس" الدلتا وجمع غنيمة كبيرة وترك أحد أعوانه واليا على مصر وعاد إلى فارس.

حدث هذا في شتاء ٣٤٣-٣٤٢ ق.م وفر "نختنبو" الثاني إلي الوجه القبلي حيث نجح في بقائه ملكا ما يقرب من عامين. ويحتمل أن محاولة ثالثة قام بها الفرس لغزو مصر تمت في عام ٣٤١ ق.م ولا يعرف عن نهاية "نختنبو" الثاني شيئا أكثر من هذا.

الحكم الفارسي الثاني

٣٤٣-٣٣٢ ق.م

لم تستلم مصر لمحنتها الجديدة بل استمرت في المقاومة بل وتجددت الثورات واستطاع أحد أمراء الدلتا واسمه " خباشا " من إعلان نفسه ملكا على البلاد فاعترف به كهنة منف وعثر في السرابيوم (سقارة) على تابوت لأبيس مؤرخ بالعام الثاني من حكمه ومن نصوص تمثال " الستراب" أي الوالي الذي عينه الفرس، عرفنا أن المصريين لم يستسلموا بل داوموا على مقاومة المحتل الفارسي. ولكن هذه الجهود كانت عبثا ولم تستطع مصر أن تسترد استقلالها. وبعد ذلك ببضع سنين وصل إلي مصر نبأ هزيمة "دارا" الثالث في "أسوس " فانبعث الأمل من جديد في قلوب المصريين الذين بدا لهم "الإسكندر" قاهر "دارا" في صورة المخلص. وكان مصري من إهناسيا يدعى "تف نخت" قد نجح في الوصول إلى ملك مقدونيا وشاهد على ما يبدو معركة "أسوس"، ولابد أنه استنجد بـ "الإسكندر" فلم يدعهم هذا الأخير ينتظرون وفي نفس العام دخل مصر وعرف بلباقة كيف يحصل على مودة رعاياه الجدد فكرم آلهة مصر وجعل الإله آمون الذي ذهب لزيارته في هيكله بسيوه، يعترف به ملكا على مصر.

وتنتهي هنا حقبة تاريخية مجيدة أعطت مصر خلالها للإنسانية خبرتها الطويلة المتنوعة لتكون قاعدة راسخة تبني عليها الأمم الأخرى أطوارا حضارية ومدنية تتقدم بها الإنسانية إلي أن يشاء الله ويرث الأرض ومن عليها.

****